محمد المختار السوسي



2

تطوان - المغرب

محمد المختار السوسي



2

تطوان - المغرب

« الرحلة الثانية من كتاب »

« خلال جزولة »

الذي أودعه مشاهداتي من الآثار ونوادر الكتب ، ومؤلفات السوسيين مطلقا واسماء الرجال ، في جولاتي التي اخوض فيها قبائل سوس كلما وجدت لذلك فسحة ، وقد حرصت على ان اودعها كل ما يلفت نظر مثلي من المولعين بمعرفة الكتب ، وبتراجم الرجال النابهين علماء كانوا او رؤساء ، مما اجد اسمه حديثا ، ومما اقع عليه من الاثار الادبية من نثر ونظم ، ما دام ذلك مقبولا ، وان لم يدرك الشأو العالى من البلاغة ، وبوصف المجالس الادبية التي اراها ، فاسوق ما يروق من الفوائد والانشاءات والانشادات ولا قصد عندي الا ان انشر حسب ما في طاقتي من تاريخ هذه الجهة التي اصطلحت بان اطلق عليها « جزولة » ما أؤدي به لعشاق التاريخ المغربي العام والخاص مما يقر به الطرف، ويبتهج بمعرفته الفؤاد .

وكل من لم يكن له هذا الواوع المؤسس على كل ما اعتنى بذكره فالاولى له ان لا يشغل نفسه بمراجعة هذا الكتاب ، لانه يراه تافها ساذجا من فضول الاعمال ، لانه لا يكتب كتابة عصرية ، ولا يذكر هذا العصر الحديث الذي يرفل في الحضارة الحديثة ، ويرفع هامته بالفكر الجديد الشامخ بأنفه الى السماء .

محمد المختار

السوسي

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

(من إلغ إلى ماسة)

الحمد لله الذي بذكره تتحلى الطروس ، وبمعرفته تبتهج النفوس ، والصلاة والسلام على سيد العالم قاطبة . من أتى من الشريعة النيرة الخالدة بما يجلو دن العالم غياهبه ، وعلى آله وأصحابه نجوم الاهتداء ، وأئمة الاقتداء .

أما بعد ، فقد حبب الى الجولان في البلاد ، ومخالطة كل الطبقات في كل ناد ، ومجاذبة الحديث العلمي بين كل جماعات من حاضر وباد . لعلي أستفيد ما لم يكن به علم قبل، فأقنع بالطل ان لم أصادف الوبل، فما يقل عند الصديان ما صداه به ينتقع ، وكل الحذاء يحتذي الحافي الوقع[1] فأكبر اللذات عندي، المجاذبة حول تحرير مسائل المنقول او المعقول، وهل بقي من اللذات الا محادثة الرجال ذوي العقول[2] .

ثم لما كانت في هذه الزاوية المغربية بقايا لا تزال بكرا لما تفترع بعد، وهي مكنونات مصونات كدرر غوال يصونها السعد ، عزمت على أن أجتني بالتجوال بين مدارسها وخزائنها ، ورجالات عملها ، ما أحييه بقلمي لهذا العصر العجيب ، وأجلوه على منصة المطالعة لكل قارئ ذهم طلعة طالما يهيب بمثلي بلسان الحال فيقبح ان لا يجيب، فإن من مزايا هذه الناحية، أنها لا تزال تعيش كما يعيش اهل القرون الوسطى[3] في الافكار ، والامعان في الاخلاص لما يجدونه بين أيدي آبائهم من علم وعقلية ، ومتوجهات صارت بها سوس اليوم اعجب العجاب بين الاقطار ، فكانت بذلك منتقى صافيا لمن يريد ان يتملى بما كان الاسلاف من أهل تلك القرون يتخذونه المثل العليا ، ويرونه من

1) مثل معروف ، والحذاء : النعل والوقع: الذي أثرت الاحجار في أرجله بالسير حافيا.

2) وما بقيت من اللذات الا محادثة الرجال ذوي العقول

3) كان هذا الحكم على سوس سنة 1361 هـ وأما اليوم 1377 هـ. فقد تبدلت حالة سوس

أفضل النظرات التي يستحق بها عندهم ان ينظر بهـا الى الدنيـا ، وأتمنى لو يفسح لي المجال لاترسم ايضا الافـكار الاجتماعيـة ممن ألقاهـم ، كما اتـرسم افكارهم العلمية، لكنني الآن قصرت عملي حول العلم ورجاله فقط، جمعا للجهود في جهة واحدة فأتخطى ما يستحق كـل الاستحقاق عدم اغفاله من افكار غريبة عن هذا العصر الذي يصدق فيه قول أبي تمام :

على أنها الايـام قد صرن كـلها عجائب حتى ليس فيها عجـائب

وأحمد الله حمدا كـثيرا حين هيأ ما أعرف به هؤلاء الرجال الذين يرفعون اليوم ألوية العرفان من جزولـة ، وكيف اتصـل بهم فأمـازجهم ، وأعرف لهم مكـانتهم، وأقدر لهم قدرهم، وأدرك قيمة ما لا يزال في أيديهم من تراث السلف الذين لا يزالون عاضين عليه محافظين كل المحافظـة على كنزه ، فتراه في أيديهم مصونا كما كان رونقه في تلك العصور الماضيـة ، فلم تمازجه أفـكار اليوم ولا عقليته، ولا دهمت عليه بعد من الغرب مدنيته، بل لا يزالون يجهلون تطور العصر الحديث ، فلولا ان الطيـارة يرونها بأعينهـم فوق رؤوسهـم تطير محلقة ، ولولا ان الهاتف يشاهدونه في مراكز الحكومة بين ظهرانيهم يصـل ما بين متكلم وصاحبه ، ولولا ان السيارة تمر بهم في الطـرق المرصوفة يمنـة ويسرة كـل يوم ، لما قدر مخبر ان يقنع بعض المتعاقلين من بعـض فقهائهـم ـ فضلا عن غيرهم ـ بأنها في الوجود . ولاستبعـدوا ان مثـل هـذه المحـالات تدخل في حيز الموجود ، ثم لا يكون ذلك لهم وصمة عيب عند اخـلافهم الـذين سيدركون كل هذه عن قريب[1] الا اذا وصم بالعيب اسـلاف ابنـاء السيـن[2] الذين يشهد أخلافهم بأن هارون الرشيد اهدى فيما اهدى ـ من أعاجيب مدنية العرب ـ ساعة مدققة تتحرك من عند نفسها فحيـن وضعها الرسل بيـن يدي (شارلمان[3]) ورأى هو وجلاسه كـونها تتحرك من عند نفسها أجفلوا عن المجلس خائفين يترقبون ، وهم : «ان هذا الا عمل شيطاني» .

1) ان اهل سوس الان بعد الاستقلال، غيرهم اذ ذاك .

2) السين : واد شق باريز .

3) من ملوك فرنسا ، ويعاصر هارون الرشيد ، وسلفه هو الذي رد موجة العـرب عام 114 ه في جنوب فرنسا كما هو مشهور .

لهذا يجب على كل من يريد أن يعاشر قومــا أمثال هـؤلاء ، يعـرف منهم حسن النية وإخلاصا في العمل ، وتشبثا بالدين كما وجدوه ، ويريد ان ينال منهم ما لا يناله الا منهـم - ان لا يحدثهم الا بما يفهمون، وقديما قال علي بن أبي طالب : «حدثوا الناس بما يفهمون . أتريدون أن يكذب الله ورسوله» ؟

كأين من خريج في الحواضر اليوم من السوسيين . صدر بفكرة مشبعة بصور هذا العصر ، وبمرآة لا يتمثل فيها الا رسوم المدنية ورونقها الخلاب ، وميسمها البراق ، وقد أعجب بما يراه من ابنائها من أفكار تنطح السموات ، وتحاول ان تخترق السبع الطباق ، وتدعي انها أدركت كل ما وراء السجوف ، وانها هي التي وقفت على لب العقل ونموذج الحياة العليا ، فيعود وقد حمل لآله في جزولة تنكرا غريبا ، وإعراضا عجيبا حتى لا يعرف الا ان ينكر كل ما يعرفونه ، ويدفع في صدر كل ما يتقبلونه بكلتا اليدين ، فلم يزل يجاذب هذا مجاذبة عنيفة، ويقابل ذاك بما لا يقبله عقله، ويحتج على آخر بما لم يطالعه قط في كتاب من الكتب التي يعرفها، ولا سمعه من أستاذ من الاساتذة الذين يراهم منتهى المعارف ، وعنوان العقل، وسماء الفهم ، وبحر العلم، ثم لا يزال في مصادمات حتى يبقى فريدا منبوذا بين أهله في العراء ، وقد حرم اهله النفع المنتظر من أمثاله . لو كان يعرف أن يتأنى في اموره .

حنانيك يا ابن اليوم حنانيك ، فإن لهؤلاء الذين لا يزالون يصونون هذه القبصة[1] من معارف جزولة ، وهذا الخلق العلمي الوقور، وهذه الحرارة الدينية التي نراهم بسببها يحاولون ان يلبسوها كل فكر ، ويزنوا بها كل عادة، مزية عظيمة لا يقدرها قدرها الا من كان مازج قبل بعض ابناء هذا العصر الذي فاض فيه الالحاد فيضا . فعرف منهم بعجمه كل الاعواد ، وبمثافنة ما بينهـم في كـل ناد ، ميعا في الاخلاق ، واعوجاجا ظاهرا في الاراء والاذواق ، ورقة بارزة غريبة في الدين وما اليه . الا بعض اقوال اصطلحوا على تداولها، جعلوها دثارا، دون ما اتخذوه تحتها شعارا ، فلئن كان في الجزوليين اليوم بعض مـا يواخذهم به

1) القبصة بالصاد : ما تاخذه برؤوس اصابعك .

الحق الصراح ، فما هم الا من بقية القرون التي قل فيها تعاطي تفسير القرآن والحديث وما اليهما ، فلا يمكن ان يزول كل ذلك او ـ امكن ان يزول ـ الا بمراجعة دراسة ما يثور به الشعور والتفكير الصادق.

على ان هذا مما لا بد ان يكون دائما بين الطبقات ، وهيهات ان يزول كله او آثاره هيهات ، وما نحن الان بصدد هذا وإنما نحن بصدد تبيين فضيلة هذا الجيل الوقور الدين الذي لا يزال يعيش حوالينا ، فلا ينبغي لابن اليوم ان ينكر مقامه، ولا ان يزدري من كل ناحية ذوقه، ويرمى ظهريا جميع نظراته، فإنه نعم الجيل اخلاصا لدينه ، وغيرة على قوميته، ودفعا ـ بكل ما في جهوده ـ لكل ما لا يقبله عقله ، فقد خالطته فرأيت صدورا رحبة ، ونفوسا طيبة . وقلوبا صافية ، ودينا متينا ، وترفعا عن السفاسف التي يقع في كثير منها ابناء هذا العصر الممعن بعض أبنائه في الالحاد هنا وهناك ، والدين الخرافي خير من لا دين، كما ينسب للاستاذ الامام في القطر المصري في منامه . ونحمد الله على قلة هذا الالحاد الان في قطرنا هذا.

هذا فإنني كنت قدمت رحلة قبل هذه في اوائل هذه السنة ، وهذه رحلة ثانية أحررها ايضا على غرار تلك ، متتبعا فيها ما سلكته من تاسع شوال الى مفتتح ذي القعدة ، ذاكرا كل ما أراه مفيدا للقاريء من وصف كتاب ، وتقييد مذاكرة ، وتعريف بشخص ظفرت به من علماء هذه الجهة، وتسطير ابيات فزت بها ، حرصا على ان تبقى في صوان كتاب .

والله اسأل المعونة والتوفيق ، والهداية الى سواء السبيل .

صبيحة الاحد 2 ذي الحجة 1361 هـ

م. خ. س.

تاغلولو

خرجنا على البغال اثر صلاة الصبح، بعدما افطرنا قبل طلوع الفجر، وهيأنا كل المتاع . فلم ينبثق الفجر حتى كنا على اوفاز ، فقلت في نفسي ها أنذا رجعت الى البداوة الحلوة بكل حلاوتها ومتعتها ، فيا طالما كنا نتوسد الارائك في دواخل السيارات في امثال هذه الساعات ، ملتفين في الاردية ، متكئين يمنة او يسرة . وقد حالت الواح الزجاج في جانبي السيارة بيننا وبين الاستمتاع بنسمات الصباح الارجة ، استغفر الله ـ بل يمنعنا من ذلك الاستمتاع جريان السيارة الذي يأتينا باصطدام شديد بالريح الذي يؤول اليه ذلك النسيم، فأين ذلك منا نحن الان ، وقد مشينا الهوينى ، والركائب ترفل بنا في بسيط الغ والهواء ساكن ، واليوم طلق[1] فلا حرارة ولا برودة ، وأول ما تذكرت، وقد وخدت بنا البغال ، ونحن نتجاذب الاحاديث بيننا ، قول الشاعر حين صدر من موقفه في الحج .

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
وشدت على حدب المطايا رحالنا ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الاباطح

سرنا مغربين حتى وصلنا ثنية (تيزكي نحمو عيس) فوقفت وقفة قليلة القيت فيها نظرة عجلى على مسقط الرأس الذي نغتبط به متى كنا فيه، وتتطلع اليه الافئدة ان كنا عنه مبتعدين ، فاجيل بصري في ذلك البسيط الاجرد، فأقول سبحان من حبب لكل انسان منبته ، وان لم يكن ذا مياه جارية ، ولا ذا جنان وريفة الاغصان . فتذكرت ما قال الشاعر .

بلاد ألفناها على كل حالة وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
كما تؤلف الدار التي لم يطب بها هواء ولا ماء ولكنها وطن

اليوم يوم الاثنين ، تاسع شوال ، وقد كنا نقصد قرية (بيعلاش) ، ثم بدا لنا فصمدنا صوب وادي الاكماريين ، عازمين على ان لا ننزل دون مقصودنا

1 اليوم طلق : لا حرارة فيه ولا برودة اي معتدل .

خوف ان ينال منا التعب ، فلا نقدر على معاودة الركوب، لحدثان عهدي بالبغال الموكفة (وصعب على الانسان ما لم يعود) ثم لم انشب ان رأيت قبل ان نصل سقي (تنزار) قرى ، اذا بنا تيامنا فوصلنا قرى (تاغلولو) فسألت انسانا مر بنا عن الفقيه سيدي بريك بن عمر ، فأخبرني انه اليوم في مدرسة سيدي محمد بن يدير فقلت في نفسي حسنا ، فقد حمدنا تيامننا عن الطريق ، وانشدت :

ولربما سقط الحمار فكان من غرض المكارى

ثم ولجنا على الفقيه بالمدرسة بغتة ، فوجدناه يتهيأ لملاقاتنا في الطريق فكفيناه مؤونة ذلك، وبعد لاي خرجت معه فزرنا ضريح الشيخ ابن يدير، وهو مدفون في محل منخفض عن سطح الارض بنحو ثلاثة اذرع، وقد اكتنفه قبران احدهما يقال لزوجه ، او لابنه علي ، والآخر للرئيس صاحب الشيخ داود بن محمد الفالي جد هذا الفقيه الذي معي ، وقد كان رئيس اخوانه بمجاط ، ثم زوى الشيخ ابن يدير وجهته الى الاشتغال بما يعنيه ، فكان له مع الشيخ صحبة دائمة ، وفي يوم ذكر له الشيخ انهما سيسافران معا ، فذهب داود فهيأ الزاد في داره ، فأتى محل الشيخ اذا بالشيخ يوضع في قبره ، فلم يملك نفسه حزنا على شيخه ان تردى بمحل معلوم هناك عن البغلة ، فهلك فدفن ، وإزاء مدفن الشيخ بناية مقبوة، مفروشة بالحصر، ينزل فيها الزوار ، وحول المسجد قبور كثيرة قديمة ومحدثة، وكل التاغلولوئيين من أبناء الشيخ، إنما يدفنون فى هذه المقبرة ، والمدرسة صغيرة ، ومصلاها قديم ، وقد صلينا هناك الظهر ، فرأيت المسجد والمحراب متيامنين عن سمت القبلة الي الجنوب ، ولعل هذا مما يدل على أن المسجد قديم جدا ، له زهاء الف سنة ، لان المغاربة قبل اللمتونيين كانوا يصلون الى الجنوب ، كما هو معلوم في التاريخ ، وأعني بالمسجد ما أسس عليه أولا، لا هذا البناء الذي يقوم فيه الان، فإنه غير قديم، وبين المدرسة وشفا الجرف الذي يطل على الوادي حقول فيها سعة، كلها لابناء الشيخ الا قليلا، وذكر الفقيه ان الشيخ هو الذي اشترى أولا ما هناك ، ثم توالى على الشراء أولاده . وقد مشينا قليلا الى شفا الجرف انا والفقيه فانحدرنا من أعلى الجرف

في نزهة الى غار متسع مسامت لبسيط (نازاروالت) الفيحاء فيهب علينا نسيم عليل وقد عاد بعض الحرارة الى الجو، فحكى لي ان غارا آخر اوسع من هذا بكثير في جهة اخرى من الجرف القائم كحائط عظيم مشمخر البناء قال كنت دخلت اليه في شبيبتي . فحسبت فيه ستة عشر بيتا من جانب ، يناوحها مثل ذلك من الجانب الاخر، وكلها منحوتة من الحجر ، وبينها مثل الحائط الرقيق يفرق بين كل بيتين ، قال وقد كنت رأيت فيها اذ ذاك ما يدل على ان ذلك كله من آثار البحر من قديم الدهر، فقلت ان علماء طبقات الارض (الجيولوجيا) يقولون انالارض تتراكم بتكرار الازمنة، كما أن علماء تقويم البلدان (الجغرافية) يقولون ان البحر ينتقل بتؤدة منجانب الى جانب ، فيسيح الى جهة برفق شيئا فشيئا ، كما أنه ينطوي عن جهة اخرى كذلك ، وكأني بهذا الوادي منذ آلاف مؤلفة من السنين، كان مثل بعض هذه الشعاب التي نشاهدها الان بكثرة ازاء البحر ، وانما هذا العمل من البحر قلما تعرفه الاجيال المتقاربة ، لان ذلك لا يتم الا بآلاف من الاعوام ، وكأني ببعض من سقط اليه ما يقال من أن عمر الدنيا من أولها الى اليوم معدود بآلاف من السنين فقط ـ كما يحكى عن الاسرائليين ، ثم دخل في كتب المسلمين غلطا ـ ينكر هذا ، فنقول له ان المحدثين صرحوا بأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتكلم في تحديد عمر الدنيا قط ، ولا بينه قط بحديث ثابت ، كما نبه عليه المحدثون ، بل هذا ابن العربي الحاتمي صرح بهذا ايضا في فتوحاته ، وهذا العلم اليوم (الجيولوجيا) يؤيد ما ذهب اليه الحاتمي وما هذه الخرافة الا اخت من يظنون ان الارض على قرن الثور ، وهي ايضا اسرائيلية محضة دخلت على بعض المسلمين، مع انه لا اصل لها في الاسلام ، كما نبه عليه المحدثون من قديم أيضا ، ثم جاء الواقع وأيد ذلك بالحس ، وهل بعد الحس والعيان من بيان ؟

صادفت هناك بين كتب الفقيه مجلدة من مجلدات اساتذة القرآن، فصادفت فيها مؤلفات للسوسيين وما تحتوي عليه:

1) السراج في الحذف في رسم القرآن لاحمد الجاكاني الملقب طير الجنة

وهو احمد المصطفى بن طوير الجنة التشيتي ، كان سافر الى الحج عام 1245هـ وقد كان ذكره شيخنا العباس المراكشي في تاريخه .

2) منظوم رواة ابي رويم المدني لمن سماه عبد الكريم بن ياسين وهذا ايضا مجهول عندنا ، ولعله سوسي .

3) تحفة الطلاب في قرائة ابن كثير، وهو رجز لمحمد بن يوسف التملي، وهو الناشيء في الحمراء المشهور بالمهارة في القراءات وغيرها ، توفي عام 1048 هـ ولعله ولد بسوس ، وهو الذي ذكر في (نفح الطيب) وساق المقري ما كتب به اليه بعد ذهاب المقري الى مصر ، وهو صاحب الارجوزة التي تضمنت اشطارا من الفية ابن مالك ، كما له منظوم في السيرة ، وهذه النسخة من تحفة الطلاب ، كتبت جمادى الاولى عام 1075 هـ، بيد محمد بن يحيا بن محمد بن موسى البعقيلي .

4) مشكلات القرآن لسعيد بن سليمان الكرامي الشهير المتوفى عام 882هـ

5) وسيلة النشأة لفهم الملخصة ، لداود بن محمد التملي على رجز شيخه عبد الواجد بن الحسين بن اسماعيل الميموني الركراكي الوادنوني الشهير المتوفى بعد 830 هـ واما داود بن محمد فالمقصود به التونلي الشهير المتوفى نحو 899 هـ وهو ممن أخذ حينئذ أيضا عن الوادنوني هذا ـ كما رأيت ـ كما أخذ أيضا عن الشوشاوي والونشريسي

هذا ما كنت قيدته بسرعة من المجموع ، ولم يتسع الوقت لاصف هذه المؤلفات السوسية وصفا يلقي عليها ضوءا للباحث ، وقد عزمت منذ الان ان افعل ذلك بكل كتاب سوسي اصادفه امامي . كما سألزم ذلك ان شاء الله في الكتب النادرة التي اقع عليها في الخزانات الاتية ، والله الموفق .

اما الشيخ سيدي محمد بن يدير فهو من رجالات هذه الناحية في أواخر القرن العاشر وأوائل الحادى عشر ، وذكر لي ان له باعا في العلم على ما عند اولاده ، وان لم نر عند الذين ذكروه اثارة على ذلك .

صحب الشيخ سيدي احمد بن موسى التازاروالتي ، ويقال انه هو الذي

امره بسكنى (تاغلولو) وأصله من قرية (تانامرت) برسموكة، كما حدثت به وهناك بلا ريب إخوانه بالنسب ، وكان من عادته الجري في اطفاء النائرات بين الناس ، والاصلاح ما بين المتشاغبين ، والناس يقصدونه لذلك ، وبذلك وسم ، وقد وضع الله عليه القبول ، فلا يتخطى من سعى بينهم بالصلح امره الا وقفوا في العاقبة على مرارة فظيعة ، ويوثر عنه كل ما يوثر عن صوفية ذلك العصر المتموج بالصوفية ، وهو الذي وقف حتى صفى تركة الشيخ ابن موسى بين اولاده ، ولعل ذلك يدل على انه عالم ، لانه لا يتصدر لمثل ذلك عادة الا من له باع في العلم ، ومقدرة على تصفية الفرائض.

وأما نسبه ، فقد ذكرت لي سلسلة نسبه في مشجر لم اتصل به الى الان، الا انني وقفت على مشجر عام له واكل من شاركوه في عمود نسبه ممن انبثوا في نواحي سوس ، وهاك ملخص ما وقفت عليه ، وسناتي بملخص الجميع للفائدة .

عبد الله بن احمد بن عبدالله بن عبدالله- مكرر - بن احمد بن عبد الله بن علي بن مسعود. بن الحسن بن عبد الله بن عبد الرحمن ، بن محمد بن محمد ابن عمرو الاسريري الشهير من أهل القرن السادس، وهو من رجال التشوف وهو محمد بن عمرو بن زيد بن الحسن بن علي بن محمد بن أبي القاسم ابن عبد الله بن محمد بن ادريس بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن ابن علي بن ابي طالب .

ولمسعود بن الحسن المذكور من الاولاد : احمد والشيخ جعفر ومحمد دفين تامسنا وعلي ، ثم كان لعلي بن مسعود منصور ومحمد وأحمد والحسن وعبد الله ، كما كان لعبد الرحمن بن محمد بن محمد بن عمرو : ولد آخر اسمه أيوب ، هو جد آل (ووكدمت) ، وهكذا نسبهم :

الحسن بن محمد بن مسعود بن ابراهيم بن مسعود بن محمد بن يوسف ابن احمد بن ابراهيم بن احمد بن عبد الكريم بن محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن ايوب بن عبد الرحمن الخ . .

ومن اخوانهم اولاد بوحدو بماسة(1) واولاد محمد بن علي ، وآل سيدي محمد بن يدير ، مع آل (تامرووت) في أسفل شعبة رسموكة ، هؤلاء الثلاثة اخوة بالدم والنسب ، وقد نقل ذلك كله وحرره بلقاسم بن محمد بن عمرو المفتي البعقيلي في جمادى الثانية عام 1083 ه وكتبه عبد الكريم بن مبارك ابن عبد الله بن عبد الكريم الاونايني اصلا ، كما كان هناك نقل لطرف من ذلك ايضا من كتابة بلقاسم المذكور 1134 ه ثم اعلم به احمد بن عبد الله السكتاني ، ثم عبد الكريم المذكور ثم عبد الله بن احمد الوكدمتي الشهير من سكتانة(2) ثم سكن مراكش ، ثم عبد الله بن محمد السكتاني ، ثم ابو زيد بن ابراهيم ثم محمد بن احمد ثم محمد بن احمد التينزيتى ، ثم عبد الله ابن محمد الرجالى ، ثم الطاهر بن عبد الله التيدسى ، ثم على بن الحسن بن احمد الاسمانى ، ثم محمد بن احمد التفنوتى ، هؤلاء كل واحد منهم يقول : اعلم بما فى اعلاه .

هذا ملخص ما هناك ، وهو فى صفحة كبيرة ، ولا بأس بكل هذه الفوائد التى عرفنا من بينها ان محمد بن عمر الاسريري شريف من اولاد محمد بن عبد الله الثائر على ابي جعفر المنصور ، ويلقب عندهم بالنفس الزكية ، كما عرفنا كيف تشعب اولاده فى سوس ، وان الشيخ ابن يدير – كما هنا – شريف. وقد علمت من احد اولاده ، ان للشيخ من الاولاد المعروفين بالعقب اربعة عليا وهو الكبير المذكور بعد الشيخ والبارز في مركزه اثره ، وقد دفن مع الشيخ في ذلك المكان الذي دفن فيه، والاولاد الاخرون ابراهيم وسعيد والحسن ومن اولاد علي الاول: ابوبكر بن علي بن محمد بن يدير، ويظهر انه معمر فقد وجدنا أحد من قيد عنه شيء عن اهله هؤلاء 1081 ه والناقل عنه فى ذلك التاريخ ابن اخيه احمد بن المحفوظ ابن الحسن ابن محمد بن يدير، وأحمد هذا ذكر انه عالم ويسمى الطالب احمد على عادتهم اذ ذاك فى تسمية عالم من

1) وينتسب آل (اغبالو) بماسة هذه النسبة ، ولعلهم من اولاد بوحدو

2) ووكدمت في وادي نفيس، وما ابعدها من سكتانة .

من العلماء بالطالب ، ولابيه المحفوظ ايضا ذكر هناك ، ولعله ايضـا عالم، ثم لا وجود للعلم البتة ـ فيما علمناه ـ فى هذه الاسرة ما عدا ما يظن من عند هؤلاء وآل الشيخ اليوم الموجودين في (ناغلولو) في قرية كـاور ، وفى إد يحيـا نحو 200 دار، وهناك فى (فلغاس) من متوكـة من ابناء الشيخ أيضا، وهم أبناء سعيد بن نصر من آل الطالب ابراهيم بن محمد وابن عمه عبد الله بن يحيا ومسعـود بن بلعيد وهذا هو الذي قيده فى المشجر المذكور ابوبكر بن علي بن محمد بن يدير والاربعة من اولاد الشيخ لهم جميعا اليوم عقب واكثرهم نسلا علي، وقد ضاعت اليوم سلسلة مشجرات آل الشيخ ورسومهم القديمة، ويقال ان ذلك صار الى الورحمانيين الجاطيين لانهم استولوا على أملاك (ادكارور) من ابناء الشيخ نزلوا عندهم . وكـان ذلك المحل عزبة للشيخ حياته ، وقد توفـى الشيخ سيـدي محمد بن يدير يوم الاربعاء ـ 29 شوال عام 1012 ه

(ثم بعد كتبى هذا وقفت عند اولاد سيدي محمد بن عمرو الاسريري على ما يخالف هذا النسب . وبذلك نعلم ان كـل مـا ذكر لم يكـن محررا ، وإنمـا يستأنس به، او محمد بن عمرو المذكور هناك غير محمد بن عمرو المشهور وفى (المعسول) فى تراجم آل محمد بن عمـرو الاسـريري فى (الفصل الثانى) من (القسم الرابع) ما نقلناه عن أهله).

إداكًاكًمار

خرجنا بعد صلاة الظهر . فمشينا متوجهين على شفا ذلك الجرف الهائل على اقدامنا ، فتركـنا عن يسارنا جرفا آخر عاليا غاية العلو، وكأنه جدار هيكل يناطح السحاب وتحته مستوى قليل تناثرت الصخور حواليه ، فقال الفقيه ، كـان الشيخ سيدي ابراهيم بن صالح التازرواتى ربمـا اتى الى هذا المحل بين الظهرين فى الرمضانات يسرد فيه للناس البخاري، ان رأى المسجد والمدرسة يضيقـان عن الناس الذين ينثالون إليه من كـل صوب لسماع الـكلام النبوي فقلت فى نفسى : رحم الله تلك الهمم ، فبأمثالها قام الدين ، وبانطواء امثالها

انطوي الدين ، ولله الامر من قبل ومن بعد، فتركنا سقي تاغلولو الذى يسقى بعين كبيرة تفرق ساعات تقدر من النهار فيقال ثلث النهار ونصفه، ومثل ذلك في الليل وقد صادفنا انسانا عند دخولنا الى الفقيه يساله، هل مضى ثلث النهار فقال لنا هذه عادتهم مع الفقهاء في المدرسة ، يرضون بهم دائما في الحكم في مثل هذا ، ثم اقبلنا على سقي (تينزار) ولعله اوسع مما قبله وقد حكى لنا الفقيه عن حروب كثيرة وقعت حول هذا المكان حوالي اواخر القرن الثاني عشر ـ كما يظهر من كلامه ـ قائلا ان هذا المكان للحربيليين حتى نزعه منهم المجاطيون وبعد زمن فتك البعقيليون بالمجاطيين الذين كانوا يسكنون في اطلال ديار يمر بها من يهوى الى النزول من (تينزار) اثر مروره بمجرى العين وآثار الديار لا تزال واضحة فكانها لا يبعد خرابها باكثر من قرن قال فدامت الحرب زهاء سبع سنوات ثم لم ترجع هذه الارض المسقية الى اربابها حتى تصالحوا مع البعقيليين الى تفاصيل اخرى قالها وقد وجدنا الماء يسيل كثيرا من العين منذ سنتين بعدما كادت الاشجار تيبس وهذه العين مشتركة بين آل تينزار المجاطيين وبين آل (اسكيوار) فالنهار لاولئك والليل لهؤلاء ولا طاسة[1] لهم في قسم الماء كما نراها عند غيرهم لكثرة الماء ولقلة التنازع حوله وقد شاهدنا الشلال الذي يتدفق من اعلى الجرف مبيضا كأنما ثوب منشور ابيض طويل ممتد من اعلاه الى اواسطه وبيوت الارحاء حفافيه في ذلك المنحدر الذى لا يسلكه الا اهله المتمرنون عليه فتراهم صاعدين منحدرين ليلا ونهارا وعلى رؤوسهم قفف الطحن الذي يطحنونه دائما بالاجرة .

هذا وخرير الماء يملا صداه الاذنين فوقفت في وسط جبل (تينزار) وانا اصوب بصرى وأحدره في ذلك المكان فإذا بالفقيه يريني شجرة في افق الجرف

---

1) كانت الساعة الرومانية طاسة مثقوبة من اسفل يدخل منها الماء شيئا فشيئا ، وقد قسمت جوانب الطاسة بعلامات الارباع والانصاف والاثلاث والاخماس والاسداس ، فيعرف بذلك مقدار الوقت وهذا هو الذي شاع في كثير من نواحي سوس لتفرقة المياه فيجعلون مثلا ستين طاسة بين الليل والنهار فتباع كذلك وتشترى .

فقال ارايت صبيرا[1] نابتا تحتها ، فان على ذلك الصبير سقوط فلان ـ وسماه وقد عرفته ـ منذ ثلاث سنوات وذلك ان حارسا من المجاطيين يحرس الخضر في حقله ليلة ، فاذا باحد الاكماريين يسرق من الحقول ، فقفز عليه لياخذه فاذا بالآخر ناهضه، وكانا قريبين الى حافة الجرف، فتجاذبا فإذا بهما افلتا معا في الجرف ، فتناثرت اشلاؤهما بين صخوره ، فعمد بعض ذوي قربى الاكماري الى بعض اشجار على شفا الجرف ، فنشرها بالمنشار الى ان لم يبق لسقوطها الا قليل ، فتركها ناويا ان يستند الى بعضها بعض المجاطيين ، فيسقط في الجرف فيثأر لاخيه ، فساقت الاقدار ذلك الرجل المسمى فاستند الى شجرة من تلك الاشجار ، وكانت تلك عادة الناس هناك ، فمالت به الشجرة فتردى من الجرف الا ان الله رحمه ، فلم يبعد كثيرا ، فسقط على ذلك الصبير فبقى هناك مغمى عليه لا يشعر ، فاطل انسان عرضا ، فرآه على حافة طرف من الصبير ، سرعان ما ينقطع به ان تحرك ادنى تحرك ، ولم يكن مستويا في وسطه ، فنادى من اعانوه ، فسلكوا ترهة حتى قاربوا الصبير ، فأهوو بشبكة ، فيسر الله ان استوى الرجل فيها ، وهو لا يزال في اغمائه ، فرفعها من كانوا فوق الجرف بالحبال رويدا رويدا ، حتى اطلعوه سالما ، فبقى ملقى على الفراش ما شاء الله الى ان برئ ، فكانت حياته الممتدة من اعاجيب القدر ، وهذا الرجل اخو الفقيه الحاكي ، وهذه الواقعة وقعت عام 1357 هـ. كما اظن .

نزلت من تلك الثنية مع الفقيه راجلين اخترنا ذلك على خضخضة البغال في هذا المنحدر الصعب ، وان كانت الحكومة سوت منه تسوية ما ، ثم نزلنا على قريتي (إسكيوار) فتذكرت اياما كنت فيها سادرا بين صبيان هذه القرى ، فاحسست بعاطفة تنفتح صفحتها لذلك من صدري ، فقلت ابعد ما رايت من بسائط الحوز والشاوية وتادلة ومكناس ، ومن ازقة الحواضر كالحمراء والرباط وفاس حيث وادى ابى رقراق ووادي الجواهر، تطبيني هذه القرية الساذجة الملتوية

1) الصبير : نبات يشبه (اكنارى) واما اكنارى فاسمه التين الشوكى.

تحت اجنحة هذا الجبل الهائل ؟ فاذا بي اتذكر قول حبيب :

كم منزل في الارض يألفه الفتى   وحنينه ابدا لاول منـــــزل
نقل فؤادك حيث شئت من الهوى   ما الحب الا للحبيب الاول

وكان الملتقى باحدى قرى ايسكيوار في عواشر نحو 1333 هـ. عند الاستاذ سيدي عبد الله الاكماري رحمه الله . وهو من اصحاب الوالد .

ففي وسط هذا المنحدر لقينا رسالة من الاديب الفقيه سيدي احمد بن سعيد الذي اليه نقصد يرحب بنا، ويطير فرحا بورودنا ، لاننا كنا كتبنا اليه من (تاغلولو) وهذا هو الجواب :

« الاستاذ الافخم الفقيه الاديب سيدي محمد المختار ، السلام الاطيب على سيادة سيدي ومجادته . هذا وقد وصل كلامك ، فقمت وقعدت اجلالا واعظاما وفرحا بهذا اليوم السعيد ، فقد والله اهدى الي الدهر ما لا اتيقن قبل اليوم حظوره ببال الاقدار ، حتى اسعدتني به اليوم حقيقة» .

لم نزل نتلوى في تلك الطرق بين الحقول ، وتحت اغصان الزياتين، حتى نزلنا امام مدرسة تاكاترت فدخلنا المدرسة فاذا بها خالية ، لا عريب فيها ولا ديار ، لان الوقت وقت العواشر ، فطافت بي ذكريات شتى حول ما يقال من ان تاكاترت التي بنيت هذه المدرسة بجوارها ، وموزايت التي بنيت ايضا مدرسة اخرى ازاءها في بعقيلة اختان كانتا في طليعة من عانقوا الاسلام في (جزولة) من اول يوم ثم صرت استنبط من ذاكرتي من اعلمهم درسوا في هذه المدرسة من اوائل القرن الماضي الى الآن . فقلت (السر في السكان لا في الديار) وعلى المدرسة روعة وبهجة من آثار من سلفوا . ثم ذهبنا قدما على اقدامنا الى قرية (تاضكوكت) حيث منزل الاستاذ ، وهي قريبة من المدرسة فانحدرنا الى مسيل الماء، ثم صعدنا الى الدار . فتلقانا الاستاذ ببهجة وبشاشة وسرور وحبور كانت عنوانا بارزا عما يكنه من كرم وسماحة وطيب سريرة ، ثم لم ننشب بعد صلاة العصر ، ان قربت الدفاتر فازدلفت اليها ، والكتب الكثيرة المخطوطة التي فيها غالبا طلبتي تغازلني من بين مطبوعات شتى ،

فحاولت ان امعن كما ينبغي الا ان الاعياء وتاثير الركوب على البغال الموكفة في ستساعات قد بلغا مني مبلغا عظيما، فقلت ارايتكم بيننا وبين الرجولة؟ ولوكنا نخشوشن دائما كما يقول عمر بن الخطاب تمعددوا[1] واخشوشنوا فان الحضارة لا تدوم ، اما وقعت الان في هذا ولكن صدق بيهس حين قال : (لو خيرت لاخترت) فصابرت في المراجعة مصابرة نهم وقع بغتة على طعام لذيذ بعد ما لعب به السغب ، وقد عرف انه لا يجد الطعام بعد ، فحبست نفسي مرغمة ، واني على امثالها لحابسها[2] مرغمة .

قرب المغرب فصلينا في بعض الحقول خارجا، فاذ ذاك لاقينا شيخنا سيدي عيسى التاضكوكتي ممن مررنا امامه في طور اخذ القرآن ، وفي الصباح استدعانا ابن الفقيه سيدي الطيب بن ابراهيم ابن عم مضيفنا ، فصادفت الفقيه سيدي محمد ابن العلامة الشهير سيدي محمد الغرمي الجراري ، وقد بكر الى القرية لبعض اغراضه فتصاحبنا فاستفدت منه ومن رب مثوانا ابن الطيب بعض ما اتوقف فيه منذ اعوام ، وذلك موجود في تراجم الغرميين في القسم الخامس من كتاب (المعسول). ثم ورد علي هناك بعض طلبة من اخلاف الاسرة البوشيكرية العالمة ، ومعهم مشجر نسبهم ، ومؤلف للعلامة عبد الله بن ابراهيم البوشكري شرحا للبردة ، ذكر في اوله انه اختصره من شرح عليها لاحمد

1) تمعددوا : تشبهوا بمعد بن عدنان ، وقد كان بدويا خشن المعيشة .

2) من قول ابي نواس في قطعته المشهورة التي هي - وقد حفظناها يوما ونحن في زورق على ابي رقراق :

ودار ندامى عطلوها وادلجوا	بها اثر منهم جديد و د ا ر س
مساحب من جر الزقاق على الثرى	واضغاث ريحان جني ويابس
ولم ادر من هم غير ما شهدت به	بشرقي ساباط الديار البسابس
حبست بها صحبي علي مطيهم	واني على امثال تلك لحابس
اقمت بها يوما ويومين بعده	ويوما له يوم الترحل خامس
تدار علينا الراح في عسجدية	حبتها بانواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها	مها تدريها بالقسي الفوارس
فللماء ما زرت عليه جيوبها	وللراح ما دارت عليه القلانس

العباسي المفتي الشهير، ومن شروح اخرى، وقد سماه (تنبيه الطلبة على معاني البردة) فرغ منه وسط ربيع الاول عام 1110 ه وهذه النسخة التي هي بخط المؤلف في 128 صفحة في نحو 20 سطرا في كل صفحة ، في قالب يميل الى الصغر، وفي منتهاه بعد اختتام الشرح دعاء في الطويل على روى التاء المكسورة في ثلاث صفحات مطلعه :

حمدتك لا احصي ثناء بلهجتي علیك الهي يامن احسن فطرتي

ولا أدري اهذا الدعاء لهذا الشارح ام لا ؟ وقد اخبرني البوشيكريون ان لاحمد بن عبد الله البوشيكري شرحا على مختصر خليل لم يتمه، وشرح العباسي موجود ايضا رايته عند شيخنا ابي محمد التامانارتي في تانكرت .

ثم انني حررت عن البوشيكريين ما تيسر حول علماء اسرتهم وستوجد تراجم رجال هذه الاسرة ان شاء الله في (الفصل الاول) من القسم الرابع من (المعسول) ثم لم نبطيء هناك ، فراجعنا دار الاديب ابي العباس ، فأقبلت أيضا على كتب ما سنح ، وقد وقفت هناك على مؤلف لابن يحيا الاضريفي في النكاح ذكر فيه سننه وفرائضه ومستحباته ، وهو صغير في ورقات في القالب الكبير ، كما وقفت أيضا على نقل عن اجوبة فقهية للعلامة احمد بن عبد الرحمن التيزركيني، كما استفدت ايضا من كلام لابن عدي العركوبي ان هناك عالما يسمى عبد الله بن سعيد الاكماري ، ينقل عنه احمد بن ابراهيم الاكماري كلاما حول علو الهمة المطلوب لكل ذي علم ، ولعل احمد هذا هو احمد بن محمد بن ابراهيم البوشيكري ، وأما عبد الله المتقدم فلم اعرفه الا انه عالم كبير القدر ذو شهرة ولعله من اهل الثاني عشر، او اوائل الثالث عشر ، ولعله صاحب العباسي الاتي ذكره ، كما كان هناك ايضا الحسين بن ابي بكر بن احمد الايلالني ، نقل عنه العركوبي المذكور بواسطة آخر كلاما لمحمد بن مبارك الكدسي المحجوبي، فأما هذا المحجوبي، فهو شارح الاجرومية الشهير وتوجد ترجمته مع اهله في (القسم الرابع) من (المعسول) واما الحسين ابن ابي بكر فلا اعرفه الا من هنا ، وهو على كل حال من اهل اوائل القرن

الماضي ، كما كان هناك ابو بكر بن محمد بن عبد الله الدفلاوي - الايلي - السملالي نقل من خط محمد بن يوسف بن احمد الجزولي التملي وكلاهما عندي الان نكرة ، وهما على كل حال عالمان كبيران ، الا ان يكون محمد ابن يوسف هو المقري العلامة المراكشي المتقدم فيكون حينئذ معروفا عندنا ، وكذلك ابوبكر بن محمد بن عبد الله، الغالب ان يكون ابن ذلك الذي ذكره العلامة ابو حفص الكرسيفي في مؤلف له في كيفية قسمة التركة ، فيكون ولده هذا من اهل اوائل القرن الماضي ، كما كان هناك الفقيه محمد ابن ابراهيم التوماناري، وكان مفتيا كبيرا مذكورا، يصار الى افتائه، واستفدت من الاديب ابي العباس رب مثوانا اسم محمد بن عبد الله بن سعيد الاكماري من قرية آيت محمد، عالم كبير ذو مقام عال في عصره كما تدل عليه فتاواه(1) واحكامه وربما ادرك اوائل الثالث عشر، وقد وقفت له على فتاو اخرى في هذه الرحلات ، وأبوه عبد الله بن سعيد، كان علامة مفتيا عاصر الاستاذ احمد العباسي الشهير ، وقد رد عليه العباسي محررا حرره. وبيتهم في قرية (اد محمد) بيت علم، ويقال لهم اد الطالب سعيد، ولعل سعيدا ايضا عالم كولده وحفيده ، وليس سعيد هذا بسعيد بن علي بن احمد الحلواني تلميذ الشيخ عبد الله بن يعقوب المذكور بين تلاميذه في ترجمته (في المعسول) في (القسم الثالث) ، كما وقفت هناك ايضا على فتوى في عدم الاعتماد على البارود ليلة الشك في رؤية الهلال ، وقعها ابراهيم بن ابراهيم ، واحمد بن محمد التاوريرتي الرسموكي والحسن بن محمد بن الحسن البعقيلي وعبد الله بن عبد الواسع وهؤلاء كلهم من اهالي القرن الحادي عشر . وقد وقفت على مثل هذه الفتوى كتاييد لها لسيدي احمد بن سليمان الرسموكي قائلا: لا يعتمد على البارود الا اذا كانت العادة تقضي ان لا يعلن بالبارود حتى يثبت الهلال بما يثبت من عدلين او جماعة مستفيضة وهو تفصيل معقول مانوس، وقد وقفت هناك ايضا على كتاب نسخة ابراهيم ابن محمد بن ابراهيم بن محمد بن يونس بن يحيا السملالي، من بني ألني

1) الفتوى يجمع بالفتاوي والفتاوى

اتمه في 18 ـ 3 ـ 1060 هـ وعلى آخر نسخه ابراهيم بن عبد الله التودماوي لشيخه عبد الله بن سعيد الحاحي ، اتمه عام 996 هـ وعلى كلام لاحمد بن محمد ابن ابراهيم الايلالني ، ثم من فجة (تاراڤاتين) ، وعلى آخر لعبد الواسع بن بلقاسم التملي ، وكل هؤلاء لا استحضر الان انني عرفتهم ، وهكذا يقع كل يوم المطالع على عشرات بل مئات من علماء جزولة ، لا يزالون مغفلين غير موسومين بمعرفة ، مع ان لهم ءاثارا من أقلامهم ، وتأثيرا في محيطهم ،

وقد كتبت ما تيسر عن الاديب ابي العباس رب مثوانا الكريم مما يتعلق بتراجم آله الكرام ، وان كان ذلك لا يزال دون المطلوب حولهم ، ويوجد ذلك ان شاء الله في الفصل الاول من القسم الرابع من (المعسول) .

بهذا ملات ما بين الاسفار الى ان كادت الشمس تزول عن كبد السماء، فشغلت عن مراجعة عشرات من المخطوطات حولي، فارجأت مراجعتها الى فرصة اخرى ، لاننا مضطرون ان نسافررغم الحاج مضيفنا الكريم على البيات ثانيا ، ولهذه الخزانة ـ على كل حال ـ دين علينا ، لا يزال قضاؤه منتظرا يوما ما[1]

إيلميغ

خرجنا من (تاضكوكت) وهى موضع الرياسة لاهل هذا الوادي في القرن الحادى عشر من اسلاف هؤلاء الشرفاء التاضكوكتيين ـ فيما اسمع ـ فذهبنا قدما وقد استبنا غالب القرى، وقد سمعنا بان غالب سكان هذا الوادى من (اداوسلام) وذكر انه كان هذا الوادى اقفر حينا من جميع اهله ، لنضوب العيون والآبار وجفاف الانهار واذ ذاك دفت اليه دافة من السلاميين ، فاستولوا على غالبه ، ويقولون ان ذلك كان قبل القرن العاشر وبمناسبة مرورنا بهذا الوادى تذكرت ما حدثنى به استاذى سيدى عيسى وانا اسأله ليلة عن اخبار اهل هذا الوادى ، فذكر الدماء التى تجرى بينهم فصار يعد ما بين قتيل وقاتل ممن في جيله والجيل الذى ادركه ، فوصلوا مائتين عدهم لى عدا فليسمع التاريخ وليسجل.

1 اقول الان سنة 1380 اننا لا نزال محرومين من الاستمتاع بامثال هذه الخزائن السوسية

ثم لما سامتنا مشهد الشيخ سيدى ابراهيم التازاروالتي المطل فوق قرية (أنكران) وقفت مليا معتبرا من تفرق تلك الجموع من الفقراء الذين كانوا يموجون في زاوية هذا الشيخ الى 1353 ﻫ ثم سرعان ما ذهب ذلك بالكلية عام 1357 ﻫ. يوم اقفال زاويتهم باذن الحكومة ، فانطوى ذلك المكان واقفر ، حتى كانه الان مرت عليه قرون ، مع انه لم يمر به بعد الا اربع سنوات ، وعند منفتح هذا الوادى ، مشهد سيدى عمرو الاغرابوبى جد آل ناضكوكت وعليه بيت ثم اندفعنا في اوساط البسائط التى تتخللهـا وهـاد غير عميقة فيها آثـار لعمارة كثيرة مرت هناك ، وجداول وحقول تشهد بان استعمار هذه الاراضى كان غير قديم والسدر يوجد هنا وهناك ، وبسائط تازاروالت الفيحاء ، لو تيسر لها استعمار كثير من ايد عاملة محبة للاستثمار ، سرعان ما ترجع الى عهدها القديم الذي تشهد له هذه الحقول والجداول ، ولو كانت سدود قوية عصرية صائنة للمياه فى نحور كل هذه الجبال ، لسهل هذا الاستعمار الدائم ، لان العلة الواضحة في هذه القحولة البائسة التى اكتست بها هذه الاراضي، هي عدم الماء الدائم لان غالب مياه وادى الاكماريين وكل ما يسقى بالماء الى الان في تازاروالت ، انما كان من آثار الامطار ، فان كثرت في عام من الاعوام ازهرت الحقول وربت ، والا رجعت قفرا يبابا . ويعود ما كان نبت فيهـا قبل مصوحا هشيما .

كانت البغال تخب بنا صوب ايليغ ، وانا اجيل فكرى حول العظمة التى تكون لهذه الجهة في القرن الحادى عشر ، حين كانت تازاروالت مركزا كبيرا لمملكة امتدت الى سجلماسة ، والى بوريقى بحاحة والى تخوم السودان في الصحراء فكم من جيوش تتموج هنا وكم اعوان بخيول مطهمة تتجارى في هذه الهضاب الواطئة المتواضعـة كانمـا استمدت الهضاب مـن اخلاق هؤلاء السكـان اليوم المتواضعين الذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا ، فكانت هذه الافكار وما اليها تساورنى باطنا وان كنت اجارى الفقيه سيدى

بريك بن عمر باحاديث متنوعة ، فتارة بجزوى ، وتارة بالخليصاء[1] .

نـزلنا نحو الواحدة ونصف بعد الزوال ، فتلقانا اهل (ايليغ) بكل ترحيب كان معتادا منهم لكل وارد ، فـانهم لكرمهم الفيـاض ، يغشون حتـى ما تهر كلابهم ولا يسألون عن السواد المقبل[2] فتجلى لنا اخونا الشريـف المحترم ذو الفكر الوقاد والهمة العليا ، الرئيس الجليل سيدى على بن محمد بن الحسين ابن هاشم ، في ابهة براقة بيضاء كانما احتفل بمقابلة ملك من الملوك ، تفضلا منه وصحة وداد ، ومتانة اخوة ، ثم قدمنا الى قبة مؤثثة اثاثا حضريا فـلا ادرى من اي شيء اقرأ كيف سروره بنا ، امن حسن استقباله بأبهة وتهيئة هـذه القبة الفخمة الاثاث ، ام من برقان البشاشة في محياه المتلألىء بالبشر ، حتى انني لاحس به يطفح حبورا، واما ما والاه علينا فحدث عن البحـر ولا حـرج، وهكذا هكذا يكون ابناء العظام ، تتجلى عظمتهم في كل جهة.

القينا عصا التسيار ، والشريف المولى الحسن ابن رب المثوى قائم على ساق حوانا ، وقد كاد يطير بهجة بهذا اللقاء، وكأنه تذكر اياما قضيناها معسولة بين اليراع والدفاتر والابحاث العلمية في الحمراء ، حين كان بين الآخـذين من تلك الدروس ، فأراد أيضا ان يستنبط مثل ذلك الاستمتاع الذي كـنـا فيه اذ ذاك ، فقلت له اكتب ابياتا حضرت ، فتناول اليراع فكتب :

اليكم بني ايليغ جبنا التنائفـا ... نلقى لحر الهاجرات المعارفا[3]

رحلنا الى ابوابكم رحلة بهـا ... شمخنا على الدنيا نجر المطارفا

اتينا وقد كنا عرفنا تليدكـم ... من الشرف العد اللباب وطارفا

لتستمتع الابصار ايضا بما درت ... يراعاتنا فاستودعته الصحائفا[4]

---

1) من بيت قديم :

يوما بحزوى ويوما بالعقيق ويو ... ما بـالعذيب ويومـا بالخلـيصـاء

2) يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسالون عن السواد المقبل

3) التنوفة : الفلاة التي لا ماء فيها ولا انيس ، والمعارف : الوجوه .

4) اشارة الى الكتاب الذي جمعته وسميته «ايليغ قديما وحديثا» .

اروني مجالات الملوك جدودكم — واين ادروا في الانام العوارفا ؟
واين استظل العلم منهم بوارف — وهل عندهم الا الظلال ورائفا ؟
واين ميادين الجيوش اذا اتت — على كل جرد لم تكن بمقارفا[1]
اروني اروني كي اكون مشاهدا — لما كنت منه في التواريخ عارفا
فاني - ولا فخر - تفردت عنهم — بكل نبا فلق[2] يضم لطائفا
فيا طالما كانوا بني سمرى اشي — طروسي بما عن مجدهم كنت عارفا
فما زلت في بحث المشابر قاطفا — هنا وهنا عما قضوه قطائفا
الى ان حيوا بين التواريخ فانثنوا — بذلك بين الباحثين معارفا
فما منهم الا رجال اذا احتبوا — فليسوا يبالون الرياح القواصفا

وهي ابيات ملفقة كما يراها القارىء البصير ، الا انها قوبلت من الشرفاء الكرام بكلتا اليدين تكرما منهم وتنازلا حياهم الله وبياهم ، ثم سرد علي المولى الحسن هاتين المقطعتين الفذتين لوالده في الترحيب :

القطعة الاولى :

اسيدنا الندب جاء الفرح — لجانبنا وازيل الترح
فمذ زرتمونا بمهجتكم — علانا السرور وجاء الفرح
عليكم سلام يطيب كما — يطيب الرياض نسيم الصبح[3]

والقطعة الثانية :

لقد زارنا خير الجحاجحة الغر — فنحن من الافراح نسبح في البحر
فاهلا به ومرحبا ثم مرحبا — به من نزيل نسحب الذيل بالفخر
محمد المختار خير احبة — لنا فجزاه الله بالفضل والخير
سقانا بهذه الزيارة شربة — مذاقتها احلى لدينا من الخمر
هو السيد الميمون في كل حاجة — به نرتجى من ربنا منة الشكر
فيا اهل الغ قد حباكم الهكم — برويا الهمام الندب فيكم بلا حجر

وقد لاقينا هناك فقيه تلك الحضرة ، السيد الناسك الهادى الباش الهاش

---

1) المقرف من الخيل غير الجيد . 2) فلق كحمل : عجيب. 3) جمع صبحة.

الموطأ الاكناف ، سيدى محمد الانصارى ، وبا طالما كنت اسمع به ، ثم لم يتيسر اللقاء الا اليوم. فكان اسعد الايام ،وقد كتبت عنه ما يلى :

انه محمد بن محمد بن مبارك بن سيدى علي بن محمد الامين بن سيدى عمر بن عبد الكريم ، من قبيلة الانصار من احفاد سعد بن عبادة ، وذكر ان في بلدهم (ولاتة) مشجر انسابهم مرفوع السلسلة أبا عن اب ، ولد عاشر ذى الحجة عام 1290 ه. واخذ القرآن من سيدى المختار بن مبارك الولاتى وبه تخرج ، ثم المبادىء العلمية عن محمد يحيا بن سلمة ، الورع الزاهد واثنى عليه ، ثم عن محمد المختار ابن العلامة الشهير ، محمد يحيا الولاتى ، شارح (مرتقى الوصول ، الى علم الاصول) اخذ عنه بعض مختصر خليل ، وبعض الالفية وهذا كله في قاعدة (ولاتة) عاصمة الحوض ، والحوض عمالة كبيرة فى متسعها نحو 15 يوما طولا ومثلها عرضا ، واميرهم احمد محمود بن محيميد ، وهو امير مستقل ، وكان معاصرا للمولى الحسن ، وبعد وفاته انقسم اهل الحوض ، فتحاربوا ـ 10 ـ سنوات وبسبب هذا الانشقاق وقع احتلال بلادهم عام 1322 ه صلحا لا عنوة، وقد شرطوا على المحتلين الا يحتلوا الحوض الا بعد ان يحتلوا ادرار وشنكيط ، وقد غادر الحاكى مسقط راسه قبل الاحتلال ، فاوى الى الشيخ ماء العينين في الصمارة زائرا ثم تاجرا في 1317 ه. وفي 1319 ه. ورد الى ايليغ ، فنزل على هؤلاء الكرام الذين لا يزال متقيدا باحسانهم (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) ويذكر عن ولاتة كثرة العلم ، قائلا عهدى بها عام 1316 ه. تحتوى على زهاء ـ 200 ـ عالم ، اعرفهم كلهم معرفة العين ، والعلامة محمد يحيا من كبرائهم ، ثم ذكر ان النقص سرى الى ذلك بعد 1330 ه (1)

اثر العصر خرجت مع المولى الحسن وسيد ناصري ممن نشأ تحت كنف اولئك الكرام ، كان سكن الحمراء ما شاء الله ثم اخيرا حين التقت حلقتا البطان بسبب هذه الحرب العوان، وعادت البادية افضل من الحاضرة بمراحل، فصرنا ندور في موضع المدينة المهدمة ، فاريانى برجين لا يزلان الى الان، اما

1) توفى هذا الفقيه ورب مثواه سيدي علي بن الحسين متقاربين عند مختتم سنة 1376ه

احدهما فكان متعبدا للشريف العالم سيدى ابي بكر ابن السلطان بودميعة صاحب المشهد المطل على (ايليغ) فوق اكمة في شرقيها الشمالي ، والبرج مبني بالآجر ، ولا يزال مسقفا، وهو مزارة اليوم . والبرج الثاني يسامت هذا شرقيا في زاوية من زوايا السور ، وهو مبني باللوح المختلف طولا وعرضا ، وذكر انه مركز المدافع (الصقالة) ولا يزال يعرف بالصقالة ولم يزل طرف منه مائلا ، وبين البرجين دار الامير الكبرى لا يزال بعض جدرانها قائما كانه نادبة من نوادب الدهر الذى لا يرحم من يمد اليه براثنه وانيابه . وتحتها سرب مقبو ظاهر ومكان حمام الدار وهناك في الدار ما يسمونه هرى سيدى علي بودميعة ، يقولون انه انهدم بقنابر مدافع مولاي الرشيد يوم حاصر هذه المدينة 1081 هـ. فسقط على كل من فيه فمات الكل تحت الهدم ، ولا يزال الناس يترحمون عليهم الى الان .

هذا وشوارع المدينة طولا وعرضاً لا يزال بعض آثارها واضحا ، وقد استفاض عند السكان اليوم مواضع الابواب في منتهى الشوارع الرئيسية في المدينة ، والمدينة مستطيلة ، ولكنني استصغرها حتى قيل لى ان القبائل السوسية اذ ذاك، قد دفعت كلها فرقا فرقا منها للسكنى هنا، فانفردت كل قبيلة بقرية ازاء هذه المدينة ، فأروني هضابا كثيرة من جوانب ايليغ، كلها مسكونة اذ ذاك، وقد عينوا موضع سكنى الافرانيين والصحراويين وغيرهم ، وكانت مساكن هذه الاوزاع من القبائل تحيط بالمدينة من كل الجهات الاربع ، فظهر لى بذلك كبر العمارة واتصال السكان كلهم على كثرتهم بالمدينة ، فامكن حينئذ ان اتصور عظمة هذه العاصمة، كعاصمة دولة كل جنوبي المغرب ، وقد رايت مزارة في يسار المدينة منسوبة الى من يسمونه عبد العلي ، فتذكرت ان الرسموكى ذكره في وفياته فراجعتها فاذا فيها :

(المؤدب سيدى عبد العلي بن عبد الرحمن بن علي الدرعى الانصارى رجل مسكين متواضع لقى جماعة من الصالحين ، كالصالح المشهور سيدى احمد ادفال ، وسيدى يحيا بن عبد الله[1] وغيرهما ، توفى رحمه الله بايليغ ودفن بالزاوية بالقولنج ، في جمادى الاولى سنة سبع وخمسين والف، اخبرني رحمه

1) لعله يقصد يحيا بن عبد الله بن سعيد بن عبد النعيم .

الله بوظيفة سيدى زروق باسناد عال ، عن ختنه سيدى احمد ادفال عـن سيدى بر كة الحطاب ، عن الولى الصالح سيدى زروق. وان شئت قلت عن النبي صلى الله عليه وسلم في حكاية يضيق هذا الموضع عن استيفائها.

ذلك ما ذكره الرسموكي تلميذه ، ولكن يعكر في كونه هو هذا ، قوله انه دفن بالزاوية ، لان الزاوية اذا اطلقت هنالك يعنى بها المكان الذي فيه مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى ، ويبعد ان يكون الزاوية المعنية هذا المكان الذي دفن فيه في المدينة، اللهم اذا ثبت ان له زاوية كان فيها ساكنا ثم دفن فيها ، ويكون المقصود زاويته هو ، ولا يبعد هذا والله اعلم .

وهناك ايضا مزارة لمرابطات ينسبن الى سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ لاندري كيف وجدن هناك ، ولعلهن تزوجن الى هذه المدينة ، او ولدهن ابوهن هنا ، فذاع عنهن ما ابقى لهن هذه الشهرة .

ومما لا يزال هناك ظاهرا معروفا ، موضع السجن الذى يذكر بسجن مكناس الاسماعيلى ، او بمطبق البديع بالحمراء لان الكل محفور تحت الارض ومقبور في دهاليز ، كما لا يزال يظهر موضع مسجد المدينة الكبير ، الذى كان انهدم مع المدينة ، ومكانه لا يزال معروفا عندهم ، وحدود المدينة ظاهرة في غالب جهاتها وقد اروني كدى في الشمال الغربى بينها كدية في وسطها عالية القمة ، ذكروا انها محط مدافع المولى الرشيد الفيلالى العلوي يوم حاصر ايليغ ، كما ذكروا ان هذه السوق التى تقام الى اليوم قديمة من ذلك العهد. والمدينة المهدومة تاتى فى شمالى ايليغ المحدثة التى يسكنها اهلها الان ووراءها مجرى ماء في الفصل الشتائى ، والى الغرب آثار ديار ومجار قديمة يقولون انها كلها اراضى المدينة في ذلك العهد ولا يزال محل جدول ينعتونه معروفا هناك ، اجرى فيه الامير الماء ، فوصل به ما بين تلك الديار والمدينة ، وبهذا كله يتضح متسع هذه الخطة اتساعا يوافق ما يحسب لتلك العاصمة التى غار منها الدهر ، فكاد باغاراته المتوالية عليها يلحق منها الاثر بالعين .

وفي شرقى المدينتين القديمة والحديثة ، عيون جارية امتدت بها البساتين الملتفة بالاشجار والخمائل من اليمين الى الشمال ، في وهدة متصلة الا ان

عمارة البساتين اليوم تراجعت ايضا للتفريط فقط ، وفي اعلى من هذا المكان العوينة التى كان فيها مسكن الرئيس سيدى الهاشم بن علي لان ايليغ الحديثة ما عمرها ولا اشاد قصورها الا الرئيس سيدى الحسين .

هذا ما لا ازال استحضره في حافظتى الان عن ايليغ بعد ما جلت فيها وحولها في هذا اليوم وفي الغد .

جلت في اليوم الثانى في باحات ايليغ الحديثة ، فينعتون لى من الاصطبلات الواسعة والميدان العام لمسابقة الحلبة ما مر ايام يعسوب ايليغ الحديثة سيدى الحسين بن هاشم المتوفى عام 1303 هـ من عمارة هائلة والارض تميد بالعبيد والاعوان والاضياف من كل صنف صنف ، صحراويين ، وجزوليين . وحضريين ورؤساء القبائل وكبار علماء ذلك العهد ، فارى بالتصور عظمة ذلك العهد الذى زال بكل سرعة ، ولا يزال من ادركوا ذلك العهد احياء الى الان ، ذلك العهد الذى تفوق فيه ايليغ بووابوض ايام القائد عبد المالك المتوكى وازغار ايام القائد الحاج عبل الحاحى . ولكن دوام الحال من المحال ، ولكن ان ذهب سيدى الحسين ، فما ذهبت عظمته ولا صنائعه ولا آثار روعته وابهته التى تزال مجالات الاسمار في كل النوادى الى الآن على ان تلك الصفحة ان انطوت فقد تفتحت صفحة اخرى لها اون آخر براق خلاب من رئيس ايليغ اليوم سيدى علي حفظه الله فقد كان كله في رياسته حلواً لكل الناس ، ودائرة حلم واغضاء مع علمه الذى كون له هالة لم تكونها لاهله الاولين والآخرين تلك الجيوش الجرارة، ولا مآت من اولئك الاعوان الذين يذهبون ويجيئون فى الايراد والاصدار.

طفنا في تلك الباحات نلج الابواب الى ان وقفنا امام المجلس العام الذى يجلس فيه سيدى الحسين ، وديار الاضياف الكثيرة منتشرة يمنة ويسرة في بناء يميل رونقه الى الحضارة في هندسته وحسن معماره ، ومن هناك يدخل الى الدار الكبرى لسيدى الحسين ، وقد ذكر لى ان فيها ثمانين مسكنا وكل ذلك في دائرة واحدة بالبناء المتين ، وازاء هذه الدار الكبرى ديار أخرى ، منها دار لسيدى احمد بن سيدى محمد بن الحسين، بارزة الزوايا يعلو سطحها

وهي بيضاء ناصعة اللون واحسب ان فيها سكنى الشريف سيدي الحسين خليفة سيدي علي اليوم في ادارة شؤون القبيلة ، وسياسة من اليهم ففرغ والده لان يولي وجهه لعبادة ربه ، وهناك مسجد صغير في وسط هذه الديار كان مقام الصلوات الخمس الى الان ، وكان سيدي محمد بن الحسين لا يغيب فيه اي صلاة حتى الصبح في صبارة الشتا° يحضر اليه سحرا مبكرا قبل الناس ، وفي مقابلة هذا المسجد عند باب الدار الكبرى دويرة تسمى دويرية العود لانها محوطة في داخلها باطار من العود في نحو ذراعين في اسافلها ففيها جلست حينا هذا اليوم فاتوني بكل ما في خزانة ايليغ من الكتب فامرت ان تماز لي المخطوطة وحدها، فاقبلت اليها مفتشا .

ومما وقفت عليه من المخطوطة :

1) مرائي الزواوي محمد بن محمد بن عمر الفراوسقي المسماة «تحفة الناظر ، ونزهة المناظر» بخط الاستاذ العلامة احمد بن ابراهيم السملالي نسخها عام 1281 ه للرئيس الحسين بن هاشم ، فاستفدنا من ذلك همة هذا الرئيس في هذه الجهة ، وهذا الكتاب رأيت منه نسختين اخريين في جولتي هذه ، وهو يذكر الرؤى التي رأى فيها سيد الوجود صلى الله عليه وسلم .

2) مجلد ضخم جميل الخط في أخبار سيدي محمد السنوسي مبتور أخيرا نسخت هذه النسخة عام 1016 ه وقد اطال في اخباره ، وأتى بقصائده ، وقد كتب الى العلامة ابن الطاهر الرسموكي بما نصه :

«ذكر الهلالي في شرحه على القادرية: ان الملالي تلميذ الشيخ السنوسي الف مجلدا في مناقب شيخه المذكور ، ثم اختصره الشيخ احمد بابا» ولعل ما تقدم كتاب الملالي ، وقد جلد معه «مبهمات القرآن» للسهيلي بذلك الخط الجميل الا انه مبتور ايضا ، وقد رأيت من الكتاب ـ في هذه الجولة بخزائن جزولة ـ نسخا متعددة قديمة ، مما يدل على انتشاره بين الجزوليين الاسلاف والكتاب مطبوع اخيرا .

3) كتاب ادبي حسن بخط وسط بيد الاديب سيدي الحبيب البوسليماني، ويسمى

«روضة الازهار، ونزهة الابصار ، الجامع لفنون الآداب ، وسحر الالباب» ولم ار الكتاب قبل ، فتتبعت ابوابه فكانت هذه :

الشعر والشعراء ، البلاغة والبلغاء، اخبار الحكماء، الاجواد، البخلاء الامداح الهجاء ، الشجعان ، الجبناء ، الامثال السائرة ، طرائف الاخبار ، الاجوبة المسكتة النساء ، نوادر الغلمان ، العشاق ، المغنون والمغنيات، المضحكات اخبار الاعراب النوكى والمغفلون ، ظرفاء المجانين ، المتخنثون ، المتنبئون ، النهمون والطفيليون ، الثقلاء ، الاسارى والمسجونون، المراثي ، الشعر النفيس، ضروب المخاطبات ، الزهاد ، اشعار الزهاد .

والكتاب ادبي ، ولعله موجود معروف ، وربما كان مطبوعا من حيث لا ادري .

4) «المنهاج في اسرار الايلاج» يتضمن عشرة ابواب في جزأين صغيرين كما يظهر في آخره ، حين قال ناسخه سيدي الحبيب المذكور ، هذا آخر الجزء الثاني ، وهو مع المتقدم في مجلد واحد ، ولم يتسع الوقت لاستوفي مرامي ابحاثه في هذا الموضوع ، ولم اسمع به قط .

5) مجلد ضخم بخط بين واسع ، فيه اواخر السيرة النبوية وفتوح الشام ، ولم يكتب عليه مؤلفه شيئا ، وأحسبه الجزء الثالث من الكلاعي ان كان ضم للسيرة النبوية اخبار الخلفاء الراشدين ، ولم اكن طالعت قبل الكلاعي . وقد انقضى هذا المجلد بعد غزوة اليرموك ، وقال ناسخه ويليه المجلد الرابع في فتح مصر وأيا كان فمؤلفه في نحو آخر القرن السادس وقد رأيت هنالك مجلدا او مجلدين في هذا النمط لعلهما اخواه وقد كنت عزلت بعض هذه المخطوطات حتى انفرغ اليها بإلغ ، وقد اوصيت ان تصلني الا انها اختلطت بكتب الخزانة بعدي ، فلم يصلني الا المجلد المذكور مما عزلته ، وربما اتوصل بها ايضا فالحقها هنا ان رايت فيها ما يستحق الذكر ، والذي اهمني من هذا المجلد، انني رايت حواليه توقيفات مما يدل على انه يسرد منظما في مجلس الرئيس سيدي الحسين ، مما له من همة في الاخبار النبوية وما اليها ، فكان

ذلك ترجمة مذهبه له ولآله (ثم تحققت انها سيرة الكلاعى وطالعتها وقد كان سيدى الحسين معنيا بها)

6) مجموعة عجيبة تتعلق بالرماية ، كانت لشيخ الرماة في عصره ، بسوس احمد بن ابراهيم الماسى ، وفي اول المجموعة مؤلف يتعلق بالرماية ، سقطت صحف من اوله ، فكان مما سقط : الفصل الاول من المؤلف ، وفي الموجود منه ما يدل على ان الفصل يذكر فيه ما ورد في فضل الرماية من القرآن والحديث وعن السلف ، والفصل الثانى في صفة المدافع التى يرمى بها ، ـ يعنى المكاحل ـ فاورد فيه كيف تصنع مستقيمة ، ومن حديد جيد ، من معدن رطب ، لا خشونة فيه فاثنى على المكاحل الرومية وفضلها على الاهلية وقد ذكر انواع (ابورى) (وناسدا) و (املوح) و (اجوان) و (ظهر السطح) ـ كذا ـ و (جوهر الدار) و (مجدام) و (اعسال) وهذه كلها انواع المكاحل اذ ذاك وقد قال ان للناس قصائد في الملحون في تفضيل بعضها على بعض، ثم ذكر الزناد ، ففضل الاهلية على الرومية ، وقال ان المكناسى والفاسي افضل .

قرات هذا الفصل فتذكرت ما كنت اعرفه قبل 1330 ه من ارباب هذا الفن في بلادنا ، حين لا تزال هذه البندقيات الاهلية معتنى بها ، وتصنع في سملالة وتحلى بالفضة قبل ان تغمرها المكاحل الرومية القرطاسية .

والفصل الثالث في صنعة البارود ، وقد ذكر ان البارود مستحدث عام 768 ه الموافقة نيفا وستين وثلاثمائة والف ميلادية ، هذا ما قال وليس بشىء فان التاريخ قد روى ان ابا الحسن المرينى قد حارب اخاه ابا علي في سجلماسة بمدافع البارود قبل سنة 740ه. بل ذكر ذلك في القرن السابع فعلمنا ان البارود كان قبل هذا الوقت ، بل وقفت له على ذكر ما يشبهه في الحروب الصليبية قبل هذا الوقت ، وقد جرى في كلام لسان الدين بن الخطيب ذكر استعماله عام 724 ه. في عهد ابى الوليد اسماعيل بن الفرج من بنى الاحمر في منازلة لمكان في نواحي (بسطة) وذلك في « اللمحة البدرية» وقد وصف ابن الهذيل آلة النفط بقوله:

وظنوا بان الرعد والصعق في السما فحاق بهم من دونها الصعق والرعد
غرائب اشكال سما هرمس بها مهندمة تاتى الجبال فتنهد
الا انها الدنيا تريك عجائبا وما في القوى منها فلا بد ان يبدو

وايا كان فالبارود من صنعة العرب. ويقال انهم اخذوا اسس هذه الصنعة عن الصينيين ، ويقال ان الشيخ يعزى وهدى ، هو الذى استحدث البارود ويوجد ذلك في ترجمته ، وتوفى 727 هـ. والله اعلم .

ثم ان المؤلف ذكر كيف يصنع البارود ، واطال في ذلك ثم ذكر بعد ذلك ، (الفصل الرابع) في صفة الشيخ الذي يعلم الرماية فذكر ان اول (واجب حسن النية وتطهير السريرة فقال ان من الاشياخ المعلمين للرماية سعيد بن محمد الناصري القاطن فوق زيمة بموضع يقال له (عين عريض) يعنـي في قبيلة حمر وكان راميا فارسا تقصده الوفود للاخذ عنه ، ثم اتبعه ذكر آخرين ، ثم ذكر ان آل حمر سيدى علي بن ناصر ، وسيدى سعيد بن ناصر ، اخذوا الرماية عن الشيخ سيدي احمد بن موسى التازروالتى وقد كانا معه في ذهابه الى المشرق ، ثم ملأ الفصل بفضائل آل حمر ،ثم ذكر بعد ذلك (الفصل الخامس) فى كيفية تعليم الرماية على الوجه الاكمل ، وفيه اول ما يجب على الشيخ ان يعلمه لمن يعلمه، الدين والتوبة ، وان يقصد برمايته الجهاد والمعاش، فان كان كذلك والا فلا يعلمه ثم ذكر كيف يعلمه بالتدريج ، وكيف يصيب المرمى من قريب او بعيد ، وقد ذكر فيها ما شاء الله مما يدل على المهارة كما ذكر ان المولى اسماعيل العلوي كان يرسل عبيده ليتعلموا الرماية من آل حمر قال ثم بقيت هذه العادة الى الان ، فمنهم يتعلم عبيد الملوك .

اقول : هذا اذن هو الاصل الاصيل حتى راينا الملوك المتاخرين يرسلون اولادهم ليتعلموا ولينشأوا في حمر ، وآخر من تعلم هناك المولى عبد الحفيظ وطبقته فقد كانوا يتعلمون هناك الركوب على الخيل والرماية من شيوخ حمريين ، كما يتعلمون من آخرين العلم والقرآن في دار هناك ، ثم ذكر بعد ذلك ، (الفصل السادس) في حكم الاصطياد ببندقية الرصاص ، ثم ذكر

جواز ذلك كما هو مشهور ، ثم ذكر كيفية صنع الرصاص المكور والرصاص المنهال المسمى بـ (الرش) ثم ذكر بعد ذلك (الفصل السابع) في كيفية اصطياد الوحوش واخذها في حال غرتها ، وفي معرفة طبائعها ثم ذكر اولا انواع الغزلان ثم طرق صيدها ، وحذر كثيرا من اتيانها من مهب الريح عليها ، لانه اكثر الحيوان شما ، ثم ذكر الارنب والظربان . والقنفد والاسد والضبع والخنزير ، وقد قال المؤلف لا باس بصيد الخنزير لقصد التمرن على الشجاعة والاقدام والفة ما تنفر منه النفس من البطش والقوة والجرأة ، بل ان ذلك مستحب مع هذه النية ، فقد حضرنا غزوة (مليلية) و (سبتة) ، فما رأينا أشجع ولا اعرف بحرب العدو من الصيادين للخنزير .

هذه الفصول السبعة هي الموجودة في هذا المؤلف ، وكأنني رأيت عند المرحوم الكانوني مؤرخ آسفي بعض هذا المؤلف ، ونسبه للخلاطي، وفي آخر هذا الذي عندنا انه نسخ عام 1261 هـ لاحمد بن ابراهيم المقدم الماسي .

ومما كان ايضا في هذا المجموع مؤلف في فضل الرماية عن الكتاب والسنة في زهاء ـ 30 ـ صفحة في القالب الصغير ، ونقل فيه عن السلف كل ما يتعلق بالموضوع ولعله للسيوطي، لاننا نعرف ان له كتابا في الموضوع

ومما هناك ايضا ما ياتي : هذه شجرة وسلسلة لاصحاب الرماية والمدافع لمن ارادها واحب اهلها ، لان اصلها وفرعها في غربنا هذا هو سيدي محمد ابن موسى الخلاطي وهو شريف في نسبه ، اخذها السيد محمد بن احمد بن زعيم ، عن السيد محمد المذكور اعلاه ، والسيد محمد اخذها عن السيد علي بن ناصر ، وعلي بن ناصر عن احمد بن موسى ، عن الزبير بن العوام ، عن عمرو ابن العاص ، عن مالك بن انس عن المقداد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن رب العالمين انتهى باختصار .

ذكرنا هذا للاعتبار فقط من هذا السند الذي جمع كل العلل التي تذكر للاسانيد ، من انقطاع واعضال وكذب والا فكيف يأخذ عمرو بن العاص عن مالك ابن انس ، وهذا عن المقداد فهذا هو الذي لا دواء له ، ان اعتذرنا عما

بين الشيخ احمد بن موسى وبين الزبير بما عسى أن يعتذر به من يريد تغطية العيوب، ومثل هذا السند فى الحديث ريح فى ريح غير معتمد به اصلا وانما الذي نستفيده من هذا ما كان سبب انحياش آل حمر الى الشيخ سيدي احمد بن موسى حين يخدمونهم ويصلونهم فيدفعون لهم الى الان في كل سنة ما يدفعون، وهي فائدة حسنة تاريخية غير قليلة فبسبب كونه شيخهم في الرماية يخدمونه هو ويخدمون آله بعده .

ومما في المجموع ايضا مؤلف مبتور الاخر، فيه مناقب اهل الرماية، والطرق التي ينال بها الرماة الخصال الحميدة والمناقب الكبرى والمنازل الربانية العظمى.

ومما هناك ايضا خطوط لعلماء جزوليين ، ممن يلقاهم المقدم احمد بن ابراهيم الماسي صاحب هذه المجموعة كلهم بخطوط ايديهم ناتي بها كلها للافادة ولمعرفة اعيان بعضهم ، ونصها :

سئل راقمه امده الله بتوفيقه ، واصابة الحق وتحقيقه ، عن اصل الرماية في الكتاب والحديث والسنة والاجماع ، فأجاب :

«ومن الله العون والتوفيق والتسديد الى طريق الرشاد : ان الرماية لها اصل اسس على الكتاب والسنة والاجماع ، اما الكتاب فقال الله تعالى : (وما رميت اذ رميت) الاية ، واما الحديث[1] ففي صحيح البخاري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ارموا الحديث)، واما الاجماع فمن باب التعليم دخل وأما من خالف هذا فليس له حظ في هذا النمط، ومنكر ما ذكر من الراعية[2] كذا من السادات ، فقد اخطأ طريق الحق والصواب ، فعليه ان يتعاهد الادلة والنصوص في اماكنها ، ومن تخبط في طريق الحق فإنه يخوض مع الخائضين والعياذ بالله ، والسائل منا اعمال الواجب الرئيس احمد المرسي على وجهها (كذا) وكان راميا متعلما (كذا)[3] له في ذلك منال ، ولا يحرم له ما اكل

1) هناك احاديث عدة صحيحة في الموضوع ، غابت عن المسؤول او تركها اختصارا.

2) لعله المداعبة ، ويعني المداعبة بالرماية ، كما هو مألوف بين الشباب في عشايا الاعياد والاعراس .

3) لعله معلما .

من هذا الوجه لانه من باب التعليم كما لا يخفى، وكتبه جوابا له بعد السؤال عن ـ 5 ـ بقين من معظم رمضان عام 1269 هـ عبيد ربه : ابراهيـم بن محمد الويداني ، الله وليه .

اقول انه لم اعرف قط هذا العالم الويداني وهو ـ كما نرى ـ عالم يقصد في امثال هذه الاجوبة ويظهر ان يده في العربية ليست طـولى ، فـان فيهـا لحنا والويداني معرب الايسافني نسبة الى ايسـافن نيت هرون ، القبيلة المشهورة ازاء مركز (ايغرم) اليوم .

وتحته ما يلي ؛ وبعد ففي صحيـح البخاري رضي الله عنـه ، عـن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لقوم من قريش وجدهم يرمون بالنبـل ما نصـه ؛ (ارموا يابني اسماعيل، فإن اباكم كـان راميا) اه لان سيدنا اسماعيل جد النبي صلى الله عليه وسلم وجميع قريش ، وفي محل آخر مـن البخـاري ان النبـي صلى الله عليه وسلم ، وجد قوما على فرقتين ، كـل فرقة ترمي على اختهـا ، ثم دخل فرقة منهم ، فأمسكت الفرقة الاخرى عن الرمي ، وقال لهم لم امسكتم عن الرمي ؟ فقالوا كيف نرمي وأنت مع اولئك ؟ فقال لهم ارمـوا وأنـا معكم كلكم . انتهى فدل ذلك كله على سنة تعليم الرمي ، وانه ليس ببدعـة ، وكما ذكر الشيخ ابو الليث السمرقندي ، وبوب في حديثه للرمي ، والمريب يطالع كتب الجهاد في الحديث والفقه ، وإن احدث الناس في حنة (لعل الـكلمة في حالة) الرمي شيئا فلا كـلام مع من احدثها ، والاعمال بالنيـة ، ولـكل امـريء ما نوى مع ان المدافع ـ يعني البندقيات ـ في هذا الزمان هي القائمـة مقـام النبل في الزمان الاول ، والمسألة واضحة والله اعلم والسلام ، وكتبه اعلاما به العبد الضعيف محمد بن عبد الله بن محمد الحضيكي ـ بزاوية الفيـلالي لطف الله به (وهذا معلوم عندنا يذكر مع اهله في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) من (المعسول) .

وبعد ذلك يظهر ان صحيفة تامة سقطت من الكتاب ويليها بعدها ما ياتي؛

. . . . . . قع ويجب على متعلم الرمي ان لا يقصد به الا ما قصد به اهـل

الزمان الاول من جهاد الكفار والصيادة ودفع الانسان عن نفسه وأهله وماله وأولاده ، كما في الحديث والفقه ، وبه كتب مسرعا به محمد بن عبد الله لطف الله به في المقام والرحيل (هو هو المذكور) .

واعلم بصحة ما في اعلاه بإذن شيخي وسيدي احمد بن محمد التيمكيدشتي لطف الله به فى المقام والرحيل ، انتهى . وانظر هل محمد بن عبد الله هو الحضيكي المذكور ؟ واما احمد التيمكيدشتي فقد ذكر مع أهله في (القسم الثالث) من (المعسول) .

وبعده بعد الحمد لله :

صح كل ما سطر اعلاه وحوله ، نسأل الله تعالى ان يحشرنا في زمرتهم ومن جهل هذا القول ونكره ، فعليه عقوبة دائرة الناصرية ، ودائرة الاولياء ، عبد ربه الراجي عفو مولاه عبد الرحمن بن ابي بكر بن علي بن يوسف الله وليه

اقول : هذا احد السادة الناصريين اخو شيخ الزاوية التامكروتية سيدي احمد بن ابي بكر المشهور رحمه الله ورضي عنه .

ثم بعده بعد الحمدلة :

وأعلم به عبد الرحمن بن عبد الله التملي ، الله وليه في الدارين . ثم تحته اعلم بصحة ما سطر اعلاه ، ولا يستراب فيه ولا يتوقف في مطلوبيته الا الجاهل والغافل عن سنن اولي الفضل والعلم والبصائر من السلف الصالح ، قاله عبد الله بن عبد الرحمن التملي لطف الله به انتهى ، وهذا هو الحاج عبد الله الشهير اخو سيدي الحاج احمد الجشتيمي ، والمذكور قبله العلامة ابو زيد والدهما ، وهم مترجمون في (القسم الثالث) من (المعسول) .

ثم اثر ذلك بعد الحمدلة :

وما اجاب به الاجلة الاعلام بمقلوبه ، ان تعليم الرمي وتدريب الخيل له اصل مستند، وأصل صحيح حديثا وفقها، لا مرية فيه ولا ينكره الا الجاهل، فمن اين يكون سبب الاستيلاء بالدين وعلى الدين الا بآلة التدريب على الحروب وتعليمها ، ولذا قالوا يجب على الامام ان يهتم بأمور الرماية في الجهاد، فيامر

كل قبيلة بتعلم الحرب والتدريب نص عليه العلامة التسولي الفاسي في كتاب الفصول ، وكتبه مسرعا عبد ربه محمد بن عبد الله المجازي الافراني ، امنه الله بمنه‌اه، وهو الجد للام للعلامة شيخنا سيدي الطاهر التامانارتي حفظه الله وهو مترجم‌بين اهله الاساكيين في (الفصل الثاني) من (القسم الرابع) من (المعسول).

وبعده بعد الحمدلة ، والصلاة على سيد الوجود :

قد اخذنا الرماية من الاب الابر الارضى الرئيس احمد بن ابراهيم العمري السوسي ، ثم اخذها من الابر النحرير ابي العباس السيد محمد بن موسى الخلاطي الشريف ، ثم ابو العباس المذكور عن سيدي احمد بن زعيم عن سيدى علي بن ناصر الذي اخذها عن سيدى احمد بن موسى نفعنا الله ببركة الجميع وكتبنا له اجازة ، واعلم به في 5 بقين من رمضان عام 1269 ه عبد ربه ابراهيم بن محمد الويداني وفقه الله انتهى ، وهذا هو عين المتقدم الذي قلنا اننا لا نعرفه الا هنا .

وتحته ما يلي : وكتبها اجازة للرئيس احمد بن ابراهيم العمري الماسي وبه كتب من اخذها منه الشريف المقدم محمد بن عبد القادر الساكن بتانارت السباع ، لطف الله به بتاريخ اوائل شهر الله رمضان عام 1269 ه انتهى .

ومحمد بن عبد القادر هذا لم اعرفه والخط خطه وكذلك لا اعرف مسكنه وبعد ذلك بعد الحمدلة والصلاة :

قد اخذنا الرماية من يد الفاضل المفضل ابي البركات المجاهد الورع الزاهد في زماننا وهو المقدم الرئيس احمد بن ابراهيم العمرى ثم الماسي كما اخذها عن اشياخه الذين ظهرت بركتهم في بلاد المشرق والمغرب ، وقد اخذها عن سيدي محمد بن موسى الخلاطي الشريف عن سيدي احمد بن زعيم وهكذا نفعنا الله ببركتهم آمين ، وكتبنا عنه ذلك يوم الثلاثاء الذي هو 25 من ربيع الاول عام 1270 ه عبد ربه الحسن بن سعيد بن محمد من بني زكرياء من منكب المرتني ، ثم الويداني انتهى وقد وضع شكلا لم اهتد الى حله . اقول : انني لا اعرف ايضا الحسن بن سعيد هذا الى الان .

وقبل هذا كله بورقات ما نصه :

سئل كاتبه امده الله تعالى بمعونته ، واخذ بيده اخذ الكرام ، وسلك بـه منهاجا قويما وسبيلا رشدا . عن نازلة رجل له معرفة وبال بحكم الرماية المأمور بتعليمها سنة موكدة ، فأخذ في تعليمها للناس على نية الجهاد وبتسليم (كذا) فأخذت منه بشواهدهـا عند الخاص والعام ، فيـأمر الـذي يعلمهـا له بالانقيـاد والطاعة لله تعالى واقام الصلاة بأوقاتها . فأجاب والله المستعان، وعليه التوكل، ولا حول ولا قوة الا بالله :

ان تعليم الرمى فـرض عين يجب على كل من عرف امـرا من اوامـره المباحة المنتفع بها للاسلام ان يأمر به ويعلمه للناس ، وقال تعالى (وتعاونـوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) كيف وقـد امر صلى الله عليه وسلم بتعليمها : (ارموا واركبوا ، وان ترموا افضل الى من ان تركبوا . .) الحديث . وعلى هذا ومن اجله يجب على الـرئيس احمد بن ابراهيـم العمري ثم الماسى ان يزيد على تعليمه للناس الرماية . على نية الجهاد لله وسنة رسوله ولا يقصر من ذلك او يغتر بأفواه العامة والجهال الذين لا يعرفـون فضـل ذلك ولا يقدم من لم يعرف ذلك الفن واحواله امام من يعرفه كحكم الامانة ، وبـه كتب عن سؤال صدعا بالحق محمد بن عبد المالك، وعبد ربه تعالى محمد بن عبد المالك الزكراوى لطف الله به. انتهى وهذان لا اعرفهما الان، ويظهر من هذا الكاتب الجيد العبارة والفهم انه عـلامة كبير ، وربمـا احسب ان الاول سيـدي محمد بن عبد المـالك اليزيدي الشهير في تامازت وان كان متأخرا عن اعصار الكاتبين قبلـه .

وبعده ما يلـى :

اعلم بصحة ما رسم اعلاه ، ففى المعيار والفشتالي ، والبرزلى والغرنـاطي ان المسـألة المشهورة تغني عن الاستشهـاد ، ولا يحتـاج الـى جلب النصوص المذهبية وكتبه حجة قوية لماسكـه عبد الله سبحـانه الرئيس احمد بن ابراهيم بماسة اعانه الله على الصراط المستقيم ، عبد ربه سبحانـه احمد بن يـوسف بن

محمد المرابط الداودي الدغسي الهرفالى ، وفقه الله آمين انتهى اقول كذلك لا اعرف الان هذا العلامة الاخر والهرفاليون العلماء نسمع بهم في جهة القبلة من سوس .

هذا ما في المجموعة القيمة ، وقد سقنا هذه الاثار لامرين :

اولهما لنعرف اربابها ، لاننا ـ كمورخين ـ نستشف رجال سوس من اي جهة عنت ، ولا يعرف الرجال الا بآثارهم وكل هؤلاء مشهورون في عصر واحد

وثانيهما : ادراك مقدار التفريط فى هذه الناحية عند المغاربة حتى يحتاج فيها الى الاستدلال مع ان الله تعالى قال (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل) وقال النبى صلى الله عليه وسلم (الا ان القوة هى الرمى) كرر ذلك ثلاث مرات ، والتجنيد الاجبارى والتعليم العسكرى من ابرز الواجبات على المسلمين ان ارادوا ان يشاركوا فى حياة هذا العالم بين الامم القوية ، فما المسابقة بالخيل ـ وهى مشهورة فى ايام الاسلام الاولى ـ وما الملاعبة بالرماح بايدى الحبشة فى المسجد النبوى ، وما امره صلى الله عليه وسلم بالرماية ، وما قوله : ان السهم ليدخل به الجنة الرامى به وناحته ، الا الادلة الواضحة لهذا الواجب الكبير الذي كان فرض عين فى زماننا هذا حتى تستحيل المساجد ثكنا وافنيتها ملاعب لتعليم الرمى والركوب فوق الدبابات والطيارات فتكون اسياف البحار مساكن للتدرب على البحار في البوارج والنسافات والغواصات، ويرحم الله آخر ملك مغربي له هذه الهمة ، الا وهو سيدي محمدبن عبد الله ، باني السويرة.

هذه نفثة مصدور عرضت قد تعد لغوا عند كثيرين ممن لا يزالون ابناء امس وهزة عنيفة لابناء اليوم الذين ينظرون ويسمعون ويعقلون ويتدبرون ويشعرون .

ومما لفت نظرى ايضا الى هذه المجموعة ، وحملنى على ان امعن فيها النظر، سماعي من شيخنا العلامة شعيب الدكالى ان قال طالما فتشت عن سند للرماية المتداولة الان في هذه البلاد ، فلم اجده ثم قال لكننى احسب السند

يتصل بسعد بن ابي وقاص المسدد الرمية بدعوة من النبي صلى الله عليه وسلم هذا ما قال فحملني ذلك على اكبابي على هذه المجموعة ، فاذا بي خرجت منها صفرا من سند يعتمد على مثله .

وللرماة في قبائل الحوز ايام معلومة يجتمعون تحت انظار مقدميهم فيتبارون في الرمي واصابة الاغراض، فيقيمون لذلك الحفلات ثم لما نزعت الحكومة ـ بعد الاحتلال ـ البنادق من الناس ومنعتهم من مداولة البارود ، لم يبق الا تلك الاحتفالات الطعامية السنوية وهذه الحفلات كثيرة في سفوح درن الى الان وربما كانت امثالها في سوس في تيمولاي بافران تقام حفلة سنوية للرماة الى الان ويجرى مثلها في فاس ، وفي الرباط في الاعياد قبل هذا العهد .

- - -

بهذا امضيت ما قبل الغداء ثم تغدينا فاسترحت ما شاء الله ثم لما صلينا العصر اتيت بالكناشة المشهورة في رسوم بودميعة فصرت اتتبعها فانقل منها ما الحقه بكتاب (ايليغ القديمة) ثم (ايليغ الحديثة) ففي اثناء ذلك اتداول مع الفقية سيدي مبارك التوماناري الذي كان ورد علينا قبل الغداء فاستفيد منه عن اهله وعن اخواله التومانارييين ما ادخله في تراجمهم في كتاب (المعسول) ان شاء الله وقد تفضل فناولني هذه الابيات مع هذا النثر الذي ذكره قبلها ، ونص الجميع ـ غاضا الطرف عما فيه ـ اللهم اجعلني فوق ما يظنون ، واغفرلي ما لايعلمون ، ولا تواخذني بما يقولون .

في تاريخ 11 شوال عام 1361 ه ورد علينا الامام العالم الهمام السيد الجليل والبارع المتقن المشارك في جميع فنون العلوم الاسلامية الذي لا ياتي الزمان بمثله السمبدع البحر الخضم سيدنا واستاذنا الشيخ سيدي محمد المختار ابن الشيخ سيدي الحاج علي الالغي ، وهو من سلالة الاخيار ومنابع العلم والهدى ومطالع الاسرار والانوار الى حضرة ايليغ ذات المجد والشرف والعماد الرفيع وصاحبة الفضل والافضال على كل هذه الافاق بالاتفاق، فأجرى الله على لسان

العبيد الضعيف مبارك التومانارتي عند التلاقي شبه ابيات نصها :

كل عصر بحمد ربي كفيل   ان يسل مهند مصقـــــول
يلبس الدين حلة من حرير   وشيها تحت كل طرف جميل
فإذا ما اهتديت فهو إمام   واذا ما ضللت فهو الدليل
واذا ما عريت فهو لباس   واذا ما ظمئت يشفي الغليل

وهي اكثر من هذه ، فأجبته بما يلي بديهة :

ازلال اثر الظما سلسبيل   ام مدام مزاجها زنجبيل
ام رضاب ممن يعانق مرشو   ف وظل الوصال ظل ظليل
ام قريض من شاعر ان تصدى   لميادين كل قول يصول
فلقد جاءنا بشعر بليغ   ما له في البيان قط مثيل
كرياض مفترة الزهر عنها   مر ذيل النسيم وهو بليل
نتحسى الكأس الدهاق به سمـــعا وكأس الاسماع شيء جليل
شعر بدر العلا مبارك من فكـــر سواه عما يقول كليل
سمت فكرى بأن يجاريه لكـــن به دون ما يراد نكول
دام للمجد والمعارف والشـــعر به فارس ابي صؤول
وسلام عليه من صاحب ليـــس له عن اخي الصفاء عدول

وفي الاصيل جلنا أيضا جولة حول المسجد الكبير المنسوب لسيدي عبد الله بن عمر بن بودميعة ، وقد صلينا فيه المغرب ، وزرنا منه قبر الفقيه سيدي علي بن عثمان ، وبهذا المسجد يقتدي اهل ايليغ ، وقد سمعت الرئيس سيدي علي رب مثوانا يندد على امامه في تبكيره بصلاة الصبح ، قبل تحقق طلوع الفجر ، فأمره بإعادة الصلاة ، وهذا مما يدل على اهتمام الرئيس بالتبكير سحرا كما هو ديدن اهله جميعا من قديم ، بل ذلك عادة مؤكدة عند والده وعند جده ، وهذا ديدن كل اهل المخزنية القديمة الحسنية .

هكذا قضينا يوم الاربعاء الحادي عشر من شوال ، ثم بكرنا يوم الخميس على السفر فبعد ان تناولنا الفطور ودعنا اولئك الكرام شاكرين احسانهم

وحسن ضيافتهم الجمة العظيمة ، ثم صعدت مع سيدي الحسن ابن الرئيس الى مشهد الشيخ سيدي احمد بن موسى رضي الله ، عنه فانتظرنا ريثما اتى البواب فادور حول قبور العباسيين وحول القبة فرأيت اعمالا تعد عظيمة في بيئتنا وقد كانت قبة الشيخ مبنية على عهد سيدي الحسين ، ثم دخلناها فترحمنا على الشيخ العظيم حيا وميتا ، وكأن روحه تطل علينا من قبره وفوق الدربوز اغطية كثيرة من بقايا زمان رخص المنسوجات فتصدقنا على مساكين ضريح الشيخ ومن معه بما تيسر ثم نزلنا فى زاوية الشريف سيدي محمد ابن سيدي الحاج ابراهيم فى قرية ءايت عروس فبعد ساعة استقبلنا الطريق فى نحو العاشرة او قبلها بقليل .

أدوز :

اقبلنا وللبغال وخدان وذميل فى تلك البسائط البطحاء المستوية كأنها راحة ، وقد قلت فيها الاشجار الا بقايا قليلة منفردة من أركان مما يدل على ان هذه البطائح كانت كلها قبل اليوم غابة أشبة ثم لم تزل بها الايدى حتى عادت قاعا صفصفا . فلعل ذلك هو السبب ، حتى قل نزول الامطار فى تازاروالت ، فان علماء طبائع العمران يقولون ان للغابات فى كثرة الامطار سببا ظاهرا ولهذا نرى الامم الحديثة تعتنى بتنظيم الانتفاع من الغابات حتى لا تأتى عليها اليد فتتضرر الارض كما تذهب الغاب التى كانت ذات منافع للناس ، وهذا هو احد الاسباب حتى نظمت الحكومة المغربية امر الغابات وجعلت عليها ادارة خاصة ، ولعل ذلك فى المستقبل ياتى بنفع عظيم لهذا القطر السعيد ، ثم دخلنا فى تراب بعقلية فتغيرت هياة الارض وغلبت الحزون على السهول والاراضى الشعراء على المكشوفة فنتسلق جبالا ونجودا وننحدر فى ثنايا ووهاد حتى اطللنا على (ادوز) فقلت سلام على دار العلم والعلماء سلام على مدرسة العلوم الكثيرة سلام على مثابة السنة ومقاومة البدع واحياء ما اندثر من شعائر الاسلام سلام على الاجداد الذين تجرى في شراييني دماؤهم الحارة سلام على تلك الارواح الطاهرة التي لاتعرف في حياتها الا العمل للصالح العام، سلام على سيدى ابراهيم

ابن محمد بن عبد الله ابن يعقوب وعلى ابنيه سيدى علي بن ابراهيم وسيدي احمد بن ابراهيم وعلى حفيده سيدي محمد بن احمد بن ابراهم وعلى سيدي محمد بن احمد المرابط وعلى سيدي محمد بن محمد واده ، وعلي ابى حامد سيدي العربي بن ابراهيم وعلى ابنـه سيدى محمد بن العـربى ، وعلى سيدي عبد العزيز وعلى سيدى المحفوظ وعلى البقية الباقية من هذه السلالة المباركة الطيبة سلام تام على كل من في ادوز وعلى كل من مضى في ادوز وعلى كل من اخذ من ادوز ، وعلى كل من احب ادوز فـاحب اطيب بقعـة رفعت لـواء العلم والارشاد والسنة ما يناهز قرنين ونصفا

نزلنا هناك عند الظهر فتلقانا الفقيه عميـد ادوز اليـوم ومـدرس مدرسته الخال سيدي احمد بن محمد بن العربي مع ابنه النجيب سيدي الحسن ومع من هناك كالخال سيدى ابراهيم بن محمد بن العربى وابن الخال سيدي الطـاهر بن العربى بن محمد بن العربي فرحبوا بنا ترحيب من اوى اليهـم من هـو من انفسهم (وابن اخت القوم منهم) .

نزلنا على الرحب والسعة وقد وجدنـاهم في انتظارنا لان الاعـلام سبق اليهم بتعيين اليوم ثم اتانا الخال ببعض كتب ولكن بعد العصر حدث ان ذهب خادم معي ببغلة من بغال الرئيس الجليل سيـدي علي بن محمد الايليغى وهـي التى ركبناها ليوردهـا ، فاذا بها تردت فى نطفية[1] خالية من الماء وقد امرها عليها جهلا منه ، فحفظها الله ، فما زالوا بها الى مغرب الشمس حتى اطلعوها .

ومن اغرب المصادفات انني كنت احدث بعض من معي باخبـار عـن الشيخ سيدي عبد الله بن يعقوب جد الادوزيين هؤلاء ، فكان مما حدثته بـه ما وقع له في مجلس الحديث ، وقد مر حديث (ان المومن يصاب) فقال نحن الى الان محفوظون ، وكأننا لا حظ لنا في هـذا المقـام ، فإذا ببعض أصحـابه يخبره بموت بغلته ، فحمد الله على ذالك ، اخبرت صاحبي بهذا ثم لم ننشـب

1) النطفة الماء الصافي ، وهو المنسوب اليه فالكلمة عربية فصيحة وتجمع على نطفيات وجمع الكلمة على النطافي خطأ محض .

ان سمعنا بما وقع للبغلة ، فقلت عجبا : (ان البلاء موكل بالمنطق) فطلبنا من الله السلامة والعافية .

تفاءل بما تهوى يكن ولقلما يقال لشيء كان الا تكونا

بعد العصر وقد علمنا بسلامة البغلة ، وقد اشتغل الناس بها، قطعنا الوهدة من الديار الى تلك الثنية التي في سفحها المدرسة ، فدرت فيها ورأيت بيوتها البدوية الواطئة ، فقلت (بجيرانها تغلو الديار وترخص) فمن يقول ان هذه البنية البسيطة كانت ممر طبقات من الطلبة حتى انها في حين من الاحيان تضم مائتي طالب ، كما كان فيها عام 1286 ه يوم توفى ابوحامد سيدي العربي وهذه المدرسة قيل انها اقدم من هؤلاء الاساتذة البعقوبيين ، فقد كانت قبل الحادي عشر . وربما كان يدرس فيها الاستاذ سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب سنوات 1110 ه قبل اخيه ابراهيم حين كان أهله الاخرون يدرسون في مدرستهم بتازموت بسملالة، ويظن ان اصل املاكهم المؤثلة كانت من ذلك العهد ، لانها لم تكن الا لابناء سيدي محمد بن عبد الله فقط ثم اشتهرت المدرسة بعد بسيدي ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، فابنه علي وحفيده محمد بن احمد بن ابراهيم فسيدي محمد بن احمد المرابط فسيدي محمد بن ابراهيم الووشاني ، فأبي حامد العربي فإبنه ابن العربي الى آخر الاساتذة المتأخرين ، والعادة المتبعة ان يتولى المدرسة من كان اسن في علماء الاسرة . ولذلك تولاها الان الخال ابو العباس حفظه الله ، وفي المدرسة الان ثلة يقرأون التسهيل والمختصر والتفسير أحيانا .

صلينا المغرب في المدرسة ثم توجهنا الى المثوى منحدرين من الثنية وإنها لعقبة صعود كأداء وذلك عذر واضح للجد ابن العربي حين كان يتخلف في إسنانه[1] في الدار ، فينيب عنه من يدرس في المدرسة مطلق الدروس ، الا التفسير والحديث ، فيذهب الطلبة الى داره . فيتلقونهما عنه وقبل ان نصل المثوى تلقانا العالم الجليل سيدي المدني بن أحمد الاكراري صنو المؤرخ مع النجيب سيدي احمد بن محمد ولد المؤرخ ، وقد كانا وردا مع قرينتيهما لصلة الرحم في أدوز، فالاول اقترن بكريمة الخال ابي العباس، والثاني بكريمة

(1): [illegible]

الخال ابي سالم ، فتلقيت منهما من كنت في اشواق الى لقائه ، ولم اكن قبل اليوم تلقيت بسيدي المدني ، وما اشد فرحي اليوم حين لاقيته ، وقد ذكر انه ما حرص على زيارة ادوز الان الا رغبة في هذا اللقاء ، فكان له اكبر الفضل ، وبعد جلوسنا اتينا بصبرة من الكتب المخطوطة . وهي التي اوصي ان اوتي بها فقط ، لان فيها وحدها طلبتي ، وبعد العشاء خرجت مع سيدي الحسن ابن الخال ، فقد وجدنا انوار البدر ارتد بها الليل نهارا ، فصمدنا الى مقبرة (تاماشت) حيث بقيع جزولة - فيما يرون - وقد كانت هناك الليلة حفلة عامة، فوصلناها وأوزاع الشباب يقفزون تحت أنوار البدر المنير وربما يتقاذفون بهجر الكلام ، وهم مغروررون بشبابهم ، وقديما قالت العرب ، الشباب ابله اي لا يبالي بما صنع :

فان يك عامر قد قال جهلا فان مطية الجهل الشباب

زرنا المشاهد فرأينا ضريح الشيخ ابي حامد وابنه ابي عبد الله وسيدي المحفوظ ومن قبلهم كسيدي ابراهيم اليعقوبي وسيدي علي بن ابراهيم، وكأن تلك المقبرة مدفن القباب في فاس لكثرة القبور المعلمة فيها ، اما بقوس واما بقبيبة صغيرة للذكور وللاناث من هذه الاسرة اليعقوبية المباركة ، فبعد ان ترحمنا على الجميع مررنا بالمسجد راجعين ، فجال في ذهني زيارة النبي صلى الله عليه وسلم للبقيع قرب وفاته ليلا ، فقلت ما احسن الزيارة لامثال هذه المشاهد في سكون الليل ، حين تصقل مرآة القلب ، وتطهر النفس من شوائب النهار

وفي صباح الجمعة اكببت على استعراض المخطوطات امامي فأمر ما كان لا يوبه به وهو الذي اعنيه بالكتاب العادي ، اما لكونه موجودا بكثرة واما لكونه مطبوعا متداولا ثم لم اقع منه على نسخة قيمة فذة والا فاذكره ذلك ما اتخطاه واثبت ما سواه وبهذا قضينا بياض نهار الجمعة الى الاصيل فجلت مع الفقيه سيدى المدنى وسيدى الطاهر بن العربى جولة انتهينا فيها الى (تاماشت) فاوفينا من سطح المسجد الانيق وقد اعتنى بتشييده هكذا الجد ابن العربى

رحمه الله من ذي همة، فكان هو المهندس وربما زاول العمل فيه بيده خصوصا في الذي يتعلق بالزخرفة وكانت له يد صناع ثم رجعنا بعد ما استوفينا انحاء المسجد الا ما كان من داخل المصلى ، فان ثلة من اصحاب الطريقة الاحمدية يذكرون فيه وردهم فتجنبناه لاننا لا نريد التهويش[1] عليهم، وفى تلك العشية اقترح علي القاء درس حديثي على الكيفية الحضرية ويتعجب البادون من تلك الكيفية بل يتخذونها هزءا وسخرية فامتثلت جهد المستطاع وبمثل هذا امضينا كل نهار السبت والاحد بين كتب مختلفة وتقاييد مما اعجبنا، فمما وقفنا عليه هناك:

1) مؤلف لعمر بن عبد العزيز الكرسيفي في تفسير الدينار والدرهم والقيراط والدانق والنواة والنش والاوقية والمثقال ، وهي التي ترد في لسان الشرع فبين مقاديرها بسكة عصره والمؤلف في ست صفحات طويلة وهو في مجلد فيه فتاوي العباسي بجمع سيدي احمد بن ابراهيم وقد (طبعت) وقد رأيت هنا نسخة من هذه الاجوبة ، نسخت لسيدي احمد بن محمد القاضى من بني يحيا وقد وصف بالناسك الفقيه النبيه الخير وتاريخ النسخ عام 1201 ه ولا اعرف هذا القاضي الان .

2) مؤلفه الشهير في السكك في خمس صفحات . وهو مشهور .

3) رجز في الوزيعة لاحمد احوزي الهشتوكي الشهير في صفحة فقط لانه مبتور لم يتم هناك وكأنني رأيت الرجز تاما في ورقات .

4) العلم المبسوط في حكم بيع الملقوط رجز رفعه الهشتوكي المذكور الى عبد الملك ابن السلطان المولى اسماعيل حين كان خليفة والده في تارودانت وقد توسط عنده في قضية رجل وهو صغير .

5) مختصر للرحلة العبدرية الشهيرة لم يذكر هناك المختصر ـ وقد اخبرت ان ابن الخطيب بن قنفذ القسمطيني اختصرها ، ولعل هذا له ، والنسخة سالمة من الخرم مخطوطة بخط حسن في قالب كبير طويل ويباني هذا المختصر ـ في ما يظهر ـ في نحو ثلثي الاصل وهذه النسخة مجلدة مع نسخة من الشفاء

1) نبهوا على ان التهويش هو الفصيح، لا التشويش .

لعياض ، وقد رأيت هناك نسخة من الرحلة نفسها كما رأيتها ايضا في (آزاريف)

6) شرح الهمزية البوصيرية لسيدي احمد العباسى في القالب الكبير الطويل فى نحو اربعين سطرا وهذه النسخة غير تامة وقد وصلت قول البوصيري وابو جهل اذ راى عنق الفحل الخ ولا يتعمد الاختصار ، والنسخة فى ـ 80 ـ صفحة فى ذلك القالب الذى وصفناه .

7) مؤلف لسيدي محمد بن ابراهيم (اعجلى) فى ضبط الكلمات التي وقف عليها الهبطى فى القرآن في ـ 40 ـ صفحة في نحو ـ 20 ـ سطرا والنسخة بين مجموع مملوء بمتون فى القراءات والرسم وهو مجموع وسط غير كبير .

8) الامثال لابى عبيد وهو كتاب مشهور رأيته بالخط مرارا ولعله طبع اليوم وانما ذكرته لانه بخط الشاب المعتبط فى شبيبته الاديب سيدي الحبيب الخال اتم نسخه عام 1298 ه وقد كتب بعده (انشاء العطار) و (دوحة الناشر) فرغ من نسخ هذا الاخير عام 1295 ه فدل كل هذا على همته الفائقة مع صغره اذذاك وله خط جميل كانه خط والده وقد اعتبط فجأة فى درس التلخيص عام 1306 ه ولكون همته تتعلق بهذه الكتب فى ريق شبيبته ذكرته لا لغرابتها فافهم، ومقصودنا قدر الرجال مقاديرهم ـ خصوصا نجباء الابناء .

9) انس الفقير لابن قنفذ نسخة مصونة كتبت عام 1050 ه للفقيه ابراهيم ابن الحسن الهوزالى والكتاب نفيس ونسخه وان كانت توجد الا انها عزيزة، وفى الخزانة الالغية الصالحية ـ فى يد سيدي المدنى ابن علي ـ نسخة اخرى من الكتاب صحيحة ، وفي الكتاب فوائد مغربية جليلة، تتعلق بالقرن الثامن حين كان هذا قاضيا في (دكالة) .

وقد ذكر السيدة عزيزة الشهيرة بوادي القاهرة ازاء (امينتانوت) ولم نر من ذكرها سواه ، كما ذكر ابا زكريا الحاحي من اهل القرن السابع ، وقد كان شيخا عظيما صوفيا فى عصره ، كما ذكر رباط شاكر وما يقع فيه ، والكتاب ألف اصالة في أخبار أبي مدين ومن إليه (وإبراهيم بن الحسن الهوزالي لا أعرفه الا هنا) .

10) شرح الشفاء للزموري ، وقد سماه (إيضاح اللبس والخفاء في الكشف عن غوامض الشفاء) والكتاب وإن لم أعرفه كثيرا غريب ، والنسخة في مجلد كبير طويل لم يؤرخ نسخها والمؤلف الفه عام 832 ه وخطه بين ولا بتر فيه ولا خرم ، فالنسخة سالمة ، وقد ذكر لي بعد ان الشرح عزيز جدا .

11) (تقييد البيان لمعاني عقيدة البرهان) شرح عبد الرحمان الكرامي على عقيدة السلالكي ، ذكر في الخطبة انه يعتمد على ابن الخطيب الرازي والامدي والمازري والاسفرايني وامثالهم ، والنسخة في قالب صغير بخط بين جميل مقبول ، يكون في الصفحة ـ 25 ـ سطرا والناسخ عبد المالك بن سعيد بن على بن عبد الله الاياوي التملي في رمضان عام 1179 ه والمؤلف من اهل القرن التاسع في اواخره وهو اخو سيدي سعيد الشهير وقد ذكرت رجالاتهم في (المعسول)

12) (اجوبة) لسعيد الهوزالي ومحمد بن محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتي وعبد الله ابن يعقوب وعيسى السكتاني وسعيد بن عبد الله السملالي قاضي الجماعة رتبها هكذا سيدي يبورك بن عبد الله في 48 صفحة فى زهاء ـ 30 ـ سطرا، والنسخة توجد في مجموعة صغرى

13) (كتاب تاريخ) فيه مشاهير المالكية كعياض واسماعيل القاضى ، وعيسى ابن مسكين ، وابن شبلون وابى عمران والبرادعى وابى طالب المكى وابن مغيث والسيورى والباجى وابن عبد البر وابن بطال وابن وهب وابن القاسم وكالبخارى والائمة الاربعة الفه سيدى عبد الله بن يقوب والنسخة في قالب وسط مائل الى الصغر في اكثر من 30 صفحة ، وهي محفوظة من الخرم والبتر ، وخطها عادي حسن .

14) شرح المذكور على رجز سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتى الذي اوله (الحمد لله الغني المنعم) اتمه الشارح عام 1029 ه وهذه النسخة كتبت عام 1180 ه فيما يظهر وقد سمى الشرح (عمدة البيان فى ايضاح دعاء الصبيان) والشرح غير كبير جلد مع ما قبله فى مجلدة

15) شرح سيدى يبورك على عقيدة المهدي الموحدي المذكورة فى الطبقات السبكية فى 13 صفحة صغيرة قال اختصره من شرحيها لمحمد بن يحيا الطرابلسى وابن النقاش وهو فى تلك المجلدة والنسخة كتبت عام 1130 ه وقد رأيت نسخة اخرى من الكتاب فى الغ بخزانة سيدى الحسن التياسينتى

16) (المفيد فى شرح ارجوزة ابن سعيد) للمرغيتى والاصل رجز فى الاوقات لمحمد بن سعيد العباسى القاضى والنسخة فى زهاء 100 صفحة فى تلك المجلدة

17) (فتح الوهاب فيما استشكله بعض الاصحاب من السنة والكتاب) لسيدي يبورك فى 26 صفحة فى زهاء 25 سطرا ويظهر انها مجموعة بخط بعض اصحابه ثم سماها هو وقد انقطع الكلام فيها قبل تمام جواب سؤال فعلمنا ان هذه النسخة مبتورة

18) (واسطة الفرائد فى شرح كبرى العقائد) لابى فارس الرسموكى رايت النقل عنها .

19) (رجز الاكمه المراكشي وشرحه) نسخه محمد بن محمد بن عيسى البعقيلى لشيخه عبد الله بن يعقوب فى 25 رمضان عام 1031 ه ولا استحضر الان - وانا اجمع مقيداتى هذه - أهذا الشرح هو المذكور لسيدي ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتى ام غيره (ومحمد بن محمد هذا هو جد اهل تادرارت البعمرانيين)

20) (شرح رجز الفرائض لابن ميمون لعلي بن احمد الرسموكى والنسخة كتبت عام 1025 ه وقال ناسخها قابلتها مع المؤلف والاصل بيده وفيها زهاء 40 صفحة فى نحو 33 سطرا فى القالب الكبير وهي حسنة الخط محفوظة من الخرم والبتر .

21) (تحصيل المنى في شرح تلخيص ابن البنا) ليعقوب بن ايوب الجزولي وذكر في اوله انه قرأ الاصل في حاحة عام 755 ه اخذا ، ثم تصدر للتدريس عام 761 ه فلخصه لتلاميذه، ويعقوب هذا لا نعرفه ، وهناك ما يدل على

انه شلحي اللسان ، فالغالب انه من سوس ، والنسخة في زهاء 112 صفحة في 35 سطرا في القالب الكبير وهى بخط العلامة عبد الله بن يعقوب نسخها عام 1000 ه وهو اذ ذاك لا يزال ياخذ، وخطها حسن بين ، ومن الكتاب نسخة اخرى رأيتها في خزانة شيخنا سيدي عبد الله بن محمد الالغي .

22) رسالة في المسألة المعروفة بالسبتية لمحمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الشيخ ، وهي صغيرة مجلدة مع ذلك المؤلف قبلها .

23) فيصل التفرقة ، بين الكفر «كذا» والزندقة للغزالى ، وهو صغير كتبه احمد بن يحيا بن عيسى الرسموكى عام 1028 ه ويظهر من كلامه أنه عالم حسن سلس العبارة ، ولا استحضر ذكره الا هنا .

24) (شرح سيدي يبورك على صغرى السنوسى) فى زهاء 116 صفحة فى 25 سطرا فى قالب صغير بخط جميل الا فى ورقة آخره .

25) (كتاب عادي) نسخه عبد الرحمان بن ابراهيم بن محمد بن يوسف التملى عام 1130 ه ويظهر انه عالم كبير . ولا نعرفه الان الا هنا .

26) نسخة من الاحكام الكبرى لابن العربى رائقة لعلها اندلسية مبتورة اولا وآخرا والكتاب مطبوع .

27) (كتاب عادي) نسخ للعلامة الكبير ـ كما وصف به ـ احمد بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد التودماوي التملى حى عام 1081 ه ولا نعرف الان هذا العالم ، وتودمى مثابة العلماء من قديم ، الا انهم غير معتنى بهم فى التاريخ ، ومن هناك اصل البوشكريين الاكماريين .

28) (كتاب عادي) مكتوب للفقيه العلامة الناسك كما وصف به سيدى محمد بن احمد بن ابراهيم السكتانى التافانكولتي الاخذ عن العلامة سيدى عبد الكريم التورغي زوج اخت سيدي احمد بن ناصر ، واجازه بالبخاري ، هذا ما وجد هناك ، والكتاب منسوخ عام 1163 ه

29) (مقدمة الفتح) بخط احمد بن على بن محمد البوسعيدي الهشتوكي كتبها في زاوية تافيلالت بجبل (درن) زاوية سيدي يحيى بن عبد الله بن

سعيد وابيه عام 1014 ه في اواخر جمادى الاولى ، والبوسعيدى هذا هو المشهور الصوفى الورع المتزمت المذكور في شرح ميارة على المرشد ، هذا وهنا في ادوز بعض اجزاء من الفتح بخط شرقي ، والبوسعيدي هذا انتقل الى ابزو عند سيدى الصغير فقد وجدنا بخطه في خزانته مؤلفا له في القراءات، ثم الى زاوية الدلائيين حيث بقى ما شاء الله . ثم الى فاس حيث ربض الى ان مات ، والبوسعيديون اسرة علمية ، وله ايضا من المؤلفات « بذل المناصحة » وذيل على الفية العراقي والجميع موجود . وقد ذكر في « سلوة الانفاس »

30) كتاب عادي منسوخ للحسن بن مسعود الهشتوكي قاضي تارودانت وقد وقفت له هناك على نقل من فتاو نسبت اليه لم نعرفها ، كما انني وقفت ايضا في هذه الجولة على مؤلف في سورة الاخلاص ، لابن مسعود قاضي تارودانت ، اخاله هو ، كما وقت ايضا في ازاريف على ان الحسن هذا كان مشيخة احمد بن سليمان الرسموكي الفرضي فلنعرف ذلك فيكون في تارودانت حوالى 1080 ه وقد وقفت على رسائل للرسموكي المذكور كتبها الى اهله من تارودانت

31) منظومة في بحر الطويل لسعيد الكرامي ذكر فيها قصة منسوبة لابن عباس مرجعها الى الشفاعة في نظم ليس هناك وهو صغير .

32) شرح لابي زيد التامانارتي القاضى على لامية احمد بن عبد الله الزواوى الجزائرى التي اولها :

الحمد لله وهو الواحد الازلى سبحانه جل عن شبه وعن مثل

وهي قصيدة طنانة في التوحيد كما يظهر من لحظة امررتها عليها مع سوق نصائح، والنسخة كتبت بخط غير جميل بيد محمد بن ابراهيم الصوابي تلميذ المؤلف عام 1071 ه وهي في نحو 260 صفحة في 36 سطرا في مجلد طويل، والمؤلف يضيل النفس ويستشهد بكل ما تيسر عن الائمة والشعراء ، وهذا المؤلف لم اره قبل ولم اسمع به وكذلك لم اعرف هذا الناسخ الا هنا .

33) نظم علوم الاخرة لابي فارس الرسموكي والاصل للثعالبى وهو في

بحر البسيط ، كتب النسخة ذلك الصوابى عام 1074 ه فى 18 صفحة فى زهاء 35 سطرا وهذا النظم شرحه محمد بن ابراهيم الرسموكي الثوري المتأخر وقد رأيت الشرح كله فى يد الفقيه سيدي عبد الله بن محمد الكرسيفى الاسكاورى فى مجموع ، وعندي بعضه كما شرحه الحضيكي ايضا

34) كتاب عادي نسخه داود البعقيلى عام 985 ه ولا اعرف الان داود هذا مع انه من علماء بعقيلة في عصره كما يدل عليه هذا واثر آخر رأيته له وهو عالم بلا ريب .

35) وجدت في كتاب هناك ما نصه : في 23 شعبان عام 1133 ه توفي الفقيه احمد بن ابراهيم بن سليمان الاماسينى وهو من نجباء تلاميذ سيدي عبد الله بن يعقوب، هذا ما وجد، فيكون حيئنذ معمرا لان سيدي عبد الله بن يعقوب توفى عام 1052 ه فيعيش بعده نحو ثمانين سنة وذكر ان المقصود اماسين بأسيف ادرار .

36) الجواهر لابن شاس بخط مدمج رائق والنسخة مبتورة اولا وآخرا مجموعة الاوراق بغيردفتين وهو وسط غير صغير ولا طويل ويظهر انها نسخة قديمة

37) شرح بعض ابيات عمدة الموثق لاحمد العباسي مما اغفله شارحها سيدى يبورك وهو صغير

38) مشكل اعراب القرآن لمكي بن ابى طالب نسختان احداهما كتبت عام 881 ه والكتاب توجد نسخه او لعله مطبوع

39) براءة الذمة، من قول بعض الائمة. للجد ابن العربى لا يزال فى مبيضتة فى زهاء 75 صفحة بخط المؤلف المدمج وهو مؤلف ضد الذين يظهرون الكسرة في الامالة عمدا فى الصلاة وسمعت انه الفه ضد الاستاذ سيدى الحاج على ابى الوجوه من القراء الكبار الذين كان ينهاهم عن ذلك فلا ينتهون، وقد رأيت لابى فارس الادوزى نقضا لمضمن هذا الكتاب فاجاز الصلاة وراء الحاج على المذكور حين كان مشارطا في اساكا اوبلاغ وقد كان ابن العربى يفسد الصلاة وراءه

40) شرح مسعود التفتازاني على مختصر التصريف للزنجاني بخط جميل حضري مبتور اخيرا ، والكتاب قد يكون غريبا وقد يكون موجودا فذكرته للاحتياط ولكون الخزائن السوسية توجد فيها امثال هذه الكتب .

41) حاشية لسليمان المغربي الجربي المالكي على شرح مختصر السعد على التلخيص وقع في النسخة بتر .

42) منظومة السبيل الاحمد في علم الخليل بن احمد، لابراهيم بن احمد الجعفري والنسخة بخط حسن .

43) حاشية سيدي علي بن احمد الرسموكي على المكودي على الالفية والنسخة انتهت الى باب العطف ، ثم انبترت، ولكننا نسمع بتمامها .

44) كتاب عادي استفدنا من بعض الطرر فيه ان عيسى السكتاني كان قاضيا في احواز مراكش قبل ان يكون في تارودانت التي منها انتقل الى قضاء مراكش واحفاده لا يزالون يقطنون الان فى سكتانة الحوز .

45) فوائد حديث الافك للجد ابن العربي في صفحات بخطه المدمج ذكر في اوله ان النووي ذكر في شرحه على مسلم انه استنبط من الحديث 54 فائدة ثم زاد هو عليها حتى وصلت 137 فيتتبعها تبيينا ، والنسخة هي المبيضة ولم يتم فيها العدد المذكور ، ولعله اتمها في نسخة اخرى ، وهكذا ضرب الادوزي مقياسا لعله اسمى من استنباط ابن الصباغ المكناسي من حديث : يا ابا عمير ما فعل النغير اربعمائة مسألة ان قيس كل واحد منهما ببيئته، وهذا الاهتمام بمثل هذا الاستنباط من الحديث يقل عند المتأخرين الذين لايعتنون بالحديث، فكان مزية عظيمة لهذا العلامة الادوزي الجزولي المتربع بين شعاب قمم هذه الجبال وما اعظم بعض من تكنهم هذه الجبال الجزولية، الا ان البادية تئد ابناءها وتاتي على جهودهم .

46) حاشية احمد العباسي من جمع بعض اصحابه على خليل مجلد ضخم والنسخة مبتورة ولعلها كانت تامة فى الاصل وفى بالى ان جامعها هو تلميذه سيدي احمد بن ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، وهو الذي جمع

متشداته في مجالسه كما جمع فتاويه المشهورة المطبوعة .

47) كتاب عادي في احدى دفتيه مسعود بن سليمان بن ابراهيم البعقيلي السطحي ، ويظهر من اثر له هناك انه حي عام 1066 هـ وهو عالم مذكور رأيت له اثرا آخر يدل على شفوفه بين علماء عصره .

48) شرح لسيدي محمد بن احمد المرابط الادوزي على اليوسفية في 24 صفحة في زهاء 30 سطرا والشرح يدرس به في ادوز في الصفوف الابتدائية .

49) شرح لسيدي يبورك على المبنيات البرجية الفلالية وهو مشهور وقد شرحها ايضا سيدي محمد بن احمد بن ابراهيم الادوزي وهو موجود ايضا، وذلك الشرح اليبوركي في 38 صفحة .

50) شرح حدود شهاب الدين الابدي لسيدي علي بن احمد الرسموكي في 12 صفحة في 27 سطرا ونسخه متعددة .

51) شرح للحاج الحسن بن عبد الله بن سعيد الهشتوكي على مؤلف الحساب للقلصادي في 26 صفحة صغرى في 22 سطرا ، وهذا المؤلف لم اعلمه قبل ولم اره الا الان .

52) جامع التحصيل لاحكام المراسيل لخليل بن العلاء كيتخدى الشافعي في مجلدة والنسخة قيمة لانها بخط المؤلف نفسه ، على ما غلب على ظني وهو خط مشرقي فيه بتر قليل في اوله اتمه خامس صفر عام 746 هـ ببيت المقدس ، وعلى النسخة خط ابي زرعة الشافعي بأنه أخذ الكتاب عن مؤلفه في 13 صفر عام 747 هـ وفي مؤخره فوائد ، والنسخة من احباس المدرسة من سيدة كرسيفية ، حبست كتبا غير قليلة عليها ، والنسخة المذكورة مما يتغالى فيها ، وعليها مكتوب انها سمعت بين يدى الحافظ الذهبي ، واضيق الوقت لم يتيسر الا ان اصفها هذا الوصف الذى لايفي بقيمتها الغالية ، وهناك نسخة اخرى قديمة في الخزانة الكتانية اختلسها الكتاني من خزانة السويرة ، وقد ترك كراريس كان ينسخ فيها ، فذهب بالاصل كله .

53) نسخة من البخاري ملوكية ذهب اولها محلاة بذهب وهاج ، واولها

اخبرني الفقيه الحافظ ابو علي حسين بن محمد بن فيرة الصدفى فى قراءة مني عليه بدانية حرسها الله، قال انا الفقيه القاضى ابو الوليد سليمان بن خلف الباجى قال انا الشيخ ابو ذر الهروي الى آخر ما هو معلوم في هذا السند واطار كل صفحة من الجوانب الاربعة المربعة ثلاثة خطوط وهي بخط حضري جميل عال في النفاسة ، ولا عيب فيها الا انني لم اقف هنا على تمامها ، فخلت من تاريخ نسخها ، وهذا الجزء وصل الى قوله : باب امر النبي صلى الله عليه وسلم بالسكينة الخ . . واضيق الوقت لم يتأت وصف المجلد كما ينبغي، هذا وقد رأيت هناك نسخة اخرى ملوكية الخط والتسفير من سنن النسائي حديثة النسخ لم يزالوا محافظين على رونقها .

54) جزء من تفسير ابن عطية كتب بمراكش عام 995 ه

55) الوجيز لابن غلاب مجلد ضخم مبتور اولا وآخرا ، وهو بين الخط ويظهر ان الذي ينقص النسخة اولا وآخرا قليل .

56) شرح ابن الناظم على التحفة العاصمية ، كتب عام 1094 والكتاب موجود .

57) مصابيح الجامع للدمامينى على البخارى في مجلد ضخم جيد الخط كتبه الحسن بن علي بن سعيد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله الاندلسي الغرناطى المشهور بالسراج في صفر عام 997 ه

58) شرح على موطأ مالك مجلد ضخم ـ وصنيعه هكذا : بوب للعينة ثم ساق كل ما في الباب من المتن ثم قال التعريف فيذكر رجال الحديث ثم قال اللغة وما كان في معناها فياتي بكل ما يتعلق بلغة الحديث ثم قال السند وما يتعلق به فيتكلم عليه بالصناعة الحديثية ثم قال المعنى وما يدخل فيه من الفقه فيطنب في التفريع وبعد كلام كثير قال الفصل الاول ثم الثاني ثم الثالث هذه كلها اطال فيها النفس والمؤلف على كل حال لا يغادر ما في امكانه فيحشر كل ما يعرفه مسهبا ، اسهابا والموجود من هذه النسخة : من باب الصرف الى منتهى الاجارة فى 300 صفحة فى زهاء 29 سطرا فى قالب يميل الى الاتساع

والطول بخط حسن لعله فاسي وهـذا المجلد سـالم الا من بعض ثقوب قليلة بالارضة ، الا ان ورقة في الوسط اسودت وتمزق بعضها وكثيرا ما يقول اثنـاء كلامه ابواليد يعنى قال ابو الوليد واحسبه الباجي لانه احد من يكنى به ، وقد ذكروا له على الموطأ هذا المنتقى المطبوع وهو مختصر من كتاب آخر اطول منه سماه المجتبى ولعل هذا جزء من المجتبى ولا اخاله من التمهيد .

59) كتاب عادي كتب الجد ابن العربى ما ياتى : سيدي رحـال البدلى توفي آخر العشرة الخامسة من القـرن العاشـر ونسبه ، رحـال بن احمد بن حسن ابن القاضى بن عبد الواسـع بن ابراهيـم بن عبد السـلام بن عبـد الواسع بن ابراهيم بن عبد السلام بن محمد بن عبد الله بن سفيان ابن جاهر ابن علي بن سليمان بن عبد الله الكامل الخ النسب المشهور ، اصل اسلافه من تامدولت وهى مدينة قديمة عظيمة ، كان منها معظم قبائل جزولة خربتها قبائل مجاط ثم تفرقت قبائلها. انتهى ما كتبه الجد مختصرا وقوله خربها قبائل مجاط اطلق مجاط على ارض تيزلمى من باب المجاز المرسل، وإلا فإن القبائل التي خربت تمدلت هي قبائل حربيلة فيما شاع وذاع، وكانوا اذ ذاك سكان تيزلمي ويقولون ان مجاط لم تات الا بعد ومحمد بن على المنصـاكي الذي ينسب الى رياسته خراب تامدولت حربيلي بلا ريب، وكان يسكن فـي منازل قبيلـة اد بنهران نبهنا على هذا لئلا ياتي من لا يفهم فيتخذ هذا حجة ، ووقـت خـراب تامدولت الذي نفتش عنه لم نجده الى الان ويوتى الي حدسا ان ذلك وقع اما في آخر القرن الثامن واما فى اوائل التاسع وقد جربت ذلك بسلسلة من يقولون ان آباءهم انتقلوا منها وعينوا المنتقل فأجد ذلك صحيحا بقسم ثلاثة ثلاثة من رجال النسب على كل قرن قرن على القاعدة الخلدونية، وقد شاع عنـد الناس في جهة أقا انها خربت في التاسع[1] والله أعلم .

60) نسخة من التلقين في مجلد غير طويل يميـل الى الضخامة كتبت

1) في الجزء الثالث من هذا الكتاب ذكر تامدولت ووصفها ومعاينة آثارها وما عرف عنها في التاريخ ، وقد ذكر ايضا ان الذين خربوا تامدولت هم الصنهاجيون ، وقـد جرى ايضا ذكر ذلك في الجزء الرابع عند ذكر سيدي بعبدلي البرايمي .

عام 899 ه في كل صفحة 12 سطرا بخط بين واضح، والنسخة سالمة لا خرم فيها ولا بتر .

61) فتاوي محمد بن علي المنابهى ثم المراكشي تلميذ احمد بن سليمان الرسموكي ، جمعها على بن ابي القاسم بن احمد بن محمد بن عبد الرحمن البوسعيدي وكان تلميذا للمنابهي والبوسعيديون من هشتوكة ينسبون الى جدهم ابي سعيد ذي مشهد مشهور عليه مدرسة قائمة الى الان ومن هذه الاسرة الاستاذ الورع العلامة احمد بن علي البوسعيدي وقد تقدم ذكره قريبا ومحمد بن علي المنابهي مترجم في الجزء الخامس من تاريخ شيخنا العباس المراكشي .

62) كتاب عادي وجدت فيه ان عبد الله بن احمد بن ابي القاسم الزعنوني ممن اخذ عن جسوس الفاسي الشهير حي 1113ه ولم نعرف له ترجمة الى الان الا انني كنت رأيت من نقل ذكر مؤلف في البيوع للزعنونى فلعله لهذا والزعنونيون من رسموكة تسلسل فيهم العلم ولا يزال فيهم البعض حيا وقد ذكرنا من عرفنا منهم في الفصل الاول من (القسم الرابع) من (المعسول)

63) مؤلف فيما يحتاج اليه المكلف فى التوحيد والعبادات فيه 6 صفحات ثم انبتر لمحمد بن عمر بن عبد العزيز بن عبد المالك بن ابى محلى ولا ادرى من هو الان .

64) الاتقان بنسخ الاديب احمد بن محمد بن يعزى بن عبد السميح التاغاتيني هاجى امزوغار ويوجد التاغاتيون ان شاء الله فى القسم الخامس من المعسول

65) كتاب عادي نقلت من طرر فيه . توفى سيدى محمد بن محمد ابي بكر بن يحيا الواغزنى عشية الاحد سابع رمضان عام 1190 ه والواغزنيون وهم اخوان البوشواريين اسرة علمية ذكرنا افرادها في المعسول في الفصل الثاني من القسم الرابع

66) اجوبة لسيدي احمد العباسي غير المشهورة، من جمع تلميذه الحضيكي فى 110 صفحة صغيرة بخط مدمج الى الغاية فى 26 سطرا وليست هذه النسخة الا ملتقطة مما جمعه الحضيكي فيكون الاصل الذي لم نقف عليه اكبر من هذا بكثير

67) شرح الفاظ الغنية الناصرية للحضيكي في 46 صفحة على غرار ما قبل لانهما في مجلدة واحدة

68) ارجوزة للجد ابن العربي لعلها تناهز مائة بيت او اكثر يحث فيها على الحرص في ازدياد العلوم لا سيما التاريخ واولها ؛

فهاك بعض ما على الانسان   يعلمه من خبر الاعيان

69) الحقائق والرقائق للمقرى جد صاحب النفح كله لطف الى لطف يغلب عليه السجع ومزج الشعر بالنثر وهو خفيف الروح وما رأيناه هنا في 4 صفحات في القالب الكبير وقد نقل بعضه في النفح فينبغي ان يقابل به ليعلم اهو كله هذا ، ام ان هذا ما هو الا طرف منه وخطه جميل .

70) اجوبة لسيدي عبد الله بن يعقوب في 22 صفحة بخط رائق في قالب وسط ، وهي من جمع بعض اصحابه ، ولم نعرف الان اسم الجامع وقد جلدت مع الاجوبة الروضية من مسائل مرضية لعمر ابن عبد العزيز الايرغي الكرسيفي وهذه في سوس اشهر من قفانبك ونسخها اكثر من عديد الطيس

71) شرح لسيدى احمد بن عبد الله بن يعقوب على مورد الظمآن في زهاء 100 صفحة صغيرة في نحو 26 سطرا نسخت النسخة عام 1085 ه واحسب الان وانا اقيد هذا انها بخط المؤلف

72) شرح لسيدي يبورك على فرائض المختصر في زهاء 60 صفحة في ذلك القالب ، لانهما في مجلد، ألفه عام 1029 ه.

73) شرحه على نظم التصريف لمعاصره سيدي عبد الله بن ابراهيم التيخفيستى السملالي في 24 صفحة في ذلك القالب لانهما في ذلك المجلد والتيخفيستيون مذكورون بين تلاميذ عبد الله بن يعقوب فى (القسم الثالث) من (المعسول) .

74) تلخيص المقال فى بيوع الاجال لاحمد بن على من تحت السطح البعقيلي اصلا ، وهو شرح باب بيوع الاجال فى المختصر فى 18 صفحة فى

ذلك القالب من ذلك الجلد ، والمؤلف من اهل الحادي عشر من العلماء المحققين، وقد قال سيدي عبد الله بن يعقوب عقمت البعقيليات ان يلدن مثله وله شرح على التلقين كذا بخط الجد ابن العربي ، وهو من العلماء الكبار في النصف الاخير من القرن الحادي عشر ، وقد ضاعت ترجمته وآثاره ، ثم رأيت له في هذه الجولة حاشية على المغني في مجلد في 282 صفحة في 23 سطرا .

75) موازنة الوتريات البغدادية لابي فارس الرسموكي، رأيت منها نسختين في (ادوز) وفي (ءازاريف) وفي الاولى مكتوب آخرها انها قوبلت بنسخة قال فيها مؤلفها هي العمدة وقد نسخت بيد احمد بن ابراهم بن عبد الله عام 1089هـ واحمد هذا لا اعرفه الان .

76) كتاب عادي استفدنا من طرة فيه اسم الفقيه سيدي محمد بن علي ابن ابي القاسم المزواري، ويظهر من هناك انه فى اوائل الثالث عشر والمزواريون اسرة علمية من رسموكة يذكرون ان شاء الله في (القسم الثالث) من (المعسول)

77) اعراب بعض كلمات القرآن منسوخ عام 1052 هـ بخط موسى بن عمر ابن ابراهيم الساموكني، ولم ينسب الكتاب ولا ندري اهو للسملالي المذكور، ثم رأيت في الخزانة (مفاتيح المغاليق) في اعراب اوائل الاحزاب ، فعلمت ان هذا غير ذاك ، وهذا لداود بن محمد السملالي الشهير ، والنسخة من اعراب اوائل الاحزاب تامة في 44 صفحة ، اختلفت فيها اعداد السطور وهي في قالب صغير بخط غير جميل الا انه يقرأ. وفي اوائلها وأواخرها ورقات كتبت حديثا، وموسى المذكور لا اعرفه .

78) مجلد ضخم طويل من مختصر ابن عرفة اوله الطلاق نسخ عام 977 هـ وقد سلم من اي خرم .

79) مجلد ضخم طويل قديم النسخ من التنبيهات لعياض على المدونة وصل فيه باب السلم ، وخطه بين فيه ثقوب قليلة من الارضة ولم يوقت نسخه ونسخ كتاب التنبيهات قليلة جدا .

80) مجلد ضخم ملوكي الخط يتضمن مؤلفات شتى منها «حسن المقصد في في عمل المولد» و «الانافة في رتبة الخلافة» و «بذل الهمة في طلب براءة الذمة» و «المعاني الدقيقة في ادراك الحقيقة» و «القول المنجلي في تطور الولي» و «رفع الصوت بذبح الموت» و «قطف الثمر في موافقات عمر» ومؤلفات اخرى كلها للسيوطي كما هو معلوم بعضه من الحاوي المطبوع وهي كلها بخط تقصر عبارتي عن وصفه كما اريد لجودته وبراعته وقد سال الماء على بعض السطور فيها حتى لا يقرأ ، فكان هذا التفريط حزازة في نفسي فقلت آه يعطى الفول من لا سن له ، واثرها «الغماز على اللماز» للسنهوري في الاحاديث الموضوعة والضعيفة في 5 صفحات، والكتاب اعرف منه نسخة اخرى في الغ عند الفقيه المرحوم التياسينتي ومنها نسخت نسختي، وبعدها «فهرست القاضي عياض » المسمى « الغنية » ذكر فيها 100 ترجمة على حروف المعجم ، والفهرست كنت عرفته ولكن الذي استهواني هذا الخط الرائق الخلاب ، والفهرست سالم لم يصله ذلك الاثر الناشيء عن سريان الماء من السقوف البدوية الواكفة ثم يلي كل هذا طرف من كتاب عظيم لا أعرفه الان ، وأول ما فيه (كشف المشكل من مسند زيد بن ارقم) ثم ذكر حديثه الاول (كنا نتكلم في الصلاة) الى آخر الحديث المشهور في الصحيحين ، ثم الثاني (غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسع عشرة غزوة) ثم الثالث (خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر اصاب الناس فيه شدة) ثم الرابع (نهى عن بيع الذهب بالورق) الخ وهذا صنعه فيبين بعد كل حديث حديث ما فيه من الاشكال بكلام واضح عال ثم ينتقل الى حديث آخر الى ان يأتي على كل الاحاديث التي يرويها ذلك الصحابي ، فانه بعد ما ذكر احاديث ابن الارقم ، انتقل الى ابي بشير الانصاري قائلا كشف المشكل من مسند ابي بشير الانصاري فذكر له اربعة احاديث ، ثم انتقل الى البراء بن عازب قائلا كشف المشكل من مسند البراء بن عازب الخ الخ ينقل عن ابي عبيد وابن قتيبة والخطابي وابن السكيت والزجاج ونظرائهم وليس الكتاب بمشارق

الانوار بلا ريب، وقد مر بي ان كثيرين الفوا في هذا الموضوع ولكنني الان في غربة لا يمكن فيها تحقيق ما يراد لاعواز المراجع وما في هذا الكتاب هنا لا اول له ولا آخر ، ويأخذ من المجموع الضخم 116 صفحة وهو ايضا مصون من اثر البلل الذي اثر في اوائل المجموع ذي الرونق الجذاب وبخطه الجميل الرائع واحسب هذا الطرف من كتاب التمهيد لابن عبد البر ولو امكن المقابلة لادركنا حقيقة الكتاب واثر ما تقدم رحلة العبدرى بذلك الخط ومؤلف لعمر ابن خليل الاشبيلى ثم التونسي حول اسماء الله الحسني في 16 صفحة في ذلك القالب الطويل واواخره تأثرت بالبلل حتى عفا بعضها، هذا ما في ذلك المجلد الضخم ، وكله - كما في آخره - بخط عبد الله بن ابى بكر بن ابراهيم الكرسيفي اتم الكل كما يظهر في 14 صفر عام 1046 ه قال كتبته لسيدنا الامام القائم بوظائف الاسلام عمدة الانام وملجإ الضعفاء المرتضى الاسد سيدى احمد بن السيد الاصيل الابر الحفيل سيدي ابراهيم كان له بمنه آمين فعلمنا الان ان هذا الخط الرائع لهذا السوسي النبيل العثمانى وانه كتبه لاحمد ابن عم السلطان بودميعة فاستفدنا من ذلك همة ايليغ القديمة من هذه الجهة ايضا ومرتبة هذا العلامة احمد بن ابراهيم المتوفى في 11 - 6 عام 1065 ه كما وقفت عليه في هذه الرحلة، فالكتاب اذن من ذخائر ايليغ المنهوبة لعل يوم ثل عرش ايليغ (ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام) وقد علمنا من تاريخ الدلائيين ان بودميعة يرسل اليهم في استنساخ الكتب القيمة .

81) شرح لعقيدة سيدي سعيد بن عبد النعيم لسيدى يبورك في 12 صفحة صغرى وقد كنت رأيت من الشرح قبل اليوم نسخة اخرى في الـغ في خزانة التياسينتي .

82) شرح الممدود على قراءة ابن كثير لسيدي عبد الله بن يعقوب وهو شرح لنظم سيدي محمد بن احمد المصمودى وهو في زها° 100 صفحة الفه عام 1029 ه وهو مع ما قبله في مجلد .

83) كتاب مسمي بـ ابوتونورات هكذا يفسر الالفاظ العربية بالشلحة

كالرجل : اركاز المراة : تامغـارت وهكذا فى 8 صفحات وقـد اخبرنى الفقـيه سيدى عبد الله بن محمد بن علي الايكدماني الغشاني مدرس مدرسة بومروان ان عنده كتابا صغيرا على هذه الكيفية منسوبا لابن تـومارت الشهير ولعله هذا . ثم توصلت به فوجدته اوسع من هذا في تعريف الكلمات الشرعية وليس لابن تومارت المشهور وهذا كتاب غير كبير ولكنه مبتور، كما افـادنى الفقيه المذكور ايضا ان عنده ديوان ملك اندلسى فارسله الي ، فاذا هو مجلـد ضخم بخط نفيس لملك يعيش عام 818 من بني الاحمر وهوذخيرة نـادرة ظننت انه يشتمل على ازيد من خمسة آلاف بيت ، وله فصاحة وبلاغة وبيان اندلسى عجيب تـوصلت به وهـو يطبع اليوم فى تطوان[1]،

84) كتاب عادي نسخه احمـد بن ابراهـم بن عبـد الله بن يعقوب عـام 1089 هـ[2] فاستفدت من ذلك همة هذا العالم الذي لم ا كن ارى له تلك المكانة حتى رأيت له آثارا منها هذا .

85) كتاب عادى مخطوط في دفتيـه سؤال القـاضي ابن يـوسف المراكشي للسوسيين عن مسائل فاجابه محمد بن الحسن اللكوسى، ومحمد ابن سعيد العباسي القاضي وعبد الرحمن التامانارتي القاضي وعبد العزيز الرسموكي القاضي وعبد الله بن سعيد السملالى الولتيتى يعني التيخفيستي وهذه المسألة النظمية توجد كلها او جلها فى المجموعة الفقهية التى جمعناها فى الجزء الاول منهـا

86) شرح الجمل للمجرادي لابراهيم بن الحسن النظيفي ثم المراكشـي ولم نعرف هذا الا هنا ثم وقفت على انه خطيب في جامع ابن يوسف بمراكش وإنه من اشياخ سيدي محمد بن ابراهيم أعجلي الشهير ، كان ياخـذ عنه في حدود 1120 هـ كما شرحها ايضا سيـدي ابراهيـم بن محمد الشيخ التامانارتى كما يوجد ذكر ذلك فى شرحها لسيدي يبورك الشهير ، وهذا موجود هناك فى

---

1) تم طبعه فانتشر في العالم

2) هـكذا التاريخ في مسودة الرحلة مع ان احمـد بن ابراهيم بن محمد بن عبـد الله بن يعقوب توفى 1068 هـ ولعل احمد بن ابراهيم غير المتقدم .

مجموعة ، وقد اتمه عام 1052 كما شرح الجمل ايضا سيدي علي بن احمد الرسموكي ، رأيناه هناك صغيرا يجمع الابيات بخلاف سيدي يبورك .

87) شرح لقواعد ابن هشام لاحمد بن يحيا السوسي ، وقد رأينا النقل عنه ، وسمى الشارح هذا شيخ الجماعة فى زمانه ، ولم اعرف الان كل المعرفة احمد هذا .

88) كتاب عادي عرفنا منه ان عبد الله بن يعقوب اخذ اولا عن سيدي محمد بن ابراهيم بن محمد الشيخ فى مبادئه فى تامانارت كما اخذ عن اخيه احمد هناك قبل ان يذهب الى تارودانت .

89) شرح لسيدي يبورك على عقيدة سيدي يحيا بن عبد الله بن سعيد المناني وقد عرف فى اوله به، والنسخة فى 6 صفحات صغرى كتبت عام 1085هـ فعلمنا ان سيدى يبورك شرح عقيدة سيدى يحيا كما شرح عقيدة جده سيدى سعيد الحاحى ، كما شرح عقيدة ابن تومارت .

90) كتاب عادى استفدنا منه ان صالحا المشهور تلميذ السكتانى هو صالح الامسدا كنى لا المسكينى كما كنا نتوهمه في الرحلة الاولى، وقل رب زدنى علما.

91) رجز فى نقل الخبر بالواحد او شهادته لا يزال فى مبيضته واوله

الحمد لله العليم الحاكم   بعدله على كتاب قائم

ولعله لبعض الادوزيين .

92) عمدة الناجب فى شرح ابن حاجب فى مجلدين ضخمين طويلين كان قد نسخه كما يظهر داود بن يعزى بن يوسف عام 892 هـ والكتاب سالم من الخرم والبتر وهو غير شرح التاغاتيني الذي يذكر وقد ذكر للزموري شرح على الكتاب اهو هذا ؟ وهل يوافق تاريخ الزموري هذا الوقت ؟

93) مختصر الفوائد والصلة والعوائد لمحمد بن احمد البعقيلى ثم الروداني ويتضمن هذا المختصر آيات يستشفى بها فى زهاء 30 صفحة ووجدت في محل آخر ان هذا المؤلف يسمى منقوط العرائس والعوائد من كتاب الفوائد والصلة والعوائد

94) كتاب تاريخ وجغرافية يسمى الاستبصار في عجائب الامصار لم استحضر الان مؤلفه وقد ذكر عن مصر كثيرا وعن آثارها القديمة كما تتبع كل اقطار المغرب والسودان ولسوس فيه نصيب كبير فقد ذكر من مدنه تامدولت واكلي، والكتاب مؤلف نحو عام 589 ﻫ وهو مجلد بخط قديم وفيه بعض بتر، وهو في يد اولاد الخال سيدي العربي وقد علمت بعد انه كتاب نادر ومنه نسختان في المكتبة العليا بالرباط مبتورتان ثم صارت الي النسخة المتقدمة فاستتممت منها احدى النسختين في المكتبة والكتاب مطبوع ببتر

95) شرح سيف النصر لحسين الشرحبيلي. والاصل لابي عبدالله ابن ناصر ذكره في الدرر المرصعة التي رأينا منها نسخة هناك حسنة الخط.

96) شرح الجوهر المكنون لاحمد العباسي في 66 صفحة في قالب طويل في نحو 38 سطرا

97) مسوغات الابتداء شرح لنظم بعضهم لسيدي علي بن احمد الرسموكي في 5 صفحات الفه وهو ناشيء عام 1004 ﻫ.

— — —

هذه هي الآثار القديمة التي لفتت بصري اثناء تصفحي السريع لكتب الخزانة الموجودة عند الفقيه الخال ابي العباس ولكتب الخزانة بالمدرسة زيادة على مؤلفات الجد التي منها كتاب الحيل في مجلد غير صغير بخطه، ويسوق فيه حكايات الاحتيال ويلم احيانا بالحيل الميكانيكية وببعض امور صناعية يتوصل فيها بالحيل الى المقصود، ومنها رحلته الى الحمراء وشرحها ولكن كل ذلك انما مررت به مرورا، لان هذه المآت من الكتب تحتاج الى اسابيع لا الى الايام القليلة التي قضيناها هناك، ولا يعلم الا الله كم فوائد تستخرج من تلك الخزانة ان تأنى فيها متصفح متمهل يمشي الهوينا لا امثالنا الذين كانوا على اوفاز، وكلما تذكرت انني الان افوز بما لم يفز به غيري من هذه الخزانة اصابر ساعات طوالا حتى يكل كل من معي، وجزى الله من كانوا يعينونني هناك في نسخ رسائل وقصائد مما احتاج الى نقله الى

«المعسول» كابني الخال الفقيه سيدي الحسن ، وسيدي الطاهر وسيدي احمد الاكراري وسيدي المدني ظللنا هكذا بياض الجمعة ثم السبت وقد ورد علينا الفقيه الشاب الاديب سيدي احمد العوفي حين سمع بورودنا الى ادوز ، وقد كان ينتظر قدومنا وعند العصر خرجت معه الى تامـاشت فكان يفضي الي بأخبار الحمراء ، لانه حديث عهد بزيارتها وعند الرجوع تلاقينا مع الفقيهين سيدي المدنى وسيدي احمد الاكراري ، فقضينا ساعة فى مجاذبة الحديث حول اخذ العلم حتى صلينا المغرب فأبنا الى المثوى ولم ينشب ان ورد علينا العلماء الكبار سيدي علي بن الطاهر المحجوبى ، وقد كان تواعد معنا ادوز وسيدي احمد بن الطاهر من مشيخة الاسرة اليعقوبية المسنين وقد كنت كتبت اليه رسالة ان تيسر له الورود للتعارف فتفضل على كبر سنه ، فأنعم علينا بنعمة ما مثلها نعمة وثالثهم الاديب الاريحى سيدي المحفوظ سبط الشيخ ماء العينين الحافظ السيال انشادا وهو يقطن فى (وجان) فحمدنا الله على جمع الشمل بهؤلاء الافاضل العلماء الخناذيذ، فلم يعتم الاديب سيدي المحفوظ ان سال بالانشاد في كل مناسبة على عادته، فكنت اقيد بعض ما ينشد، فمما وجدته عندي مقيدا مما انشدنا فى ادوز فى معرض ممازحة الاصدقاء :

ممازحة الصديق تزيد ودا — اذا كانت تضاف الى الملاحة
فمازح من تحب وتصطفيه — فمزحك مع صديقك فيه راحة

وانشد ايضا فى ذكرى الوطن :

ذكرتنى وطنا شطت مرابعه — فالدمع منسكب والشوق يزداد

وأنشد ايضا فى فصاحة فصيح :

تلهو بأطراف الكلام فلم تدع — قولا يقال ولا بديعا يدعى

وأنشد ايضا فى هذا المعنى :

لك فى المحافل منطق يشفى الجوى — ويسوغ فى اذن الاديب سلافه
فكأن لفظك لؤلؤ متنخل — وكأنما آذاننا اصدافه

وأنشد ايضا فى كرماء :

لا عيب فيكم سوى ان النزيل بكم   يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

مثله مما انشده أيضا :

ولا عيب فيكم غير ان ضيوفكم   تلام بنسيان الاحبة والوطـــن

وانشد ايضا

واها لها من ليال هل تعود كما   كانت واى ليال عاد ماضيها

لم انسها مذ نأت عنى ببهجتها   واي انس من الايام ينسيها ؟

وانشد ايضا :

وما عبر الانسان عن فضل نفسه   كمثل اعتقاد الفضل فى كل فاضل

وان أشد النقص ان يرمي الفتى   قذى العيب عنه بانتقاص الافاضل

وانشدنا لمحمد بن محمد الامين بن احمد بن بيا الجاكانى الشنكيطى والد الاستاذ العلامة صاحبنا محمد العقب نزيل مراكش :

رب خود عاينتها وهى تقرا   بعد عصر دلائل الخيرات

وعلى ثغرها وفى النحر منها   والمحيا دلائل الخيرات

والتجافى عن وصلها لسواها   لم يكن من دلائل الخيرات

وانشدنا ايضا فى مثل هذا للاديب ابن العتيك فى كتاب (المشرب الزلال فى الصلاة على افضل الرجال) يورى باسم هذا الكتاب

لست انسى عشية زرت سعدى   ما احيلي عندي واعذب فيها

سردها (1) المشرب الزلال ولكن   يعذب المشرب الزلال بفيها

وانشد ايضا للشيخ سيديا بن حمدو ابن سليمان الديماني الشنكيطي في كتاب (ملذة الحبيب في الصلاة على النبي الحبيب) وهو كتاب مطبوع وقد سمع زوجه تتلو فيه فقال موريا ايضا :

سمعت قراءة فاتيت اسعى   لربتها وقلت لها اجيبي

من القارى وما المقروءقالت   مجاوبة (ملذة الحبيب)

---

1) يظهر ان هناك التضمين ، فسردها مفعول ما احيلي .

وانشد حين رأى كتاب (سوس العالمة)

جميع الكتب يدرك من قراها ملال او فتور او سآمه

سوى هذا الكتاب فان فيه فوائد لا تمل الى القيامه

وانشد ايضا اذ ذاك

طالعت فيه وانني ارجو البقاء لصاحبه

فوجدت كل بلاغة وفصاحة ياصاح به

وبين ما انا في الكتابة هناك اذا بنقطة من الحبر سقطت على ثوب علي ابيض فانشد الخال ابو العباس

مداد الفقيه على ثوبه احب اليه من الغاليه

فانشد الاديب المحفوظ

وما شيء باحسن من ثياب على حافاتها اثر المداد

ولبعضهم فيما يشبه هذا :

امدعي الكتابة انت منها مكان النمل من نسل الجراد

فدع عنك الكتابة لست منها ولو لطخت ثوبك بالمداد

وانشد المحفوظ ايضا في الدواة ورائحتها :

وما روض الربيع وقد زهاه ندى الاسحار يارج بالغداة

باضوع او باسطع من نسيم تـؤديه الافـاوه من دواة

وانشد للبستى

دعوني وامرى واختيارى فانني بصير بما افرى وابرم من امرى

اذا ما مضى يوم ولم اصطنع يدا

ولم اقتبس علما فما ذاك من عمرى

ووجدت فى مذكراتى من بين الادوزيات هذه الابيات . ولعله هو الذي انشدها لمن اهدى لغيره آلة من آلات الفلك

نوه بقدر ولى الله يا فلكه فالله هو الذي اولاه ما ملكه

وسر بسرعتك العظمى لمدحته فمنتهى السيرمنكمبدأ الحركة

فـوائد ومـوائد لزائركـم   انسته منزله وكل ما تركـه

وحكى الخال ان ابن الخطيب قيل له بم نلت مـا نلت من العلـم ؟ فقـال بالجلوس الى المصباح الى الصباح فقال الجد ابن العـربي عـاقدا لذلك وقـد انشده الخال

العلم بالجلوس للمصباح   الى الصباح مدرك ياصاح
العلم محسوب من الارزاق   وليس مأخوذا من الاوراق
وإنمـا ينـال بالاشيـاخ   وغيره عار من ارتساخ

وانشدنا له أيضا :

وقائل صف لي ادوز باختصار   قلت نعم بلـد امـن وقـرار
فقال هل يوجد ماء جـار   قلـت بـأثر ديـم الامـطـار
فقال هل من عنب عجيب   قلت نعم ان نسبوا للذيـب
فقال هل مرجانه مدخــــر   فقلت بـل هرجانه يـدخـر

وعنب الذيب نبات مشهور في البوادي والهرجان هو الذي يتخذ منه زيت اركان المعلوم وأنشد أيضا في معرض الاشادة بالتاريخ :

اذا ماروى الانسان اخبار من مضى   ستحسبه قد عاش الفا من العمـر

وأنشد الخال سيدي ابراهيم عند الترحيب بنا للجد ابن العربي :

يا مرحبا بكم فالـدار داركـم   والاهل اهلكم والكل لله

فبين هذه الكتب وهذه الانشادات قضينا ايام ادوز الزهراء الغـراء ، وقد راجعت المدرسة ، فمررت على كل كتبها يوم الاحد كما ان ابن الخال سيدي الطاهر ابن العربي، قد استدعانا فانزلنا في ذوى الجد ـ الدويرة ـ الـذي كان هيأه في حياته للاضياف ، وهو بهي انيق بحسب بيئة البادية وهـو هو بنفسـه القائل في رحلته المراكشية :

ليس على اهل البوادي من ضـرر   ان فقدوا بعـض محاسـن الحضـر

وقد تذكرت ايام الجد حين كـان الوالد يذهب بنا لزيارته ونحـن صغار رحم الله الجميع ، ولا تزال باقية مصونة تلك القبة التي يعتاد منه بوقاره وحسن

سمته ان يجلس في ركن معلوم من اركانها ، وكان هذا الاستدعاء من سيدي الطاهر قبل يوم الاحد فأفاض علينا ما افاض، جزاه الله بالخيرات ، وهذا الشاب لهج اليوم بالتلقي وقد ظهرت منه بارقة نبوغ وهو ياخذ الان في المدرسة الالفية وقد قلت أخاطبه في يوم من رمضان الماضي وهو 18 من عام 1361 ه قصيدة أولها ؛

نسف عزيماني وان فاقت الشعرى	اذا كان اعلى ما تحاوله الشعرا
يرى العنب المسكي اسمى حلاوة	عريض قفا ما ذاق في عمره خمرا[1]
ابى ان ارى الشعر البليغ مداى ما	جبلت على قبل ان ارضع الدرا
فهبنى اجدت الشعر كابن الحسين او	حبيب بن اوس هل اجد به فخرا
(فعولن مفاعلين فعولن مفاعلن)	بحور خيال لاميـاه ولا درا

الى آخرها وتوجد في ترجمته في (المعسول) بين اهله اليعقوبيين في (القسم الثالث)

كنا ارسلنا يوم الاحد رسالة الى الفقيه سيدي الحسن الازاريفي نعلمه بورودنا عليه ، فحين رجع الرسول من السوق - سوق الاحد بـأنزى - وقد علمنا بوجوده في داره ودعنا ادوز بقلوب واجفة واكباد حرى ، فذهبت مع الفقيه سيدى علي بن الطاهر والاديب سيدي المحفوظ لنروح الى قرية (ميرة) وقد كان الفقيهان سيدى احمد بن الطاهر وسيدى احمد بن العوفي غادرانا قبل متوجهين الى مثواهما فذهبنا نحن على بغالنا ومعنا سيدي الطاهر ابن الخال الذي لم يفارقنى الا من (اكال ملولن) فدخلنا فى شعب (نصركى) فقلت اهذا هو الذي سمعت به في رسالة من الخليفة محمد العالم الى القاضي الامزوغارى حين يستفسره اي الطرق اسهل الى (ايليغ) حين هم ان يزحف الى يحيا ؛ اول نابغ من ابليغ الحديثة [2]

---

1) كان الاديب الحامدي توقف في معنى البيت حتى بينت له ان هناك في الرباط نوعا من العنب ابيض ، يسمونه بالمسكي من الذ انواع الاعناب طعما ففهم حينئذ المراد .

2) يوجد كل ذلك مفصلا في كتاب «ايليغ قديما وحديثا» .

نزلنا بين العشا"ين في (ميرة) عند سيد يظهر عليه اثر الخير وهو الفقير محمد بن مسعود من الذين يحبون العلم واهله فيخدمهم بماله وبنفسه ، وكان من صاغية العلامة سيدى المحفوظ الادوزى وامثاله ثم صار اليوم مثل ذلك للفقيه البركة سيدي علي بن الطاهر حفظه الله والرجل عليه سيمى الخير [1]

"ازاريف

كنا نظن وقد دخلنا الى (ميرة) قرب العشاء اننا لا نلبث ان نقع على المضاجع كلالا واعياء الا ان رب المثوى الذي اظهر من الفرح ما احسسنا به خامرنا فاطال لنا الرسن في المسامرة فكان الاديب المحفوظ الصحراوى قطب النادى وفي يده مقواد المحاضرة لان الرجل غريب في الاستحضار للادبيات استحضارا عجيبا فقلما يقع شيء او تمن حادثة ، او تجـول مذاكرة او تعرض شاذة او فاذة الا استرسل انشادا وقد قلت له ذكرتني ما كنت رأيته من النفح للمقرى ان بعض الحفاظ من الادباء كان يستحضر ما ينشد عند كل حادث مما يستظرف ويستلطف ، فعطس عنده عاطس فلم يحضر له ما يقول فيـه فاقترح على بعض الشعراء ان يقول ما يوافق المقام ، فقال :

باعاطسا يرحمك الله اذ اعلنت بالحمد على عطستك

في قطعة معلومة في (نفح الطيب) فكذلك هذا الاستاذ الحافظ الاريحي الذي يكاديطير اريحية عند سنوح كل معنى طريف ادبى،لاسيما ما يتعلق بالنسيب الرقيق الذي يتململ به ولا يملك معه عطف الوقار فتراه يتمايل تمايلا مفرطـا وبفرقع بابهامه ووسطاه على عادة الصحراويين عند اعجابهم بشيء وهـذا مـا كان منه تلك الليلة وقد خلا المجلس من الثقلا" فما هناك الا الفقيه ابن الطاهر والخال سيدي الطاهر والعبد الكاتب فملأ جو القبة بطنانات من قوافي آلـه وآل ماء العينين ، وكان في الحقيقة راوية تلك الاسرة يحـفظ لهم آلافا وقـد قال انه كان مرة يعد ما حفظه مع بعض اهله من المتون والقصـائد وما الـى

1) توفي سنة 1379 هـ ، بعد ما سقط من سلم .

كل ذلك، فوصل اربعين الف بيت: 40000[1] وهذا غير مستبعد منه بعد ما رأينا منه ما رأينا ، ولا تفارقه لويحة صغيرة يحفظ فيها كل ما اعجبه من القصائد ، فكم متنبئيات وبحتريات وتماميات يمليها عن ظهر قلب وما راء كمن سمع ، وقد حدثني كثرة انشاداته أن أعييت من الكتب عنه الا قليلا.

ومما كتبته عنه تلك الليلة وقد رآني اعد اليراعة والقرطاس لاكتب عنه بعد انشاده بيتا طريفا ، ما انشده البوسي في تلميذه ابن زاكور ؛

لله در ابن زاكور وشيمته — وما أعد لجمع العلم من عدد

تراه في كل ما وقت وان سفرا — في جيبه آلة الكتاب او بيد

وأنشد ايضا ما أنشده الشيخ النعمة لمحمد بابة الشهير ، وقد طاف به جذب قوي . كأنه يقولها عن لسان حاله :

أصبحت الطف من مر النسيم سرى — عن الرياض هبوب الريح يؤلمني

من كل معنى لطيف احتسى قدحا — وكل صوت من الاكوان يطربني

وحكى ان الشيخ الهيبة ومحمد بن عبدالعزيز المولود عام 1284 ه بشنگيط ومحمد العاقب ابن الشيخ سيدي عبد الله بن مابايا الجاكاني دفين فاس المتوفى عام 1327 ه ومحمد بابه بن محمد مبارك الديماني المتوفى 1343 ه اجتمعوا في مجلس شراب فقال محمد العاقب ؛

اتاي هو السحر الحلال ارتشافه — وحاشاه من ان يستذم ويمنعا

منافعه تنبيك فاستفت شربه — ولا سيما ما كان منه منعنعا

وقال الهيبة ؛

ومجمعه ان كان جمع احبة — فسحر حلال لا تحد عنه اجمعا

وكاساته نعم الكنوز واهله — ولا سيما ما كان منه منعنعا

وقال محمد بن عبد العزيز :

اتاي شراب لا يمل حديثه — فكن بالذي يهوى المقيم ممتعا

---

1) لا يزال الرجل حيا (1380) وكثيرا ما يطرق باشا (سلا) وامثاله وعلى من يشك في حافظته ان يتصل به ليرى العجب العجاب .

وابريقـه ان كان من حر معدن — وكان مصب الكأس منه منعنعا
فذاك الذي تهوى النفوس شرابه — واحرى اذا غنى المقيم ورجعـا

وقال محمد بابه :

شراب اتـاي الـوندريـز منعنعـا — من اشهى شهيات اللذائذ اجمعا
ولـكننـا نشكو الـى الله شـربه — بشرب على غير المعالي تجمعا

ومما انشدناه ايضا :

لا تقبلن الشعر ثم تعقه — وتنام والشعراء غير نيام
واعلم بانهم اذا لم ينصفوا — حكموا لانفسهم على الحكام
وعداوة الجاني عليهم تنقضي — وكلومهم تبقى مدى الايام

وانشد ايضا :

وعـداوة الـشـعـراء داء معضـل — ولقد يهون على الكريم عـلاجه

- - -

توجهنا صباحا بعد لهنة مستعجلة فملات مع الاستاذ الصالح سيدي علي ابن الطاهر الطريق بالمذاكرة من هنا وهناك وقد ذهب عنا الاديب المحفوظ الى داره بوجان حيث ينتظرنا فكان مما جلنا فيه ما كان الشيخ ماء العينين يصنعه من التعجيل بصلاة العشاء قبل الوقت المعهود عند الـكـافة ، فقـال ان الشيخ احمد الشمس ألم بذلك في مؤلف له مطبوع فحرصت على ادراك مستند الشيخ رضي الله عنه في ذلك ، لان الرجل بحر العلوم وجبل المراقبة لله فحاشاه ان يعسف في الطرق بالجهل او يتنكب عما الفه النـاس الا عن دليل قوي ناصع يقبله كل منصف فتداولنا بيننا مليا ما نعرفه من الخـلاف بين الائمة حول الشفق الاحمر والابيض ، ثم ارجأنـا القـول النهائي الى ان نراجع المسألة في مؤلف الشيخ احمد الشمس رحمه الله وقد حكى لي الاستاذ ابن الطاهر المذكور ان عادة آل ماء العينين ان يصلوا المغرب اثر غروب الشمس ثم يقرأ حزبان بقراءة وسطى بلا عجلة ولا امهال ، وسورة يس وسورة الصف ثم يوذنون هذا حالهم دائما .

ثم وقعت بعد ما تقدم على الكتاب المتقدم وهو مجلد كبير مطبوع في مصر فرأيت فيه ما ياتي ـ ملفقا من مواضع من ص 45 :

فصل وفي السدراتي على الموطأ: والشفق الحمرة الباقية في ناحية غروب الشمس من بقايا شعاع الشمس . وهو ما يرى عند غروبها كالقضبان ، فاذا لم يبق في ناحية المغرب حمرة ولا صفرة فقد دخل الوقت الاختياري ، قال شيخنا ـ يعني ماء العينين ـ :

وصل للعشاء عند ما تغيب — من شفق حمرته ولا تريب

وهي ما بقى مثل الاغصان — من الشعاع لاسواه مستبان

الى ان قال :

واليوم في زماننا يخفى على — اكثر ما من فقهاء نبــلا

لانهم يرونه الصفرة مع — ما من بياض بعدها قد يلتمع

وذاك جهل منهم لحـــــده — وإلفهم تهاونا من بعـده

ابن شاس : الشفق الحمرة التي تلي الشمس دون البياض والصفرة وقول الرسالة فاذا لم يبق في المغرب حمرة ولا صفرة الخ . زاد الصفرة احتياطا فقط وهو اي ماء العينين راقبه اكثر من خمسين عاما وسيأتى بعض قليل من معرفته للوقت تجربة وكشفا ، واما رواية ودراية فهو ابو عذرهما . . .

الحمرة وصفوها بالشعاع ، والشعاع وصفوه ايضا بضوء الشمس الذي تراه عند ذرورها كأنه الحبال والقضبان مقبلة عليك اذا نظرت اليها وان من ابى ان تكون الحمرة هي المراد بالصلاة ـ يعني لا الصفره ـ انما عللها لسرعة ذهابها في اول الظلام ، والظلام عرفوه بانه اول الليل وان كان مقمرا فان تأمل هذا المنصف مع الذي تقدمه ' وما سياتى بحول الله يتضح عنده سرعة انقضاء الشفق قبل الساعة كما جاء في الحديث، يعني حديث؛ ثم (صلى العشاء حين ذهب ساعة من الليل) من حديث ابي هريرة المشهور .

هذه ادلة المذكور في ذلك المؤلف النفيس باختصار ولكن ينبغي ان يبحث بحث جديد في موقع المغرب ، وفي موقع مسكن الشيخ الاصلي باقصى

الصحراء حيث كان قبل ان ياتي الى الساقية الحمراء لانه ثبت ان الشفق يغيب بسرعة عند خط الاستواء ، بخلاف غيره ولعله اغتر بذلك الله اعلم وايا كان فالمغاربة مذهبهم في ذلك واضح .

اقبلنا من ذلك الوادي الطويل الذي يشبه حلقوم الجمل فرأينا ديار (ءازاريف) فوق قمة جبل امامنا ، فقلت مع صاحبي يا سبحان الله اما هؤلاء فقد فروا بدينهم الى شعف الجبال، كما هو مامور به في الحديث ثم صرنا نتسلق في طريق وعرة ، ثم لم نسر كثيرا حتى رأينا الفقيه سيدي الحسن رضي الله عنه من كريم يتلقانا بعيدا عن الدار منحدرا الينا فرأيته نحيفا ألحفه الشيب برده فاكبرت نفسه وعظمت همته ، فبعد التحية والسلام بشوق زائد ، استرحنا قليلا لاننا نطلع على اقدامنا من اسفل الجبل ثم ذهبنا صعدا فاذا بالديار التي كانت خيرصوان لسر ءازاريف المتسلسل من القرن الثامن فمال بنا الاستاذ الى ثوى جميل ، وجدنا امامه طلبة المدرسة واقفين مصطفين فحييناهم وحيونا وكل ذلك من الاستاذ اظهار لمنتهى الحبور الذي يقابلنا به ، وهل يعبر الشريف الهمة عن سراوته وعلو شانه الا بمثل هذا ؟ فانشدته بعد ما استوينا على فراش انيق في قبة حضرية مجللة بالبياض الناصع بيتين قلتهما ارتجالا في ذلك الصباح

بني حامد هل تقبلون بفضلكم ضيوفا لهم شكر بكل لسان
قراهم على من ينزلون لديهم (بملء جفون لا بملء جفان)

وهذا الشطر من القطعة المشهورة التي كتبها الصاحب بن عباد الى الاديب العسكرى

ولما ابيتم ان تزوروا وقلتم ضعفنا فلم نقدر على الوخدان
اتيناكم من بعد ارض نزوركم وكم منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرى لنزيلكم بملء جفون لا بملء جفان ؟

وقد قال لي الاستاذ ابن الطاهر ان البيتين لا يزالان دون التحية التي يتطلبها ءازاريف وسكانه المبتهجون هكذا فبعد لاي كتبت هذه الابيات :

ما حوى مجد كل قدر منيف غير اهل العلا بنى ءازاريف

من ترى منهم ترى اي فـــذ حائز الخصل في المدى غطريف
ضارب في الندى بسهم مصيب رائق الخلـق مستطاب لطيف
ليـن الجنـب من يميـل اليـه مال في القيظ نحو ظل وريف
مسرع للنـزيـل يطفـح بشـرا فكأن الحبيب بين الضيـوف
رشحتـه الـى المجـادة والعلـــياء والفضل نفس شهم شريف
اصلهم راسخ الوشـائج والـفر ع له في السماء كل شفوف
ما بنـو مازاريـف الا بـحـار واسعات ما ان لها من سيف
دأبوا في العلوم والدين من عهـــد قديم على الهدى المـالوف
ذلك يحيا ونجـل يحيا وابـرا هيم كل بحر العلوم وصوفي[1]
سلسـلات مذهبات حـوت من منفسات الخصال كل الصنوف
مزجت منهم المعـارف بـالزهـــد فكانوا على المقام المنيف
كل فذ منهم خليل بن اسحـا ق وان شئت قلت كان المنوفى
فالاحاديـث منهـم كحـديث اثروا عن سحنون اومعروف[2]
رضـي الله عنهـم فهـم اهـــل لكل التقى وكل العزوف
طلقوا المسلك المخوف ودانوا عمرهم بالسلوك غير المخـوف
هكذا هكذا تكون سيوف الـــعزم والحزم يالها من سيـوف
فباخبـارهـم يعـطـر من الـــف في طرسه ذيول الحروف
زينة فى الحيـاة كـانوا ولما درجوا اصبحوا حلى التـاليف
ايها السيـد الذي حـاز منهم تالـدا ضمـه لخيـر طريـف
قد أتينـاك زائريـن لنحظى عند مغناكم السني الشريـف
فأقبلـن زيارة مـن محـب زار لله لا اجتني القطـوف

قال لي الاستاذ سيدي ابراهيم بن احمد ابن العم فيما بعد ، حيثما رأى

---

1) محمد بن يحيا هو الشيخ الشهير ، وابوه كذلك من مشاهيرهم وكذلك سيدي ابراهيم افلول جدهم الاعلى .

2) معروف الكرخي

هذه الابيات ارجعت الى هذا النمط من النظم بعد ما كنت وكنت ؟ فقلت آمنا بالله، او لا ترى اننا ايضا رجعنا الى مثل هذه البيئة ؟ فلنقبل مثل هذا النظم ان فاتنا ذلك الشعر الحي البليغ ، ولو خيرنا لاخترنا :

فاقبل من الدهر ما اتاك به   من قر عينا بعيشه نفعه

لم ننشب بعد جلوسنا ان دخلنا في المقصود ، فأول ما ارانا الفقيه، ظهائر الملوك التي تشمل من ظهير المولى عبد الله الغالب بالله السعدي الى مادون الا ان بعضها تمزق ، والبعض لملوك ذكر الفقيه انه لم يكن تحت يده ، ثم رأينا بعد ظهائر اخرى عند سيدي عابد من هذه الاسرة المباركة، وبعد الافطار قدمنا رب المثوى الى دويرة داخل الدار، وهي محل الخزانة، فأقبلت مع الاستاذ ابن الطاهر على التصفح ، وقد اعانني لانه يدري ما أريد ، فمررنا على ما شاء الله من الكتب ذلك النهار وما بعده من الثلاثاء ، وقد راح علينا الاديب الكبير سيدي محمد بن الحاج الحامدي ، فتم عقد الادب وقد انهمرت الامطار يوم الثلاثاء ، فرأيت الفقيه ابن الطاهر بالفراسة يتطلع الى الحرث ، فقلت له وداعا الى حرثك ، فهذا حرثي انا ، فإنه لا يليق ان نفوز بهذا الكنز ثم نغلته قبل ان نستوفي منه كل ما يرام ، فبكر لطيته يوم الاربعاء ، فركبت انا والفقيه سيدي الحسن الى (انزي) لاسال عن الدار بالهاتف ، فوصلنا انزي عند الواحدة بالتوقيت العربي ، فرأيت موقع انزي جميلا ، ومبانيه رائقة ، وما اليق ذلك المكان بمدينة حسنة تتوسط جزولة ، وتتبجبج ولتيتة ، ثم لم يتيسر لنا الرجوع ذلك النهار ، فبتنا هناك ، ثم بكرت مع الفقيه منفردين فلم يصل الضحى حتى اشرفنا على آزاريف ، ثم اكببت ايضا على الكتب بقية يوم الخميس وصبيحة الجمعة ، فتاتي المرور المستعجل عليها كلها مع انها مئات من المخطوطات فشكرا عظيما لهذا السيد الكريم النفس والمائدة والخلق، فقد رأيت منه ماملك مشاعري واسترق عواطفي فقد لازمني غاية ، ويصابر معي بياض النهار وسواد الليل مع انه مطوق بالدراسة لبعض الفنون بالمدرسة وبمقابلة اضياف كثيرين بمناسبة عرس ولده سيدي محمد ، فقد صادفناه معرسا يوم وصولنا ولما يمض

على اعراسه اسبوع فتتوارد الوفود من الناس مهنئين ، فافردنا الفقيه في تلك الدويرة مع اكداس من الكتب العتيقة العدملية[1] ونحن نقاسي اولا ما نقاسي من نفض الغبار عنها بالضرب بالايدى مخالفين من يقولون ان ضرب الكتب من سوء الادب ، ولكننا نأولنا قولهم بأننا حسنوا المقاصد ، وأهل هذه البلاد كثيرا ما يتنبهون الى مثل هذه الصغائر فيجسمونها فيعدونها من الكبائر ، وكثيرا ما احافظ على شعورهم وأراعي عواطفهم جهدي ولكن لا ادري حتى اقع مع بعضهم - فلتة - فيما يكرهون ، والعيب كل العيب لمن لا يراعي الناس ولكن العيب الذي هو اعظم لمن لا يعذر الانسان ويحمل فعله على غير محمل حسن، ولا يقع اهل هذه البلاد في هذا وامثاله الا لكونهم لم يجولوا ولم يخالطوا عادات وأخلاقا ، فضاقت منهم الصدور ، وحرجت منهم الاخلاق ، ولكن من يعرف منهم حسن النية ، وطهارة السريرة ، يلبسهم على ما هم عليه .

لبست بني بشر على بلاذتهم وذلك خير من لقاء بني بشر

وهاك ما وقعت عليه في الخزانة الازاريفية، بعدما انخطى مآت من الكتب العادية على عادتي من انني اقف عند كل كتاب لسوسي فأصفه ان لم يتقدم وصفه في ادوز ، وعند كل كتاب غريب، او عند نسخة قيمة منه، وان لم يكن ما فيها غريبا ، فأفهم المقاصد ، واحمل افعال الناس على محامل حسنة ويحك ان لم تكن من عشاق امثال هذه الاثار التي تضرب الاكباد دونها ، وإنما اعتني بالكتب السوسية وان كانت عادية لانني ذكرت في كتاب (سوس العالمة) في فصل منه هذه الكتب السوسية بأنها موجودة ، وهنا ابين محل وجودها مع وصفها فهذا مقصودي الخاص فاعلم ذلك وإنما الاعمال بالنيات .

فاذا لم تر الهلال فسلم لاناس رأوه بالابصار

1) سيرة نبوية صغيرة لابي بكر بن العربي ذكر فيها احوال النبي صلى الله عليه وسلم من نسبه ومولده ومبعثه واحواله في مغازيه وأسماء أولاده وعمومته وازواجه وما الى ذلك وكل ذلك بإيجاز كثير في 14 صفحة في

[1] العدملي القديم العتيق .

قالب صغير في 20 سطرا والكتاب غريب لم نسمع بنسخة اخرى منه

2) مؤلف في البسملة في الصلاة في 3 صفحات بخط مدمج للجد ابن العربي ، منكرا على من يبسمل في الصلاة وقد ذكر لى الفقيه سيدي علي بن الطاهر ان الجد يقول (عجبت لمن يرى نفسه مالكيا ثم يبسمل: ويقول الاستاذ ابو فارس الادوزى رادا عليه هذا هو الاعجب ، لان مدرك ترك البسملة ضعيف في المذهب ، فقلت له مجاذبا حبل المذاكرة اما كون مدرك ترك البسملة ضعيفا كما يقول ابو فارس في المذاهب فانه يقال له بل هو المشهور في المذهب والاحاديث التي تشهد له شتى واوضحها حديث (قسمت الصلاة الخ) واما كون مدركه في الحديث ضعيفا ـ ان اراد ذلك ـ فانه يدفع في صدره ما حرره (1) المحدثون كابن القيم من ان النبي صلى الله عليه وسلم يبسمل ويترك والترك اكثر ، افلا يدل هذا على عكس ما يقول ابو فارس ؟ واما قول الجد عجبت لمن يرى نفسه مالكيا ثم يبسمل افليس انه لا بأس بتقليد بعض الائمة غير امام المذهب في جزئيات باتفاق الاصوليين ، ولم يمنعوا الا التلفيق من الرخص من بين المذهب على خلف فيه ايضا كما يعلمه من مارس الاصول ، ثم قلت للفقيه ان في البسملة في المذهب اربعة اقوال او خمسة مذكورة كلها والقراءة احدها كما في بالي وقد كان الفقيه سيدى على بن الطاهر يتعجب دائما ممن يبسمل سرا كما يقول المازرى احتياطا للخروج من الخلاف ، وهو اشكال قديم وايا كان فالذين يعضون بالنواجذ على البسملة لا يعتبرون المذهب ولا غيره انما ذلك من اتباعهم لما يعلمون من طريقتهم الاحمدية ، كما نرى الاخرين يقبضون ويرفعون ايديهم في الهوي من الركوع والرفع منه ومن القيام من اثنتين لذلك ايضا لكونهم كتانيين فهؤلاء كلهم لا يحتج عليهم بالمذهب كما يحاول الجد فان لهم وجهة اخرى هم مولوها ولا يمكن ان يتفق الناس في امثال هذه الجزئيات الا اذا كانوا يجعلون قدوتهم الوحيدة هي النبي صلى الله عليه وسلم فيفعلون ما يفعله دائما بلا خلاف اصلا كالقبض مثلا ويفعلون ويتركون ما كان

1) لابن عبد البر المالكي ؛ «الانصاف، فيما في البسملة من الاختلاف» وهو مطبوع .

ياتي به ويذره فكان جائز الفعل والترك كالبسملة ويتركون ما كان لا يفعله قط كالسدل،فاذ ذاك فقط يزول الخلاف ان شاء الله ولكن هذا بعيد جدا جدا فلم يبق الا المسامحة وتطلب حسن المحامل الناس وكثرة سعة الصدر والاغضاء وحسن المخالقة وترك كل طائفة وما اختارت ما دام فى الحديث او في مذهب من المذاهب ما يوافق ما تصنع فلا يبادر بالانكار الا من قل علمه وكثف جهله

3) كتاب عادي استفدت مما حواليه ، ان هناك الفقيه احمد بن احمد الركراكى وانه لا يزال حيا عام 1158 ه ولا اعرفه الا هنا.

4) زبدة المستطرف اختصره من كتاب المستطرف المشهور سيدي يبورك في زهاء 90 صفحة صغيرة فى 18 سطرا بخط جميل حسن التنسيق والنسخة نسخت عام 1114 ه.

5) غريب القرآن لمحمد بن عزيز السجستاني، نسخة جيدة كتبت عام 925 ه جزء حسن قيم في قالب صغير وخط مرونق في كل صفحة 20 سطرا ، وهو مطبوع.

6) احياء الميت لفضائل اهل البيت ستون حديثا للسيوطي جزء حسن صغير ، والكتاب مطبوع بفاس.

7) جزآن ضخمان من شرح ابن مرزوق على مختصر خليل ، وكانت النسخة في ملك الشيخ سيدي محمد بن يحيا الازاريفي المتوفى نحو 1163 ه

8) جزء من احد الشراح المجموعة عن ابي زيد الجزولي الكرسيفى ثم الفاسى على الرسالة كتب عام 939 ه والجزولى توفي نحو 742 ه

9) كتاب عادي استفدت منه اسم محمد بن سعيد بن محمد بن ابراهيم الاصابعى الحامدي ، فذكر لى سيدي الحسن الازاريفى رب المثوى انه من اصحاب سيدي محمد بن يحيا فيكون اذن من اهل اواخر القرن الثاني عشر لان شيخه محمد بن يحيا توفي نحو 1163 ه كما تقدم

10) نسخة من شرح الاجهورى على المختصر ولعلها تتم نسخت بخط مشرقي في مجلدات ضخام صغيرة، هذا وفي ادوز بعض اجزاء من الشرح الا انها خط مغربي كما اخال الان.

11) بعض اجزاء من (شرح الشبرخيتي) على المختصر بخط مشرقى، وإنما اعتنيت بذكر امثال هذه الكتب، لنعلم ان الاسلاف من السوسيين كانوا يجعلون نصب اعينهم فى حياتهم استيراد الكتب من مصر بخط مشرقي ، وما اكثر هذا الخط فى هذه الخزانة الازاريفية كما سترى .

12) نسخة عتيقة قيمة من رحلة ابن جبير بخط جيد كتبت عام 738 ه كانت فى ملك سعيد الحامدي الشاعر الشهير ، ثم فى ملك محمد بن عبد الرحمن ابن الحسن بن سعيد حفيده ، والرحلة مطبوعة اليوم .

13) اجوبة سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، مجلدة حسنة وقد كنت رأيت قبل من الكتاب نسخة او نسختين.

14) شرح موجز على المقامات الحريرية لاحد السجلماسيين ، وصلت النسخة الى 36 ثم انبترت عن المقامات الباقية، وقد ذكر لي ان نسخة اخرى مثلها في تيزنيت .

15) كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء لابن القيم بخط مشرقي في جزء لطيف ، كتب نحو عام 800 ه والنسخة قديمة كما ترى والكتاب غير موجود وهذه النسخة لا نعلم لها الى الان ثانية وهي من غرر الكتب .

16) جوهر العقدين في فضل الشرفين للسمنهودي جزء كبير بخط بين محفوظ من الخرم والبتر والنسخة كتبت نحو عام 1018 ه وكانت حينا في ملك الهشتوكي احوزي الشهير ولا ادرى جلية الخبر عن طبع الكتاب ، وقد كنت سمعت به ، ولكنني لم اطالعه قبل .

17) خواص القرآن ولم اجد في مذكراتى نسبة الكتاب، والنسخة كتبت لابي القاسم بن محمد الغازى الازاريفي عام 968 ه جزء صغير حسن، وابو القاسم هذا شاعر حدثنى الاستاذ سيدي محمد بن ابى بكر الازاريفي ثم البيضاوي انه رأى له قصائد فى احمد الذهبى وقد مات فى المدينة وهى الان فى الخزانة الازاريفية ولكننى لم ارها فيها.

18) منظوم في التصريف لاحمد بن عبد الله ابن الشيخ سيدي محمد بن يحيا الازاريفي وهو ابن الاديب عبد الله صاحب المقامة المشهورة، هذا المنظوم في 6 صفحات .

19) الكيفية التصريفية، رسالة صغيرة جدا ليبورك في تصريف الكلمة كيف تتتبع من ماض الى مضارع فامر فاسم الفاعل الخ مثلا ونسخها معتددة .

20) جواب في مسائل نحوية لاحمد بن سليمان الرسموكي الفرضي في 8 صفحات

21) كافية النهوض في صناعة العروض لابي فارس الرسموكي في 22 صفحة في قالب صغير ، منثور بخط المؤلف

22) ابيات لصالح بن احمد بن محمد بن حجاج اللخمي وهي ذيل على الابيات التي نظمها صالح بن شريف الرندي في استعمال اشطار العروض وهي الابيات التي منها :

مثال طويل الشعر ما انا قائل   فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن

ثم ذيل ابيات صالح اللخمي التي هي ذيل لهذه الابيات ابوفارس الرسموكي مبينا ما حول كل وزن واضاريبه وما يعتريه وشواهد الكل وفي الجميع 14 صفحة صغيرة بخط المؤلف ابي فارس نفسه .

23) شرح القلصادي لابن سليمان الرسموكي الفرضي بخطه نفسه ، وهو صغير جلد مع المؤلف قبله .

24) تحفة الرب المعبود على تعاريف النحو والحدود لاحوزي الهشتوكي في ورقات غير قليلة وهو تام الفه في المدرسة المصباحية بفاس عام 1083 هـ وذلك بلا ريب ابان اخذه من القرويين ، فنستفيد انه لم يقتصر في اخذه عن التامكروتيين والسوسيين قبلهم بل وقفت على انه أخذ اولا عن اسم شيخه السوسي وهو عالم سملالي في مبادئه، ذهب عني اسمه الان .

25) كتاب عادي تيقنا منه ما كنا نسمعه من أن محمد بن عبد العزيز الرسموكي الشهير شارح المرشد اخذ عن المرغتي بمراكش كما انه اخذ

ايضا عن احمد بن ناصر ، وتوفي بالمدينة كما أفادنيه شيخنا محمد بن عبد المالك الرسموكي بفاس لما زرته بعد هذه الرحلة ، وقد كنت قرأت في رحلة احمد الناصري انه كان معه في رحلته الى الحج .

26) الرحلة العبدرية نسخة مخطوطة بخط جميل كتبت عام 960 ه وقد تقدم لنا ان هناك في ادوز نسخة اخرى مع نسخة من مختصرها ، وقد علمنا نسخة اخرى في يد بعض الطلبة بهشتوكة، وهي التي استعارها الاديب الشاعر البونعماني، فطالعناها حين كنا بالحمراء واخرى في خزانة المؤرخ الايكراري واخرى في الخزانة العامة بالرباط وأخرى في أبزو واخرى في الخزانة الملكية، وهكذا تعددت النسخ من هذه الرحلة الفائقة في سوس، ولابد ان تكون هناك نسخ اخرى غير هذه .

27) شرح لمحمد بن احمد بن علي الشريف التلمساني على مختصر فضل الله الخونجي في المنطق نسخة قيمة جميلة الخط الى الغاية في زهاء 110 صفحة في 33 سطرا نسخت عام 642 ه هكذا وجدته في مذكراتي وأخاف ان يكون العدد هكذا : 942 وقد كانت حينا في ملك الاديب علي بن محمد بن عبدالعزيز التلكاتي الحامدي ، والنسخة بخط مخلوف بن عبد الله من فخذ بني وابوط من اعلى تودما . ولا أعرف محلوفا هذا .

28) القلصادي في الحساب وهو شهير ، وهذه النسخة كتبت لمحمد بن علي بن محمد التيلكاتي القاضي عام 1092 ه ويظهر ان هذا القاضي محمد بن علي بن محمد بن سعيد الشهير ، وأنه ابن قاضي الجماعة فليعرف ان هذا حي عام 1092 ه ولهذا ذكرنا الكتاب لا غير .

29) بهجة الناظرين وآيات المستدلين لمرعى الحنبلي مجلد ضخم غير طويل بخط مشرقي صحيح تكلم على ان مصنوعات الصانع مما يعرف به الصانع ولم تؤرخ النسخة ولا أدري أطبع الكتاب؟ فإن لم يطبع فالنسخة من الذخائر.

30) نسخة تامة من شرح الخرشي الكبير على المختصر في زهاء 24 مجلدا ضخما قصيرا بخط مشرقي ، وقد راجعت مؤرخ بعضها فوجدته في عام 1145 ه وبعضها عام 1146 ه وبعضها عام 1105 ه والنسخة محفوظة من الخرم والبتر ،

فلم ار قط في سوس نسخة تامة من الكتاب الا هذه والا اخرى في الغ عند العلماء الصالحين ، وأما الاجزاء المنفردة فتوجد في بعض الخزائن .

31) شرح الكرامي سيدي سعيد على البردة في زهاء 100 صفحة صغيرة فى نحو 23 سطرا ، وقد كنت رأيت نسخة أخرى من الكتاب قبل، وهو يجمع الابيات ثم يشرح بعد والنسخة فى مجلدة .

32) شرح العينية المسماة روضة السلوان لمحمد بن عبد الجبار الفكيكي والشرح لابراهيم بن عبد الجبار الفكيكى مجلد ضخم حسن الخط بين كتبت النسخة عام 1200 هـ والقصيدة فى الصيد . والمؤلف حسن فى بابه والنسخ من الكتاب توجد .

33) مجلد ضخم في اسماء الله الحسنى ، لا اول له ولا آخر ، وغالبه بخط نفيس قديم يذكر الاسم كالسميع فيذكر الفصل الاول فى مورده شريعة ، والفصل الثانى فى شرحه كما فعل بالسميع الذي قرنه بالبصير ، فذكر فيهما انهما بمعنى فاعل او مفعل او بمعنى قابل؛ فاستشهد الكل عربية وحديثا وقرآنا والفصل الثالث فى شرحه حقيقة وعقدا ، فذكر سبع مسائل ، والفصل الرابع فى التنزيل والمقصود بالتنزيل كيف معنى الاسم مع العبد ، فمثلا اذا علم انه سميع فإنه يحرص على أن لا يخطر بباله ولا يهمس الا بما يرضى به ربه، وهكذا يطيل النفس حول كل اسم اسم ، وفى بالي ان من بين من ألفوا فى أسماء الله الحسنى ابابكر المعافري ، ولعل المؤلف له .

34) السفر الاول من مختصر البرزلي كتب عام 997 هـ للقاضي يوسف بن ابي القاسم الجزولى قاضي بلاد ادخسان وهذا القاضي لعله سوسي تولى هناك المسعديين ولا اعرفه الا من هنا .

35) المشكل في الحديث وتأويل الاخبار والمتشابهة والرد على الملحدة من الجهمية والمعتزلة والمجسمة لابن فورك مجلد كبير حسن الخط في كل صفحة 23 سطرا في قالب يميل الى الطول وهو كتاب نفيس والنسخة عتيقة الا ان فيها بترا في آخرها والكتاب لم يطبع فهذه النسخة من الاعلاق النفيسة

36) قوانين ابن جزى نسخة قديمة نفيسة الخط كتبت للفقيه الوجيه الحسن التيلكاتي عام 983 ه ويظهر ان النسخة مصححة فتعين من لا يعول على الطبعتين من الكتاب التونسية الممسوخة ثم الفاسية التي ادخلت فيها اصلاحات شتى لكنها لا يزال فيها ما فيها

37) كتاب عادي فيه ذكر للفقيه المفتي القاضي الحسن بن سعيد بن عبد الرحمن بن الحسن التيلكاتي هكذا ولا ريب انه الحسن بن سعيد الشاعر

38) مجلد فيه فتاوي للحافظ العسقلاني قليلة ومؤلف للسيوطي في فضل القيام بالسلطنة الشريفة وهي رسالة صغيرة

39) مختصر المقاصد الحسنة الكتاب المشهور للسخاوي الفه بعض تلامذه عام 906 ه والكتاب مطبوع واسم الذي اختصره ابن الربيع

40) مؤلف في القراءات العشر المتداولة فيه جداول يبين في وسط كل بيت قراءة والجداول كانها مخطط الشطرنج ولم ار مثله قط في كتب الفن ، كتب بخط عادى وذكر عند اول الكتاب ان لمؤلفه مؤلفات اخرى ، وبيوت الجداول مملوءة برموز حروف بني عليها اصطلاحه

41) كتاب عادي رأيت عليه تحبيسا على المدرسة الازاريفية وقد مر بين يدي فى الخزانة كتب غير قليلة محبسة كذلك والمقصود ان نعلم ان هناك الكتب المحبسة

42) تحفة الاريب ونزهة اللبيب لابي مدين الفاسي وهو كتاب ادبي مشهور مطبوع اليوم ولم اقيد وقت نسخه

43) نسخة من احكام ابن العربى الكبرى عتيقة الى الغاية تلاشت اطرافها وسقط آخرها فسقط ما لعله يكون فيه تاريخ النسخ والكتاب مطبوع طبعا مصحفا

44) جزء يتكلم على اعراب القرءان بخط شرقى قديم عدملى يكاد يتمزق كله

45) تقييد المهمل وتمييز المشكل من اسماء رواة الحديث لابي علي الغساني الاندلسى الشهير الحسين بن محمد بن احمد نسخة جيدة كتبت عام 799 ه وعلى ظهر الصحيفة الاولى منها خطوط مشرقية وحين لم اكن متعودا كثيرا لقراءة

الخط المشرقي لـم اتمكن كما ينبغي من معـرفـة ما فيهـا والنسخة في 122 صفحة في 32 سطـرا في قـالب يميل الى الطـول والى الاتسـاع والنسخة من الذخائر ، سلمت من البتر ومن التصحيف ،

46) كتاب الاوهام الواقعة في الصحيحين للغســاني أيضـا في 102 جلد مع ما تقدم على ذلك القالب ، وهذا هو الذي نسخ عام 799 ه لا ما تقدم الا انه يظهر انهما كتبا في حين واحد، وفي هذه النسخة لصق كاغد في ثلاثة اوراق ثم لم يكتب فوقها ما غطته تحتها ، فانبترت النسخة بذلك ، وفيما سواه سلمت والمجلد على كل حال من الاعلاق ، وقد سألت ابا الاسعاد عن الكتابين فقال انهما نادران ، قال ومنهما نسخة في مجلـد كانا فيـه معا في خزانة الجامع الكبير بمكناس وفي اليمن تذكر نسخـة اخرى . وبهـذا تعلـم قيمة هـذه النسخة .

47) شرح البطليوسي ابن السيد على (سقط الزند) نسخة حسنـة في 160 صفحة بخط حضري جيد ، وقد وقع فيه بتر اخيرا ، والكتاب من النـوادر العزيزة قبل طبعه اليوم .

48) في ذيل هذا الشرح يوجد بخط جميل أيضا مؤلف لمحمد بن الحسين ابن المظفر الحاتمي اوله : وجدنا ابا الطيب المتنبي قد أتانا في شعره بأغراض فلسفية ، ومعان منطقية فإن كان ذلك منه عن فحص ونظر وتبحر فقـد أغرق في درس العلـوم ، وان لم يكن ذلك منـه الا على سبيـل الاتفـاق ، فقد زاد على الفلاسفة بالايجاز والبلاغة والالفاظ البليغة ، وهو على الحـالتين على غاية الفضل ونهاية النبل ، ثم صار يورد كلام الفلاسفـة ، فيتبعـه بأقـوال المتنبي ، وفي النسخة 24 صفحة والنسخة مصونة لا عيب فيها وقد كان المجلد في ملك القاضي محمد بن سعيد العباسي ، والكتاب مطبوع في اوربة .

49) النهر الماد من البحر لابي حيان نسخة عتيقة في اطرافهـا خرم وأثر البلل والكتاب مطبوع .

50) رفع النقاب عن تلقيح الشهاب لحسين الشوشاوي السوسـي ، نسخـة

تامة رديئة الخط وإن كان يقرأ ولم يؤرخ وقت النسخ وهي في 480 صفحة في 37 سطرا ، وللكتاب نسخ اخرى بعضها في (ادوز) في خزانة ابي فارس والشوشاوي كان يؤلف من عام 843 ه الى ان توفي فى آخر ذلك القرن التاسع .

51) الوجيز في تفسير القرآن العزيز نسخة تامة لم تؤرخ ، ولعل الكتاب مطبوع ، لعله تفسير ابن عطية .

52) مجلد ضخم مبتور اولا وآخرا بخط مغربي ينقط الفاء تحت ويميل الى الخط المشرقي ، وكتب عليه بخط بعض من طالعه انه تفسير ابن النقاش ، واخبرنى القاضى سيدي عباس انه النقاش لا ابن النقاش ، وهو قديم نقل عنه عياض وهو من الذخائر، ولعل في خزانة جامع تيزنيت أجزاء من هذا التفسير.

53) القسطلاني على البخارى نسخة تامة في مجدات ضخام بخط مشرقي

54) مؤلف المغيلى المشهور ضد اليهود وفي ذيله كلام لمحمد بن محمد ابن عبد الله الورزازى واخيه احمد .

55) بعض شروح الهمزية نسخة محمد بن محمد بن الحسين الحامدي ثم الماسى عام 1156 ه وقد اطلعت هناك ايضا على القصيدة الاتية له وقال فيه الكاتب الحامدي القبيل الماسى الدار والنشأة السوسي الاقليم والقصيدة وهي نبوية

يارسول المليك هذا عبيد ... قد تداعت عليه خيل غرام
دار كأس المدام منه على القلـ ... ـب فأكسبه عظيم الهيام
حال جيش موانع دون من يهـ ... ـوى وما الوجد غير شر سقام
وامتطى صهوة الهوى يبتغى قر ... بى حبيب قبل اقتراب حمام
فتأبى والقلب منه كئيب ... مدنف تحت ذيل شوق جسام
ومتى يأمل الوصال سطا عسـ ... ـكر صد بصعدة او حسام
فغدا عنده حليف نحيب ... وبكاه يحكيه صوب غمام
هكذا حاله غدوا وروحا ... وقعودا وفي اوان قيام

هذه قصتي وأنت بها اعـــلم كنها قبيل شرح نظام

يانبي الاله فك اسيرا | من سلاسيل حوبه وأثام
واكشف الهم والكروب التي قد | منعته من فوزه بالمرام
فبجاهك اسأل الله ربي | ان يقود الى الحجاز زمامي
ويذلل كل صعب ويدني | شاسعا ويقوده في العام
يا نبي الاله من أم بابا | دون بابك خابط في ظلام

انت باب الاله كل امرىء حـــل به من سواك بادي اخترام

وعليك الصلاة يا صفوة الخلـــق مع الآل والصحاب الكرام

واحسب ان الخط الذي نقلنا منه القصيدة خط قائلها وصاحبنا هذا هو الذي ذكر في يوم الخميس 27 من الرحلة الاولى وهناك كلمة لولده العلامة عبد الله فيه وفي ذكر مؤلفات له وقد ذكر لنا هناك اخونا الفقيه سيدي علي بن الطاهر الرسموكي انه يظنه من اسلاف العلماء الالياسيين ثم تحققنا اليوم عدم ذلك وهو على كل حال ممن يعيش في سنوات 1170 ه ومن تلاميذ الشيخ سيدي محمد بن يحيا وبما ذكرناه هنا وهناك يظهر له بعض ترجمة وله نظم للورقات شرحه صاحبنا العلامة الحاج محمد بن ابى بكر الازاريفي البيضاوي الذي لا يزال حيا .

56) مجلد ضخم في اسباب النزول قال مؤلفه في الموجود من اوله : القول في آخر ما نزل من القرآن حدثنا ابو ابراهيم اسماعيل ابن ابراهيم الواعظ الخ وقد بتر اولا وما سواه يظهر انه تام ، ومنه في سورة (طه) قوله تعالى ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ، قال مقاتل قال ابو جهل والنضر بن الحارث للنبى صلى الله عليه وسلم انك لتشقى تترك ديننا وذلك لما رواه من طول عبادته وجهاده فنزلت الخ والنسخة بخط مغربي حسن فمن المؤلف ؟ الله اعلم .

57) مؤلف صغير لاحمد بن محمد بن احمد بن محمد بن يحيا الازاريفي في الحساب .

58) مؤلف صغير آخر له ايضا في الاسطرلاب .

59) كتاب عادي علمنا مما حواليه ان الفقيه محمد بن عبد الكريم ابن احمد بن حسين بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عثمان بن عيسى ابن محمد الايلالنى الفسفاسى يفتى مع الفقيه ابى فارس الرسموكى الشهير المتوفى عام 1065 ﻫ فيكون صاحبه هذا فى ذلك الوقت

60) كنز الاسرار ولواقح الافكار كتب عام 989 ﻫ وفى ءاخره صح لكاتبه بالقسمة سعيد بن عبد الرحمن بن الحسن التيلكاتى وقد تمزق اوله

61) الزبور معربا بتر اوله مع الكتاب قبله وهما فى مجلد بلا تجليد انما خيطا معا بخيط بقى بعد سقوط الدفتين .

62) مجلد فيه التوضيح لخليل على مختصر ابن الحاجب ، كتب على دفته الاولى ما نصه :

«بعد مزيد السلام على اخينا سيدي محمد الوزير اريد منكم ان تمكنوا حامله من الكراس لئلا يتعطل عن الكتابة ، فان كتبه رده اليكم ، وتمكنوه مما بعده والسلام معاد عليكم والرحمة والبركة وعلى والدكم ، ونطلب منه ومنكم الدعاء ، لاني فى ضيافة الله ، والله تعالى يعينكم على ما يرضيه آمين علي بن احمد الرسموكى لطف الله به» هذا هو العلامة الشهير علي بن احمد الرسموكى المعاصر لبودميعة ، ولا شك ان هذا الوزير وزير بودميعة، فاستفدنا اسم وزير بودميعة ، وان له من يقال له وزير .

63) كتاب عادي وجدنا حواليه ما يلي، ارسل بعض السادات هذه الابيات لقاضى زمانه سيدي ابوبكر بن الحسن الايتكينى النظيفى رحمه الله وهى هذه:

ومن ذا الذي ترضى طباعه كلها ... واكثر حسن المرء فيه مآثم

فمن اظهر الاحسان خالطه الاسى ... واعلى مقام السوء للمرء لازم

ايا معشر الحكام لا تامنوا الذي ... بوجهه سيما الخير والقلب غاشم

فأجابه الفقيه سيدي ابوبكر الايتكيني رحمه الله :

فهل تستوي عقلا سجية حازم ... يحاول امرا مع سجية عازم

ففى ظاهر الاحكام تصريف حاكم — وليس له وراء ذاك بملازم
ويجمل حسن الظن فى كل مسلم — ولكن سوء الظن من شأن حازم

ولم نعرف ابابكر هذا القاضى الا من هنا ، فما هى حياته ؟ وما هو زمنه؟

64) المرزوقى على الخزرجية نسخة قديمة ولعل لها ازيد من 500 خمسمائة سنة .

65) بعض ديوان الشريف علي الرضي العلوى البغدادي المشهور بخط عال نفيس مغربى ، وأول ما فى هذا الذي رأيناه قصيدة عينية مطلعها :

ياصاحب القلب الصحيح اما اشتفى — الم الجوى من قلبي المصدوع

والديوان مطبوع، وقد استقى زكي مبارك حياةالشريف الرضي هذامن شعره

66) سكردان السلطان نسخة قديمة ، فيها بتر اخيرا ، وفيها بياضات فى مجلد والكتاب مطبوع .

67) المراصد الكتاب المشهور مبتور اولا وآخرا

68) فتوى وقفنا عليها فيها توقيعات 1 ـ محمد بن سعيد بن محمد احوزى[1] 2 ـ محمد بن سعيد بن داود احوزى ـ 3 ـ احمد بن محمد بن داود احوزى 4 ـ عبدالواسع بن بلقاسم التملى ـ 5 ـ ابوبكر بن محمد النظيفي ـ 6 ـ محمد ابن على النظيفى ـ 7 ـ محمد بن على النظيفي ـ 8 ـ احمد بن محمد بن ابراهيم التملى فنعلم ان هؤلاء كلهم في اوائل القرن الثانى عشر ضرورة ان احمد احوزي الهشتوكي الموجود بينهم توفي عام 1127 هـ وايحوزين بيت علم بين بيوتات العلم بجزولة .

69) كتاب عادى وجدنا فيه محمد بن احمد السندالي الساكن في بومروان اخذ عن سيدي يحيا الونكضائي وقد حكي عنه انه قال لم اشتغل باللغة وكتبها حتى رأيت ان البحث فى اللغة وتدريسها اولى من قراءة الفقه وغيره بكذا وكذا من الحسنات انتهى كما وجد وهو من اهل اواخر القرن الثاني عشر، ويحيا المذكور الونكيضائي الوسلامي يوجد بين الواسلاميين فى الفصل الثاني من القسم الرابع من المعسول

1) هذه النسبة بهذه الصيغة الشلحية لاحوزين ازاء قبيلة (أملن) .

70) جزء وسط غير طويل فى آثار اديب من ادباء اوائل القرن الثامن فيه بتر اولا واخرا وفي اول صفحة من الموجود منه

الباب الثانى فى البشائر والفتوحات والاستصراخ والاستمداد ، والاصراخ والانجاد والظهائر ، فأتى فيه بما حرره بيراعه فى هذه الموضوعات كلها، وفى الباب 24 صفحة .

الباب الثالث فى المجاملة والمواصلة والمهادات والتعريفات فى 24 صفحة ايضا .

الباب الرابع فى العنايات وما يتعلق بها من الاجوبة عنها والمراجعات والتوسل والاستعطاف والتخدم فى 26 صفحة .

الباب الخامس فى الاخوانيات فى 42 صفحة

الباب السادس فى التهانى في 23 صفحة

الباب السابع في التعازي في 20 صفحة

هذا هو الموجود في الكتاب وقد قال فيه مرة قال الفقيه ابو بكر بن خطاب رحمه الله ، ويظهر انه الجامع المؤلف لكلام ذلك الاديب الذي يرجع اليه الضمير الغائب ويمكن ان يكون هو نفس الاديب صاحب الاثار فقد كان المؤلف حينا في غرناطة فيكتب عن بني الاحمر وحينا في تلمسان فيكتب عن يغمراسن وابي سعيد من امراء بني عبد الواد ويكتب عن غيرهم من امراء المدن الاندلسية وغيرها وكان ايضا حينا في سبتة عند بني العزفي وبالنظرة الصغيرة الملقاة على الكتاب فهمت ان هناك مكاتبات رسمية ومكاتبات شخصية فممن كاتبهم بنو العزفي المشهورون فى سبتة وقضاة كأبى امية الدلائى وكلامه مرسل مسجوع على عادة اهل ذلك العصر والكتاب علق نفيس في الآثار الاندلسية فى زمنها الاخير فيه فتح مدن كمرسية وشريش واخبار رسميات الخ الخ كما فيه قصائد ومقطعات وفي كل صفحة 25 سطرا في قالب يميل الى الصغر بخط يميل الى الاندماج

71) شرح سيدي يحيا الونكيضائي على رجز اليوسي في الدعاء في 96 صفحة

في 26 سطرا في قالب وسط بين الخط وان لم يكن جيدا .

72) الفسحة في اولية السبحة للجد ابن العربي الادوزي في خمس صفحات الفه في الحمراء في 14 شوال عام 1315 ه وذكر ان سبب تاليفه إياه انه لاقى دكاليا عنده سبحة غليظة ، فأدنه المباحثـة حتى الف المـؤلف ، وقد علم ان للسيوطي «المنحة في اصل اتخاذ السبحة» رأيناه في نسخة من الحـاوي وهـو صغير .

73) الجوهر في اللغة نسخة حسنة كتبت عام 977 ه في مجلد .

74) مؤلف في البدع ، نظم ، وشرحه لسيدي محمد بن علي بن ابراهيـم اكبيل الاندوزالي في 50 صفحة ، حديث النسخ ، وللمؤلف نسخ شتى مشهورة

75) شرح للبردة عالي النفس ، يكثر احيانا من الاشعار الرقيقة في مجلد ضخم بخط جميل رائق ، ولعله المذكور لابن مرزوق والنسخة لم تؤرخ .

76) مجلدة وسطى تضم مؤلفـات شتى تصـل الى اثنتي عشـرة ، وهـاك المؤلفات بالتفصيل :

1) تلويحات في طريق القوم في ورقات لعبد العزيز بن محمد الصنهاجي البوفرحي خطيب القرويين اثنى عليه زروق. ولد عام 804 وتوفي 899 ه ودفن بقرب سيدي محمد بن الحسن ـ كذا .

2) الامر المهم الاكيد فيما يلزم الانسان من حسن الجـواب والتسديد في ورقات .

3) حول تهنئة الامراء بالقدوم في مشروعية ذلك في ورقات أيضا .

4) رسالة في قول الله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) في ورقات ايضا

5) رسالة في قول ابن عطاء الله (الكون كله ظلمـة) في ورقـات ايضا

6) حول كـلمة (حلت) في بيت ذكره ، اهو بالخاء ام بالحاء في ورقات ايضا ، وقال في آخره انه شرح للابيات الكندية الناطقة بلسان العارفين، وهذه المؤلفات لفضل بن محمد بن علي بن ابراهيم بن فضيلة المعافري نزيل غرناطة وهناك تاريخ 96 ولعله في آخر القرن التاسع .

7) حول ان جبريل والنبي يبكيان من خوف الله في تلك المسطرة نسخ عام 896 هـ

8) حول قول الشافعي ، انما خلق الله الخلق بكن ، فإذا كانت (كن) مخلوقة فكأن مخلوقا خلق مخلوقا في صفحات لعله للبوفرحي المتقدم .

9) حكم ابن مدين فى صفحات قليلة ايضا ، لعله له أيضا .

10) بداية المريد لابى مدين ، صغير .

11) مؤلف للغزالى فى الحديث القدسى (لا اله الا الله حصني) صغير

12) مؤلف فيه رسالة فقهية الى محمد بن عبدالله بن محمد بن العربى المعافري، ولعله ابن العربى المعافري الشهير .

ذلك ما وجد فى المجموعة التى هى كلها بخط البوفرحى المذكور ،

77) مختصر للترغيب والترهيب فى جزء كتبه داود بن محمد بن عبد الله بودربال عام 1153 هـ وذكر ان اختصاره كان فى 756 هـ وهذا غريب لان فى بالي – ان لم اغلط – ان الاصل للحافظ المنذري المتوفى عام 656 هـ ثم بقى فى مسودته حتى نقحه وخرجه الحافظ العسقلانى وهو فى عام 756 هـ لم يكن بعد فى الوجود فتامل فى ذلك ولعل ما فى علمى من ذلك غلط ، وهذا الناسخ رأينا له هناك كتابا آخر نسخه عام 1173هـ فعلمنا أنه ممتد الحياة الى هذا العهد وآل بودربال منسوبون الى جدهم الصالح سيدي محمد بودربال بنيت عليه قبة ومدرسة درست اليوم والمشهد في جهة افلاوكنس ولعل صاحب المشهد هو الذي يذكر مع بودميعة في الحادي عشر وانه كان يشارط في مدرسة اكضي ومن هذه الاسرة الثائر الذي ذكر في رحلة الوافد عهد المولى اسماعيل العلوى وقطع رأسه في جامع الفناء بمراكش

78) كتاب عادي فيه ذكر لاحمد بن محمد ابن الفقيه الماسى وقد ذكر انه يفتى في عصره

79) منظوم الاخبار لسيدي يحيا الكرامي فيما يقارب الذي بيت من

الرجز ويقع له الكسر فى الابيات وقد اعتذر هو بنفسه عن ذلك في قولة له آخر رجزه

ـ ـ ـ

هذا ما تيسر من ذكر الكتب التي رأيناها تستحق الذكر من الخزانة الازاريفية العظيمة ومن سوق بعض فوائد وقفنا عليها اثناء الكتب العادية ولابد ان يفلت منا بعض النوادر لاننا انما نلقى نظرات عجلى مارين كما أننا ربما نصف وصفا غير شاف ما ذكرناه من نوادر المخطوطات ، ولكن ما لا يدرك كله لايترك كله والنقع بالندى ، ولا الموت بالصدى

والان وقد ذكرنا ما حوالي الكتب فلنرجع العنان الى التكلم حول مجالس هناك قضيناها هناك متتبعين الانهر والليالى فقد دخلنا ازاريف صبيحة الاثنين 16 شوال وفي العشية زرت مع الفقيهين رب المثوى وسيدي على بن الطاهر المقبرة عند المغرب فوقفنا على اضرحة اولئك العلماء الكبار فترحمنا عليهم ودعونا لهم كما هو السنة عند القبور وقد كانت المغرب اطلت فرجع عنا رب المثوى لانه امام القوم وصليت انا وصاحبي هناك ثم جلنا في مذاكرات ومباحثات حول تفاقم الامة الاسلامية في متوجهاتها لانه ذكره الله بالخيرات نبيه الى الغاية ذو نظرات صائبة وذو غيرة على دينه وهو من بقية الجيل المبارك الذي كاد ينطوى فينطوى به سجل مصون من كثير مما يشنأ من اهل هذا العصر ، ثم بتنا خير بيات لاعيائنا وفي صبيحة الثلاثاء انهمكنا معا في الكتب وقد انهمرت الامطار ، فراح علينا الاديب الحامدي فراح علينا فرح كبير وسرور مقيم وتوجد ترجمة هذا الاديب في المعسول في القسم الخامس

سمرت مع اديبنا هذا فى عشية الثلاثاء الى ان ابهار الليل وقد انفتل كل من معنا الى المضاجع فبقينا منفردين ونحن في ترجمة الاديب البوزاكارني فى المعسول وهو يسمع منها ما دار بيني وبينه من ادبيات على ذلك النمط المسجع الذي يحلولي له ولامثاله فبعد ان اتممنا الترجمة على طولها قال لقد والله وفيته حقه واجررته ذيولا من الثناء كان احق بها واهلها وقد وصفته كما

هو فقلت له ان مثل هذا الكلام المسجع لحسن ولكن الاحسن والالطف هو النثر المطلق الذي يرفل من البلاغة وسمو الفكر وتحليق الخيال في حلل الحاذة براقة فقال هيـه ما ارى الا ان السجع اعلى النثر في اللغة العربية كما نراه من كتب الادباء من قديم فقلت له حقا الا ان السجع المقبول هو الخفيف الذي لا تكليف فيه وقلما يواتي ذلك فى اسطار الا قليلا ولو رأيت النثر المطلق الذي يتلاعب به ابناء اليوم لرأيت الحلل الموشية والرياض الاريضة ولكنك قلما تستحليه لاول مرة الا انك اذا انتظرت حتى تذوقه فاذك تذوق ما ينسيك ما تشعشه الكاس الدهاق

وبعد محادثة فى الموضوع ذكرت له اننى كنت ليلة فى سمر مع اديب الغ الطاهر بن علي فجلنا فى الموضوع فقلت على لسانه اولا وهو على هذه الفكرة التى عنك الان ثم قلت على فكرتى ونص ما قيل ؛

عاب قوم سجع الترسل حتى   تابعوا فيه قارضات المـلام
قد رأوا ساذج الكتابة جزلا   مستطابا من خير حر الكلام
فجوابا ولست اخشى وان مـــدت الى ثغرتى نصال السهام
اتطيب الحدائـق الغلب للجا   ئل فيها من غير سجع الحمام ؟
ام يطيب الغناء من غير رنا   ت المثاني ترنما بانتظام ؟
انما السجع صنو شعر مقفى   كثنايا الحسان عند ابتسام
ان تكن لم تذق من السجع ماذا   ق ذوو فنه فرح بسلام

الجواب :

من عذيرى ممن رمى بسهام   مصميات وقال رح بسلام ؟
خالني ذا بلادة لم اذق ما   ذاق منه فسامنى بملام
أأرى ساذج الكتابة جزلا   مستطابا من غير حر الكلام
ام انا منكر من السجع ما خـــف على السمع مثل سجع الحمام
لا وحق الذي من الفن ارقا   ك مقاما يفوق كل مقام
انما قلت افضل النثر ما كا   ن بليغا مفوف الاعلام

يتثنى فى روعة الشعر حتى ظـن شعرا لـكن بغير نظام
يخلب اللب ان يقل فى ندي ببيان ورقة وانسجـــــام
والج اذن سامعيه بــــلا اذ ن ، بلا كلفة وغير التزام
مثل ما فى التنزيل افضل منثو ر بديع النظام والاحكـــــام
هل تحس اذا تتبعتــــه آ يا فآيا بالسجع مثل السلام(1)
انما فيه فينة اثر فينـــا ت كلام مفصل بانتظام
فترف الفواصل الغر فيـــه كرفيف الازهار بين الكمام
تتراءى الاسجاع منه ـ ولا تكـــثر ـ مثل الحباب فوق المدام
حبذا السجع ان يكن جاء عفوا لا كرصف الصخور وسط المرام
ذاك اعني وذاك ما قلت والحـــق مبين اذا تقول حذام

لم اكن اذ ذاك استحضرت هذه الابيات كلها والان رسمتها هنا كلها
وانشدني اذ ذاك قول القائل :

الشعراء فاعلمن اربعه فشاعر يجري ولا يجرى معه
وشاعر ينشد وسط المجمعه وشاعر من حقه أن تسمعه
وشاعر من حقه ان تصفعه

وأنشد أيضا :

ايها المدعي سليمى سفاها لست منها ولو قلامة ظفر
انما انت من سليمى كواو الحقت في الهجاء ظلما بعمرو

وانشد أيضا :

المستجير بعمرو عند كربته كالمستجير من الرمضاء بالنار

---

1) السلام بالكسر : الحجارة ثم في المعجب للمراكشي حين يذكر ابن القصيرة من كتاب ابن تاشفين اللمتوني كان على طريقة قدماء الكتاب من ايثار جزل الالفاظ وصحيح المعاني من غير التفات الى الاسجاع التي اخذها متأخروا الكتاب اللهم الا ما جاء فى رسائله من ذلك عفوا من غير استدعاء اه فلتعرف ان هذه المثلى طريقة عرفت قبل .

وأنشد ايضا :

اذا ايقظتك حروب العـــدا　　فنبه لها عمرا ثـــم نـــم

وأنشد أيضا :

ياليلة السفح هلا عدت ثانية　　سقى زمانك هطال من الديم

وأنشد أيضا لابن سعيد الاندلسي :

فذنبي فيه ذنب صحر بدارها[1]　　الى البر عند الخابرين معيب

وانشد ايضا :

ابكي لهم ضافني متأوبا　　ان الدموع قرى الهموم النزل
ما ان دفعت الى زمان آخر　　الا بكيت على الزمان الاول

وانشد ايضا :

وزمان بكيت فيه فلمـــا　　صرت في غيره بكيت عليه

ومن انشادات الاديب الحامدي ايضا تلك الليلة قول ابن دقيق العيد:

اذا كنت في نجد وطيب نعيمه　　تذكرت اهلى باللوى فمحسر
وان كنت فيهم زدت شوقا ولوعة　　الى ساكني نجد وعيل تصبرى
فقد طال ما بين الفريقين موقفى　　فمن لى بنجد بين اهلى ومعشرى

ومن انشاداته ايضا :

كأني استدعى بك ابن حنية　　اذا النزع ادناه الى الصدر ابعدا

ويقول ان الاديب البوزاكارنى كثيرا ما ينشده له ويرى انه يعنيه بذلك لانه طالما استنهضه الى المعالي فيتقاعس

هذا حظ هذا الاديب الان منا وسنسوق حوله كل ما ننوي ان نسوقه عنه في كتاب (المعسول) ان شاء الله

في صبيحة الاربعاء خرج معى هذا الاديب حتى وصلنا دار صهره رئيس تلك الجهة فبقى هنا الى ان مررنا به الغد مرجعنا من انزى فامضينا ايضا تلك العشية بمباحثة فصرت اكشف له الحجب عن حياة اليوم فيبتهج بادراك مالم

1) صحر بضم فسكون.اخت لقمان احسنت فووخذت على احسانها نقيل ما اذنبت الاذنب صحر

يكن يعرف ، وكل ذلك بالكيفية التي يفهمها الى ان قال : لا ندرى لماذا أنت لم تتبدل في الحواضر ككثيرين من السوسيين ذهبوا اليها فرجعوا وقد تنكروا لنا فوجب ان نعاملهم بالمثل فتنكرنا لهم ايضا فقلت لله الحمد فانا انا ـ كما يقول الراجز :

انا ابو النجم وشعرى شعرى

فانا فى الحاضرة هو انا في البادية وانا هنا كما كنت هناك ولا تبديل لخلق الله (ان اريد الا الاصلاح ما استطعت) فهكذا التقينا بشوق كثير وهكذا ايضا تفرقنا هناك ، وقد ترك مني فراقه ثلمة عبرت عنها اثناء رسالة كتبها اليه بعد رجوعي الى الغ ونصها وهي فى ملاءة السجع محافظة على ذوقه وعلى كيفية الترسل الذي يستطيبه :

(الاديب الذي اذا حاضر فى النادي، انقع غلة الصادى، والشاعر الفحل الذي لايقدع انفه، ولا يفل سيفه ان شعر رأيت الرياض الاريضة مخضلة، والاخواط المزهرة تحت قطرات الندى مبتلة، او نثر قنع الصادان [1] بقمامة بلاغته وان يكونا صدى فصاحته، ويتطارح ابن خاقان على اقدامه، ويقنع من الغنيمة فى سوق النثر المسجع العالي من السلامة بإحجامه، سيدي محمد بن الحاج الحامدي فعلى تلك الاخوة سلام اصفى من الراح، وأرق من نسيم الصباح، والطف من مغازلة العيون النجل المراض الصحاح ، من الاوجه الوسيمة الصباح ، ما اشتاق اديب الى اديب ، وما ماطل محبا بالوصل حبيب .

هذا فقد ضرب الفراق بيننا من جديد سرادقا كثيف الحجاب ، موصد الابواب، كأن لم نكن في تلك الليالي بأزاريف كندماني جذيمة، ينافن كل نديم نديمه، نتعاطى رحيق الوصل صرفا ، ولا ننشق الا الدنو عرفا ، والدهر يخدم ذاهبا جائيا في أمانينا، فعادت بيضا ـ وياليتها كانت كذلك دائما ـ ليالينا، نامر السعد فيأتمر، ويطوف بنا الحظ الميمون وهو مشمر، ثم بدا للدهر فأمن على غيظ الحساد ، فلزنا الى الفراق بحبال من أمساد ، فعدنا الى ما كنا عليه فى هذا الربع الماضي من القرن ، لا تنظر عين الى عين، ولا نبيت من اذى

1) الصادان : الصابي ، والصاحب بن عباد .

البين على امن ، فهكذا الدهر حال يعقبه حال ، يتلون كما تتلون السعال ، فكأنه منجنون يدور من قرب الى بعد، ولله الامر من قبل ومن بعد .

وبعد : فقد كنا عقدنا عقدا ، لم نكن نرى من الوفاء به بدا ، الا وهو الرحيل بعد عاشوراء الى افران، التي هي منبع العرفان، حيث سوق البيان لها نفاق ، والفصاحة لها علم خفاق ، اذا بالسعد قد احظاني وحدي فحداني الى تلك الامكنة رغم انفي ، فقدت الى الجنة بالسلاسل وكم بضعة بالحديد تشفى فمثلت في حضرة شيخنا العلامة ، فرفعت عقيرتي منشدا في ذلك الجمع، جمع السلامة، قطعة مطلعها:

طر يا فؤاد سرورا فالزمان وفى ورد ما كان مألوفا كما ألفا(1)

فيجيب شيخنا سيدي محمد بقصيدة رشيقة، بالمعاني الرقيقة، والبراعات الانيقة، والخيالات الدقيقة ، فقامت سوق الادب على ساق، تستوقف الاحداق، وتنادي على الفهيه بالاطراق ، فأقدم البلغاء الى الميدان ، واحجم المتفيهقون تتعثر بهم الرجلان ، فمن لم يتنكب مع ذوي الاحجام ، قطره الزحام، وكنت اتمنى لو حضرت لتاخذ بعينيتك(2) مجالا بين الجائلين، فتخوض في بحر البلاغة مع الخائضين ، ولا تحسب ان العينية رآها طرف ، او الم بها من الادباء هنا او هناك طيف، فإنها لا تزال مصونة صون الاعلاق، حتى تكون انت في وفدتك المنتظرة من يعلنها بين الرفاق، والسر لدي مكنون، والوفاء في امثال هذه الميادين على الاحرار ديون ، ثم انك لابد ان تطرقني بإلغ في وفدتك الافرانية في عاشوراء ، فإنها وان سبقك بها عكاشة لا تزال منك امام لاوراء، فقد افضيت بذلك الى استاذنا فرحب سلفا ، وياليتني اجد من الدهر لمصاحبتك وفا ، فما أحلى العلل بعد النهل ، فمر بإلغ فلعل ذلك يتم على ما في بالك وبالي ، فإننا لا ندري الان ما تاتي به اذ ذاك الليالي، وسلام عليك يوم تذكر اخاك وغربته ، وتفتح الغلاف وترى رسالته ، وترد عليه بالبنان او باللسان تحيته،

1) بقيتها تاتي في آخر هذه الرحلة حين اكون في افران .

2) قصيدة للمخاطب يخاطب بها شيخنا الافراني توجد في ترجمته في المعسول مطلعها :

ذكر المعاهد باللوى فالاجرع فاذال مشتاقا مصون الادمع

سيدي ادريس الصوابي مدرس أزاريف اليوم :

كان يجلس الينا في تلك المجالس العلمية العليا زيادة على من ذكرناهم فقيهان شابان احدهما سيدي احمد بن الطاهر الاماسيني وهو ممن اخذ قليلا من الغ ، ولذلك يدخل في (الفصل الاول) من (القسم الرابع) من (المعسول) فهناك ان شاء الله نذكره ، وثانيهما سيدي ادريس الصوابي ، وقد رأيت منه ادراكا وفهما وتحصيلا واستحضارا في الفنون التي اخذها ، وقد سألته اسئلة عن حياته فأفضى الي بما ياتي :

هو ادريس بن الحاج محمد بن احمد بن محمد بن محمد من قرية (تيوازوين) من قبيلة آيت صواب ولد نحو عام 1328 ه وأخذ القرآن عن الاستاذ احمد ابن علي من آيت محمد من تاوريرت وانو المتقن لحرف المكي، وقد توفي في هذه السنة 1361 ه وعن الاستاذ عبدالله من آل الامين من قرية (تيوازوين) وقد توفي نحو عام 1345 ه وكلاهما اخذ عن الاستاذ ابراهيم من آل عبلا من تاوريرت وانو وهذا اخذ عن ابن عمه الاستاذ محمد بن الحاج، وهو عن العلامة أعجلي الشهير ، وهؤلاء كلهم من القراء الكبار : ثم افتتح المتون الابتدائية على علي بن عبد اليعزاوي الهشتوكي ، وهو عالم حسن ممن تخرج بالعلامة الحاج عابد الشهير وكان يشارط ويدرس في مدرسة سيدي صالح المديوني الصوابي ولا يفارقها ، وكان ذا سمعة طيبة وشهرة حسنة ، قد وخطه الشيب حين توفي يوم الثلاثاء في منتصف شعبان عام 1347 ه فمن هذا الاستاذ تلقن سيدي ادريس اول بذرة اخذ عنه الاجرومية ثم اتصل بالفقيه الاديب سيدي محمد بن احمد من آمالو نيت يحيا الصوابي في مدرسة ايمزي في القبيلة الصوابية اخذ عن العلامة الكبير ابي عبد الله اقريص الصوابي المشهور وهو عمدته درس ما شاء الله في تلك المدرسة لثلة من الطلبة ، ويذكر بعلم وتحصيل ومشاركة وبانه رباني ذو اخلاق دمثة يذكر بها وله خط جيد يتحدث به ويد صناع في تسفير الكتب لازم تلك المدرسة ازيد من ثلاثين سنة توفي

ضحوة 11 ربيع الثاني عام 1361 ه وله لفتات الى قرض المنظومات فقد كتب لنا سيدي ادريس هذا مما عنده ما ننتقى منه للقراء قال لبعض الناصحين :

فنفسك عظ فـاذا اتعظت فعظ يا اخي اذن من تشـاء

والا فـأمـرك مـرءا بـخـيـــــر ولم تأتمر هو قـول هـراء

وقال معتذرا عن منظومه .

جهلت ولا ادرى ولست بأوحد وكم جاهل شيئا وما هو صانع

حسبت بسلك الحسن قولى منظما اذا هو في سلك المقابح واقع

قد اجتهدت ان انتقى من صفحتين مما يقول ، ولكن لمـا رأيت هذين البيتين اللذين هما من قصيدة قنعت وقلت صدقنا سن بكره وقد اثنى لنا عليه سيدي ادريس ثناء عطرا قال اخذت عنه الالفية النحوية مـرارا والرسـالة وابن عاشر وبعض المقامات الحريرية والاستعارات والدريدية وبعض الدالية وورقات امام الحرمين وغير ذلك .

ثم اخذ بعده عن الاستاذ محمد بن احمد بن الحسين التاكوشتى المضائي من اهل اكني المضاء وهم جعفريون نسبا وهذا الاستاذ ممن تخرجوا بالاستاذ قبله وقد لازمه سيدي ادريس نحو ست سنوات في مدرسة تاكوشت حيث لايزال هذا الاستاذ حيا الى الان ثم من عنده الى مدرسة تاهالا عند ابي العباس سيدي الحاج احمد اقاريض اخي سيدى محمد بن عبد الله اقاريض المذكور آنفا فلازمه ثلاث سنوات الى هذه السنة 1361 ه فاستعان به الفقيه الازاريفى سيدي الحسن ليكون له معينا في مختلف الدروس ولم يخصص لنفسه الا بعض الدروس العليا كالتفسير وما حمله على ذلك الا كونه مشغولا بالامور المخزنية في محكمة (انزى) ولايمكن له ان يواظب .

حاضرنا سيدي ادريس في مجالس وجاذب فى الابحاث فآنس بحسن المحاضرة وبأدب المناظرة واعجب بالبديهة في الاجوبة من العلوم التي درسها وقد سألني عن الزكاة في الاوراق البنكية فباحث في الادلـة وكل ذلك يـدل على شفـوف

وقد استعنت به في تقييد اجازات ورسائل وبعض ما وقفت عليه من هناك ، واردت نقله كرسالة الاديب علي بن محمد بن عبد العزيز التيلكاتي وهي رسالة فذة وقفنا عليها هناك وقد اوردناها في (المترعات) .

هذا وقد دفع سيدي ادريس الي والى الفقيه سيدي علي بن الطاهر ابياتا فائية آخرها :

. . . . . ومراد الضعيف هذا منكما ان تسمحا باجازة للضعيف كاتب هذا الخطاب فتنصل صاحبي قائلا ان في فلان يعنيني الكفاية فقلت لا بأس ولا يأبى الكرامة الا لئيم فحين وصلت الغ اجبته بمقصوده وبابيات في روي قطعته ومثل هذا صدر عن الفقيه سيدي احمد بن الطاهر الاماسيني فسلكت به مسلك سيدي ادريس واول قطعته :

دعاني على طول البطالة هانف	الى حضرة تنمى اليها المعارف
فنبه مني القلب من سنة الهوى	وجئتك يا من لا يدانيه عارف
وكنت قبيلا بالهوى متقيدا	وليس لقلبي عن دواعيه صارف
فمنذ استفاق القلب جئتك سيدي	واني على قصد التبرك عاكف
اروم استفادات العلوم بنية	لعل فؤادي من بحارك غارف

الى آخرها واجازتاهما اثبتهما في مؤلف مسمى (سلاسل العقيان في اجازاتي لبعض الاخوان)

هكذا امضينا ايام ازاريف الغراء المحجلة فمن صباح الاثنين 16 شوال الى صبيحة الجمعة 20 منه كنا نسبح في فوائد وموائد مما تمدنا به الخزائن والمآدب الازاريفية صانها الله وصان لها ذلك الكريم الاريحي المدمث الاخلاق ، المطهر الاعراق (1)

ومدرسة ازاريف على قمة جبل من صفوان قلما يوجد في اعاليه تراب حتى ان مواد البناء ـ متى احتيج اليها ـ انما تنقل بالدواب من السفوح، وقد استدارت بذلك الجبل المبنية عليه قرية آزاريف نطفيات تناهز المئين ، بل يقولون انها 360 وذلك غير مستبعد لمن جال حول الجبل من قمته الى

1) توفي عميد المدرسة الازاريفية هذا بعد هذه الزورة بسنين فشغرت بعده المدرسة.

ـافله ، والمكان موحش يباب ، استـدارت به الجبـال التي تعلـو بكـثير جبل ازاريف جنوبا وشرقا ، وقد احاطت الشعاب العميقـة بآزاريف ، فكـان الذئب الذي يكـثر هناك يشاركهم في افنية الديار نهارا وقد خرجنا يوما عند الزوال فرأيناه يطارد دجاجا امامنا من غير ان يخاف كأنه مستـأنس داجـن ، فذكرنا ذلك للاهالي فأخبرونا بتلك الحقيقة التى نجهلها ، وعن يسـار ءازاريف يبيـن الابطح المسمى تاسيلا ازاريف وهو مستو فوق ذلك النجد وياليت سادة ءازاريف تقدموا قليلا فسكنوا هناك ولكن اراد الله ان يتشرف بهم هذا الجبـل الوعر، ويعمر بهم هذا اليباب القفر ، وقد زرنا في المدرسة مقبرة الشيخ الصالح سيدي ابراهيم افلول الجد الاعلى للازاريفيين قاطبة وهو من اهل القرن الثامـن وهو الذي انتقل من سملالة الى هذا المكان ، والقبور كثيـرة في غربي المدرسة المنحدر مما يدل على العمارة العظيمة التي مرت هنـاك ولا يشبـه هذا المكـان الا حصنا من الحصون القديمة التي كانت تتخذ على شعف الجبال ، فرارا من الاعداء ولعل ذلك هو الاصل في هذا المكان ، ولا ادل عليه من تلك النطفيـات الـكثيرة فى كـل محل هناك .

زرت خلوة الشيخ سيدي محمد بن يحيا وصليت في مسجده تبركـا فقلت اللهم ارض عن ائمة هذا الدين الحنيف ، وأعد علينا من بركـاتهم وألحقنـا بهـم مسلمين مومنين آمين غير مفتونين ، وقد رأيت هناك رؤيا تسر ولا تغر .

تيلـكات

ودعنا الفقيه تحت الديار ، فرجع الى اناس كـانوا في انتظاره بعد ما نوى ان يشيعنا اكثر من ذلك ، ثم اطلقنا الاعنة للبغال ، والسماء قد اكفهر وجهها وارجحن مطرها ، فلم نكد نستـوي في بسيـط (تاسلا ازاريـف) حتى استرسل علينا شؤبوب مندفع فاستظللت بمظلة وصاحباي سيدي الطاهر الادوزي الحاسر الراس ورفيق آخر مترادفان على بغل لا يباليان به ، فقلت لله در تربية البادية الصحيحة ثم بعد لاي انقطع الغيث ثم عاودنا بعد قليل، الا ان كل ذلك لم يزدني انا الا نزهة لمتانة البغال التي نحن عليها، ثم مررنا بشعراء من اشجار الخروب

ثم لم ننشب ان اطللنا على وادي تيلكت المنفرج فقلت سبحان الله افى هذا المكان كانت - ما شاء الله - رياسة ولتيتة فى أيام السعديين ثم الايليغيين ؟ وظلها يمتد على كل هشتوكة الى آيت وافقا - كما يذكر - اهنا كان اولئك القواد الكبار الذين يحكى عنهم ما يحكى من قوة ورباط خيل كثير وحاشية كثيفة من الاعوان والعبيد ؟ ثم ذهب كل ذلك تحت ظل الجهالة التاريخية مع استمراره اجيالا حتى لا نجد ازاءنا الان ولو اسماء اولئك الرؤساء المتشعبين عن اسرة آل عبد العزيز العالمة . وكادت اخبار علمائها تذهب بالكلية ، لولا اثارات هنا وهناك .

نزلنا بين الظهرين فى دار اخينا سيدى الحسين بن محمد الازاريفى ابن عم الفقيه سيدي الحسن عميد آزاريف المتقدم نزل آباؤه على املاك هنا ورثوها من آل عبد العزيز من جهة نساء اقترن بهن الازاريفيون فتوسع من استوطنوا هنا ووجدوا ما لم يجده من لا يزالون في قمة جبل ازاريف (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة)

كان سيدي الحسين رب مثوانا هذا يزور الغ لانه من اصحاب والدنا ، فلذلك استدعانا لزيارة داره وحفزنا بعرض خزانة لابائه حافظ عليها في صندوق كبير فلم يكن لمثلي الشغوف بآثار العلماء الا ان يلبى مبادرا لعله يقع على ما لم يقع عليه قبل من نادرة مستطرفة، او ذخيرة من الاعلاق المستظرفة فبمجرد نزولنا على مضيفنا سار بنا الى المكتبة فصار يعرض علي من كتبه المخطوطة فاذا بخزانته من خيار خزائن الازاريفيين وقد وقفت فيها على ما ياتي

1) الدر المنظم في زيارة الجبل المقطم بخط مشرقى حسن والنسخة كانت عام 1226 هـ فى ملك العلامة محمد بن ابراهيم اعجلى الشهير وهى مجلدة بينة الخط

2) السخاوى على الالفية العراقية في مجلد ضخم بخط عادي غير جميل ولكنه يقرأ والنسخة قديمة كتبت فى عهد المؤلف رمضان عام 882 هـ لان السخاوى توفي عام 902 هـ والكتاب نادر النسخ

3) شرح القصيدة الرائية في بحر البسيط لمحمد الدرعي فيما يجب على المكلف ليبورك السملالي والنسخة في 26 صفحة في 38 سطرا اتمه عام 1052 ه

4) اجوبة في صفحات للمرغيثي

5) نظم في اصول الدين ليوسف بن محمد بن ابراهيم المراكشي مبتور الاخير مع فساد غالب السطور بالبلل

6) اربعون حديثا لابي نصر نسخ شرحها عام 967 ه

7) كتاب عادي في بعضه : المختار بن عبد الله الكرسيفي الفقيه المفتى توجد هناك فتوى له وقد وجدت ازاء اسمه في مذكراتي هذا البيت :

الدر وهو اجل شيء يقتنى ما حط قيمته هوان الغائص

ولعلي نقلته من فتواه تلك ـ لا استحضر الآن ـ والمختار هذا لم نعرفه الا هنا .

8) وشي المعاصم للبزناسني على التحفة كان الكتاب في عام 1165 ه في ملك عبد الله بن احمد بن محمد بن علي الايسي اصلا ثم الودريمي تربية ومولدا ولم اعرف قط هذا العالم بهذا كله ، وقد وقفت على هذه الرسالة ولعلها له لان صاحبها اقدم من القرن الماضي :

(سيدي وسندي ، وزندي وعضدي ، وقلبي وكبدي واجل من تملك يدي سيدي احمد الهشتوكي ، السلام الطيب الممسك ، عليك وعلى من بك تمسك ، اما بعد فان الاحوال بخير ، ولا يلم بنا ضير ومن وجد خيرا فليحمد الله ومن طابت له الحياة فلا يشكرن الا الله فاقول :

حمدت الهي حمد عبد رأى له عليه ثياب الفضل من كل جانب
فشكري لانعام الاله يديمه والا فقد يغدو كنسج العناكب

ثم ان الكاتب يطلب من سيدي دعاء دائما في كل حين ليصلح له كل ما يريد من دنيا ودين ، ومثل دعائك يجيز ، وما ذلك على الله بعزيز والسلام من اخيك عبد الله الودريمي حفظه الله .

وليس هذا هو عبد الله الودريمي المشهور صاحب القبة المتوفى عام 1222هـ لان هذا الودريمي المشهور معلوم الترجمة بين البوشواريين .

9) اجوبة سيدي داود التونلي التملي في نحو 18 صفحة كبرى والنسخة مكتوبة عام 1072 هـ ونسخها توجد بكثرة .

10) مؤلف في الفرائض للامام السهيلي في مجلدة بينة الخط نفيسة العبارة نسخ عام 996 هـ

11) الاول من السيرة الحلبية وهي مطبوعة بخط مشرقي قديم جميل له رونق اخاذ ، والجزء من الاعلاق لنفاسة خطه .

12) الاول من البيان والتحصيل لابن رشد على المدونة انتهى فيه الى الاعتكاف ، ولم اقف على الباقي هناك والجزء لم يؤرخ وقت نسخه والكتاب قليل الوجود ونسخه التامة قليلة .

13) كتب عادية استفدت منها اسم علي بن احمد بن محمد بن يعزى امزوغار كان حيا عام 1074 هـ فهو ابن القاضي مهجو التاغاتيني واسم محمد بن عبد الله الاكماري وكان عالما مفتيا ، ولعله المتقدم في الاكماريين ، واسم محمد بن احمد بن يحيا البرجي من أهل آخر القرن الثاني عشر عاصر صالح بن ابراهيم العلامة الكبير المتوفى عام 1206 هـ ويفتي معه، والبرجيون الرسموكيون اسرة علمية ذكرناها في تلاميذ عبد الله بن يعقوب في القسم الثالث من المعسول.

14) اجوبة تنسب الى يوسف بن يعزى القاضي الرسموكي الشهير رأينا النقل عنها ، وقد وقفت فى هذه الجولة على ورقة عدد فيها مؤلفاته وهي :

الاجوبة الفقهية التي ذكرت فيما تقدم، وشرح اسماء الله الحسنى، ومؤلف في العول ، ومؤلف في المناسخات ، ومؤلف فى الصفقة، وآخر في البيع للآجال في المجاعات، وآخر في احترام القضاة، وآخر في حكم الدفن فوق قبور اخرى، وحاشية على المغنى ، واعراب لا اله الا الله ، وشرح الاربعين النووية ، وانا الى الان لم ار اى واحد من هذه المؤلفات .

15) ورقة واحدة من اول كتاب اصول الضبط للقرآن لابي داود سليمان

ابن نجاح ، مبتدأها باب اصول الضبط وكيفيته على الاختصار الخ ثم قال المؤلف اعلم ان نقط المصاحف هو اقدم من الشكل وان كان ذلك معا مستنبطا مصطلحا عليه الا ان النقط كان قبل في وقت كان فيه كثير من الصحابة لا يزالون احياء والورقة بخط جميل توجد في الدفة الاولى من المغنى لابن هشام ولم تسفر مع الكتاب ، وقد وجد في حاشية من كتاب المغنى لابن هشام ان عبد الله ابن محمد بن الحسن التيلكاني رهنه وهو عبد بن ابن محمد بن الحسن بن سعيد الشاعر

16) اربعون حديثا لابن الفاكهاني مع شرحه لها ويطيل النفس ، وهو جزء كبير منتهى ما وقف عليه الشارح في الثاني والاربعين من الاحاديث وفي بعض النسخة بياض من الاصل المنقولة منه .

17) الثاني من فتح الباري بخط مغربي جميل قديم لم يؤرخ نسخه

18) الشرح الصغير للعراقي على الفيته كما كتب على الكتاب ينقصه شيء بعد اوله وكذلك في آخره على ما يظهر من عبارة مذ كراتي وقد كان الكتاب مع الكشاف في ملك الشيخ سيدي محمد بن يحيا الازاريفي

19) كتاب عادي كان في ملك محمد بن احمد بن عبد الله الفنتوري الماسى المقدمي ، وتوفي قبل 1163 ه ثم تملكه محمد بن محمد بن الحسن الحامدي صاحب القصيدة المتقدمة وصاحب المؤلفات الكثيرة وهو من اصحاب الشيخ محمد بن يحيا الازاريفي المتوفى نحو عام 1163 ه

20) كتاب عادي كان في ملك سعيد بن عبدالرحمن بن الحسن التيلكاني وهذا الحسن هو ابن سعيد الشاعر

21) كتاب عادي وجدت فى احدى نواحيه ومن نظم الشيخ الاديب سيدي عبد الملك التجموعتى :

فان تسألوا عن سوس فالكل مذعن   يقادون كيف شيت لم يمصعب الود[1]

---

1) كذا وجد والغالب انه هكذا : لم يصعب القود

يقولون هذا ليس بالرأي عندنا (ومن انتم حتى يكون لكم عند[1])
على كل حال ما رأيت شبيههم فألسنة لكن وأفئدة صلد
ولم أر مثل أهله في غباوة وسخف وأما النوك ليس له حد
ولا تحسبوا اني قصدت هجاءهم (فما قلت الا بالذي علمت سعد)[2]

ثم ذكر هناك ابياتا قليلة في الجواب ثم وقفت في هذه الجولة على الجواب كاملا ـ على ما فيه من فهاهة فاضحة ـ بخط العلامة شيخ شيوخنا الاديب سيدي العربي الساموكني ونص ذلك :

للفقيه الاديب اللغوى سيدي ابراهيم بن علي بن الحسن الروداني دارا ومنشأ في معارضة قصيدة الاديب سيدي عبد الملك التجموعتي معيرا لادباء قطر سوس على نسج منوالها ما نصه :

ايا عجبا ترمي لدى امة سعد بأسهم غرب لا يقام لها حد
ايرقأ دمع يماله من مس أسا ايسقى لها من اعين النرجس الورد
فصح واصباحا تغتنم نهز فرصة فحيهلن يا من له النجد والنهد
حنانيك عيني عن بكاء فإنه ان اهتز عرش الحي يقضى لك الرشد
ثمانين ضربا من بديع فإن وفت غدا اللكن لسنا واستلان بنا الصلد
وملزوم كل ينتفي بانتفائه تراه وراه قد احاط به الطرد
علي وعندي فالمقال مزور وشاهد عدل في المقال به العد
فما رأت الزباء زخرف قوله ولا سمعت هند ولا علمت سعد
بل الحبر اعجابا ترامى بنظمه فاسمع حسب السمع والرؤية الرد
وبالنفس يفدى لو تكام حسبة ولكنه[3] نقص الكمال هو القصد
واطلاق سرح القال والقيل في القلى وتعميم قطر لا خصوص ولا قيد
على انه الندب الاريب فتى العلا ينزه عن قذف فمن غيره يبدو
فنعم مديحا للامام وحزبه وبيس القرين للمقارن قد يعدو
وويل لوزن طف او خف عدله لدى اللوذعي الالمعي حلا النقد
وعند نجيي ما لديه سوى الرضى فيا حبذا الرجمى ويا حبذا العهد

1) شطر بيت قديم
2) شطر من قصيدة الحطيئة المشهورة في هجاء الزبرقان واوله: يلومونني ابناء سعد عليهم.
3) كذا ، ولعله (ولكنما)

فرد يا فريد الدهر من منهل الصفا ... تفز بالصفا من أهله الحل والعقد
فتدرك فرض العين من قبل فوته ... فقد فات قدما للجهول به الحمد
والا فتحليل الكلام وعقده ... ورسم من آثار الطلول له حد
وتفصيل اوصاف الكلام وضده ... وعكس القضايا كل ذاك هو الورد
بيان المعاني من بديع زمانه ... ووشى حرير للمقام به نحدو
عروس لافراح البهاء محصل ... وحاصل تحصيل الشهاب هو الرصد
تمكنت من عقد القوافي بجيدها ... فكل اعاريض القريض له وعد
فلا تحسب التلويح غير تنازه ... فحفظ مكانة العلوم له مجد
والا فلو اطلقت جامح قولتي ... وخب لما يقضي المقام لي النهد
لشمت معايير الكلام سفاهة ... وان لم يكن لي في مسافهة ايد
ولكن ارى هذا اليراع مسارعا ... الى قولة ما ان يكون بها بد
فها أنذا اطلقت عمدا جماحها ... وان جفت الاقلام اوكمل الكفد(1)
دثوه ودعوى القدح فالمدح ثابت ... يحق لدى النظام جوهره الفرد
ولم لا وسوس للمعالي اساسها ... فقد سلمت في الرفعة الهند والسند
مناقبه مثل الثواقب في الدجى ... ينير بها نجد كما يشرق الوهد
فمفترق في الكون مجتمع به ... فكان الفراء فيه يجتمع الصيد(2)
فمنه كماة للذمار حماته ... بها انتصر المنصور وانتشر البند
توحد منه للموحد ملكه ... لبرقة برق البيض اذا سوسنا الحد
اولئك قوم ان بنوا احسنوا البنا ... وان عاهدوا وفوا وان عقدوا شدوا(3)
ومنه بدور بل شموس قد ازهرت ... سعيدان عند السعد بينهما السعد
ابو الفضل يحيا بعد بدرين قد سما ... سماء فنون العلم ليس له الجحد (4)

1) يعني الكاغد ولعله لغة فيه .

2) الاصل الفرأ كجبل وسحاب حمار الوحش .

3) بيت من قصيدة الحطيئة المتقدم ذكرها .

4) يظهر ان المقصود يحيا بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي وقبله ابوه عبد الله وسعيد بن عبد النعيم فهما شيخان عظيمان يعني انهما من مفاخر سوس .

وناهيك منهم فتية الكهف قطبوا ... فطالع انوار الدلائـــل ممتد
وان رام نصب العين للحال ردها ... لتمييز حين النظم يرتفع اللد
فلله فرع كان زهرا لاصله ... جنى من جناه من تعالى به الجد
فاكرم ببنت الزعفران وتربه ... فيالك من ترب به خصت الخلد (1)
به فاض ما قد غاض من فيض جدول ... يحرك امواجا متى زخر المد
به فاض بحر عنبر (2) الخام خالصا ... به كوثر يجرى بسكره القند (3)
به حل في قلب الرصاص لجينه ... به سال عين القطر ليس له ند (4)
فذى جزئيات من خصائص فضله ... وتفصيل كل لا يحاط به العد
فيا حسن ختم عن عبير اصوله ... فطاب وذاع يعبق الصدر والورد
على مثلها فلينظم الشعر او فلا ... باحسن تقويم قضى المجد والسعد
فاغرى غرام بالرداني هـــزه ... على تربه ما قد قضى للعلا المجد
هلالية من يمنها رق طبعها ... تلت صورة الانفال جودها الرفد (5)
متى لحظت فالسحر حق بلحظها ... او ان لفظت فاللفظ حلواء او شهد
تحيى ابا مروان بالصبح والمسا ... بروح وريحان يطيب له الخلد
فذكر جميل من بثينة رقية ... بنفثة ليلى حل من عروة عقد
وطيف خيال الاخيلية قد سرى ... بتوبته يسرى لبشرك يا هند

هكذا القصيدة العرجاء التي بها يحكم التاجموعتي بان اللسن اللكن فى سوس كانوا حقيقة والا فمن يرى مثل هذه الفهاهة بلاثة فلتبك على ذوقه البواكي

ثم انني وقفت من هذه المنظومة على ثلاث نسخ المذكورة التيلكاتية والمذكورة عن سيدي العربي الساموكني والثالثة من خط الاستاذ ابن العربى

1) يقصد سكتانة حيث يستنبت الزعفران .
2) العنبر كثيرا ما يوتى به من سيف البحر من صحرا' سوس .
3) اشتهرت سوس بالسكر قديما .
4) من معادن سوس القديمة معدن الرصاص ومعدن النحاس الذي هو القطر بالكسر
5) يعني ان مؤلفها هلالي اي انه من قبيلة ايلالن .

الجد فضربت بعضها ببعض فاستخرجت من الجميع هذه النسخة التي بين يدي القارئ على علاتها الواضحة فهي كالورهاء الشوهاء فلا للشم ولا للتقبيل ثم وقفت ايضا على نسخة رابعة بخط شيخنا سيدي محمد بن الطاهر الافراني قائلا انه نقلها من خط الساموكني المذكور الا ان فيها اختلافا في ابيات مع التي رأيتها بخط الساموكني فظهر انه نقل ايضا عن نسختين وابراهيم الروداني هذا من قبيلة ايلالن ولذلك وجد في بعض النسخ الهلالي[1] على عادة السوسيين في النسبة لتلك القبيلة ولا ريب انه معاصر للتاجموعتي العلامة الكبير ومتوفى التاجموعتي عام 1118 ه

ثم فى ذيل النسخة التيلكاتية ما نصه : وذيله العلامة صاحب المعقول والمنقول سيدي محمد الهشتوكي ولعله استاذ اليوسى المستوطن بمراكش ان طال عمره حتى يعاصر جيل تلامذه

وفيهم ومنهم من يلاذ بفضله	فحول الوغى اسد سوابقهم جرد
بهم بان فضل الغرب لا ارضك التي	تسمن كلبا للعيال بها الجهد
فلولا بنو خير البرايا ونسله	لما جاءكم جاء ولا وفد الوفد
فذا جدل افحمت فاه بغصة	تلجلج فيها لا مساغ ولارد
ذكرناك اذ ذكرتنا بنقيصة	تجازي بمثليها فلا عتب ياطود

هذا ماكان في التيلكاتية وزيد عليها عند الجد ابن العربي ما نصه :

ثم ذيل على ذلك ايضا سيدي عبد الله الحامدي ولعله صاحب المقامة ابن الشيخ سيدي محمد بن يحيا الازاريفى بما ياتى :

تحاول ستر الشمس منا واننا	كما يشهد الانام لب اذا عدوا
بنا ولنا كانت ذرى كل منبر	ينكب ان قلنا لدى العلما الرد
تميل بنا هام الفخار بمنتدى الـ	ـفخار كانا في الربا الاغصن الملد
اذا زخرت منا المباحث عند من	يباحث جر البحث من بحرنا مد

---

1) وليس ابراهيم الهلالي هذا بابراهيم الهلالى الشهير صاحب الفتاوي ، فان ذاك سجلماسي من بني هلال كان يعيش في اواخر القرن التاسع فليس بسوسي وهذا من قبيلة ايلالن بسوس .

تعال فباحثنا تر الفكر ماضيا | يكون به قط المبارز او قد [1]
ترى عندنا ما كنت تعلم اننا | على رغم ما تبغي يحق لنا عند[2]
فكل بني سعد يرون كمالنا | (وما قلت الا بالذي علمت سعد)
لنا الجار يحمى لا يضام جنابه | وسهل اراضينا له الابلق الفرد[3]
فتبا لمن يغدو لنا متعاميا | عن المجد مجد السوس هل ينكر المجد ؟
وعندي لسان لو اردت انطلاقه | ولكن سيكفي مايحيط به العقد
وأستغفر الرحمن فيما اقوله | وان لم يكن الا به الحق يعتد

فلولا اعتساف العشي في الليل نامت الـــقطا واستكنت بين اشبالها الاسد

انتهت القصيدة وهي لعمري - على بعض تراكيب فيها - افضل من كل ما تقدم ، والله يغفر للجميع ، وقد علمنا ما بين التاجموعتي وبين اليوسي من قواف ، حين يهجو الاول البربر ويذمهم بأنهم يقولون لله تعالى بابا ، ويجيبه اليوسي ولا نطيل بكل ذلك[4] فهو معلوم .

22) شفاء الغليل لابن غازي والنسخة كتبت عام 989 هـ

23) مجلد من جواهر ابن شاس بخط نفيس قديم الا انه مبتور اولا وآخرا

24) مؤلف على الموطأ في اوله ما ياتي بـالمعنى - إختصارا - اذكر ما فسره يحيا بن ابراهيم بن مزين وغيره من الفقهاء من الموطأ ، وانقل كثيرا بالمعنى ، وأبوب الابواب على حسب ابواب يحيا بن يحيا الليثي، وأجمع بين روايته ورواية ابن بكير واذكر الاحاديث التى ارسلها مالك واسندها غيره ،

---

1) في وصف علي بن ابي طالب : كان اذ عارض قط اي قطع الطرف الاعلى من قرنه واذا قابل قد اي قصمه من اعلاه الى اسفله

2) يشير الى ما قال التاجموعتى (ومن انتم حتى يكون لكم عند)

3) الابلق الفرد حصن السموأل الذي ذكره في لاميته المشهورة قال :

هو الابلق الفرد الذي شاع ذكره | يعز على من رامه ويطول

4) سمعت ان للعلامة تقي الدين الهلالي علامة سجلماسة ومفخرتها اليوم؟ قصيدة طنانة يرد بها على اليوسي انتصارا للتاجموعتي ودفعا لما يلمز به اهل تلك البلاد وكل هذا يقبل في باب ترويج الادب ان كان متين العبارة فصيحا بليغا

وربما ذكرت احاديث من غير الموطأ فيها بيان وتفسير واذكر ما اخذته تلقينا ومشاهدة عند مدارستي للموطأ عن اشياخي الخ ثم قال باب تفسير وقوت الصلاة الى آخر باب كراهة دخول المسجد بريح الثوم قال لي ابو محمد الاصيلي الخ ثم امتد الى ان قال اخيرا مما عني بشرحه وتاليفه ابو المطرف عبد الرحمن ابن مروان القنازعي الى ان قال ، قال عبد الرحمن جمعت هذا الكتاب على قدر فهمي ، وعلى حسب ما ضبطت الخ والنسخة بخط جيد رفيع في نحو 500 صفحة في 20 سطرا ، في قالب مائل الى الطول ولم تؤرخ النسخة ، ولكنها كما يظهر مكتوبة حوالي الحادي عشر لبعض علماء تيلكات في اواخر النسخة بياضات من المنقول منه والكتاب من الذخائر

25) مؤلف للزجاجي في النحو اوله باب اشتغال الفعل عن المفعول بضميره نسخة عتيقة جدا كتبت عام 432 ه بخط اندلسي كما يظهر وقرئت على بعضهم عام 490 ه وقد تداعت النسخة الى التلاشي وتسرب الى اكثرها اثر البلل وان كان لا يزال في الامكان ان ينتفع بها اللبق الحاذق، والنسخة في قالب وسط في 192 صفحة في 27 سطرا بخط بين والكتاب من الاعلاق

26) شرح الاجرومية لابي سعيد بن سعيد السملالي صغير

27) القلشاني على الرسالة في مجلد واحسبه انبتر اخيرا وهو مجلد فيه احد الاجزاء المتعددة من هذا الشرح واحسب هذا انبتر اخيرا نسخ عام 962 ه

28) كتاب عادي استفدت منه ما ياتي ؛ مات الفقيه احمد بن الحسن ابن سعيد من ذراع عمران ظهر الاربعاء 23 جمادى الاولى عام 1198ه قيده سعيد بن علي التيكشراني انتهى وتيكشران قرية من قبيلة ايت ودريم بين اهلها والازاريفيين مصاهرة من قديم ولم نعرف قط العالمين معا الا هنا .

29) سؤال الامير يحيا بن عبد الله بن سعيد الحاحي علماء عصره عن مسألة الرؤساء في كل قبيلة الذين يجتمعون على ادارة امورها وتغريم من تعدى بالغرامات المالية ، وهم المسمون إنفلاس وهناك الاجوبة من معاصريه من بينهم احمد بابا الشهير ، والسؤال والاجوبة في 4 صفحات

30) نظم في العمل في المناسخات ثم شرحه لناظمه عبد الله بن سعيد التيخفيستي السملالي في 4 صفحات كبار ، الفه عام 1028 ه

31) الاصطفاء لبيان معاني الشفا، عليه كتابة محمد بن بلقاسم بن الغازى الازاريفي من معاصرى احمد الذهبي المنصور وقد علمنا احمد بن بلقاسم ايضا، كما علمنا اباهما بلقاسم بن غازى

32) مؤلف لابن غازي في المقاتل نظم وشرحه

33) السوداني على المختصر رأيت خط يحيا بن محمد بن ابراهيم الازاريفي عليه عام 1179 ه وهذا الشرح موجود النسخ في كل هذه الخزانات الجزولية

34) كتاب عادي رأيت حواليه ما يدل على ان الفقيه محمد التاكريانتي حى عام 1212 ه كما رأيت ايضا هناك في كتاب آخر اسم الفقيه مبارك ابن محمد ابن المبارك ابن الحاج الايلالنى وانه حي عام 1212ه

35) الفوائد الجليلة للشوشاوي فرغ من تأليفه عام 857 ه والكتاب موجود

36) كتاب عادي استفدت منه فتوى الفقيه احمد بن ابراهيم بن علي الجيشتيمي التملى ولعبد الله بن ابراهيم، ولعبد الله بن ابراهيم التاسكدلتي ولمحمد بن ابراهيم التازلتي التملى ولمحمد بن عبد الله بن على الازاريفي وذلك في عام 1100 ه او فى حدود ذلك

37) السيف القاطع الصقيل نظم في التوسل لمحمد بن عبد الرحمن بن الحسن الحامدي المشهور بالسوق فى صفحتين الفه عام 1085 ه وذكر هناك ان الجريديين فى تونس اتخذوه وردا ولهذا المؤلف اخ يسمى سعيدا

38) كتاب عادي استفدت منه اسم الفقيه ابراهيم بن عبد الله المزوورتي وأنه حي عام 1100 ه كما استفدت من كتاب آخر اسم الفقيه محمد بن سعيد التاسكدلتي وانه حى عام 1160 ه وله خط جيد

39) مؤلف فى السكك للاستاذ محمد بن يعقوب كتبه من اواخر عام 1100 ه فافهم هذا فانه غير مؤلف محمد بن علي اليعقوبى الايلالنى المتأخر المتوفى نحو 1294 ه

40) نظم جمع الجوامع فى الاصول للسيوطى وشرحه فى مجلد كبير، كتب عام 1078 ه

41) مجلد فيه رسالة للكمال بن الهمام فى اعراب حديث كلمتان خفيفتان الخ ورسالة لابن تيمية الشهير فى لو ولكن هذه يظهر انها مبتورة وهما بخط واحد

42) شرح مبتور الاول والاخر على الدريدية، ومعه تفسير للقرآن ايضا كذلك

43) كتاب عادي فيه نقل لداود بن موسى بن داود السملالي ، عالم له خط جيد .

44) كتاب عادي فيه ان علي بن يعزى بن سعيد التملي من أزرو واضو بآيت ودريم كان ينسخ كثيرا للفقيه الحسن بن سعيد التيلكاتي وهو الرئيس الكبير هناك .

45) التنبيه والارشاد في اصول الدين، نظم ابي الحجاج الكفيف والنسخة في مجموعة صغيرة ، وهي حسنة الخط مكتوبة عام 880 ه

46) كتاب عادي نقلت منه توفي القاضي محمد بن ابراهيم الاسكاري وسط رجب عام 1163 ه كتبه محمد بن احمد الاسكاري وذلك في الوباء ، وقد نزل الوباء بالاسكاريين وخرجوا 19 ربيع الاول 1163 ه الى شعب قريب من الحي فلبثوا هناك ستة شهور فهلك منهم الثلث ودوواسكار من قبيلة آيت ودريم والواسكاريون بيت علم ، فليعلم ذلك من هنا ، وكم عالم يمر بنا اسمه منهم .

ومن الكتاب ايضا : نزل الباشا العياشي بتافنانت بتاسكدلت في الاثنين ثامن شوال عام 1160 ه ثم ارتحل منها 24 ذي القعدة في العام ، بعد ما مكث فيها 27[1] يوما ، واثر ذلك ايضا ما نصه : نزل الباشا سعيد بن العياشي وزير السلطان سيدي محمد بن عبد الله بن اسمعيل بلدة آيت برابيم اول شعبان عام 1176 ه انتهى .

ومن هناك ايضا نزل سيدي يوسف الناصري ربوة سيدي ابي سعيد 23 ذي الحجة عام 1173 ه انتهى .

ومنه ايضا توفي الفقيه القاضي محمد بن محمد الوامهالي في السبت 20 شوال عام 1188 ه والوامهاليون بيت علم منذ قرون الى الان - وتوفي الفقيه

---

1) كذا .

القاضي احمد بن عبد الله الداودي الايلالني 28 ذي القعدة عام 1165 ه انتهى من خط محمد بن احمد الاسكاري وخطه رفيع وقد تقدم ذكره قريبا .

47) كتاب المعارف لابن قتيبة بخط رائع والكتاب مطبوع .

هذا ما وجدناه في هذه الخزانة الازاريفية الثانية ، ونأسف كل الاسف حين لم يتيسر لنا الاطلاع على اخرى ثالثة هناك تحت يد سيدي عبد ...... من اسباط الفقيه المطرر في قرية آزاريف نفسها ، وقد قيل انها اكبر من اختيها ، فكثيرا ما يقال ان هاتين الخزانتين معا مقدارها وحدها ، ولعلنا لا نحرم الاطلاع عليها بعد[1]

—

عند العصر من يوم الجمعة 19 من شوال دخلنا تيلكات، وعند زوال السبت جلنا في نواحي القرية ، فزرنا اولا المسجد العتيق ، فوجدناه قد تغير عما كان عليه اذ تيلكات عاصمة قيادة كبيرة في جزولة فقد كان اذ ذاك ذا اربعة صفوف في الجهة القبلية ثم كان صفان مستطيلان عن يمين وعن يسار في الصحن الذي تتوسطه نطفية لا تزال مصونة الى الان ترفعها اقواس في داخلها وفي غربي الصحن صف آخر وكل ذلك على البناء المعتاد من الحواضر في المساجد واما الان فلم تبق الا الصفوف الشرقية فقط وقد تبين ان المسجد كان منهدا فاعيد كل بنائه حتى الجدران الا ما كان من الجدار الذي فيه المحراب ولذلك يرى السقف سقفا بدويا ساذجا وقد سد ما بين الصحن والمسجد الحالي بجدار قائم يتخلله باب منه اليه ، ومجمل القول انه لم يبق يمثل ما كان عليه المسجد قديما الا المحراب ، فقد وقفت امامه فرأيته بتقويس لطيف ، وقد شق القوس نصفين في داخله من اعلاه فصار هناك قوسان من اعلى الى ان يتم مكاس القوس ، ثم يتكون تحت كل قوس بناء مخروم الى الاسفل كما يعهد

1) توفي سيدي الحسين صاحب هذه الخزانة التيلكاتية فدخل على داره سيدي محمد بن الحسن الازاريفي فصارت الخزانتان بذلك تحت يد آل سيدي الحسن وهم لايبخلون برؤيتهما لانهم من الافاضل

من محاريب المدن، وفى داخل المحراب تربيع مخمس او مسدس في جهات الداخل من اليمين الى الشمال اي من القوس الجنوبي الى القوس الشمالى ويعلو وجه المحراب ما يعهد ان يعلو محاريب الحواضر من تشبيه قويسات صغرى مملوءة بالتخاريم الجبصية مع طلوع الكتابة من منتهى التقويس من المحراب ، وفيها (العافية التامة) تكرر طالعة ، ثم مستوية فوق القويسات الثلاثة الصغرى فوق المحراب ، ثم تهبط كذلك الى ما يسامت ما ابتدأت منه ، والمحراب رائع جميل الملس فى كل محل لمسته فيه اليد ، الا مواضع تلك التخاريم حتى انني حسبته بادىء ذي بدء من رخامة بيضاء نقشت كذلك ثم لما امعنت عرفت ان الكل من الجير الذي دلك دلكا ناعما ، فاملس غاية الاملاس مع الصلابة التامة فكانت ملاسته كملاسة الصحون الجيرية المملسة في مراكش ، وقد تحسب بديهة من الرخام وقد علت الدكنة اليوم بياض المحراب لطول العهد ، وطول المحراب من الارض الى منتهى استدارة القوس فوق رأس الامام عشرة اشبار ، وخمسة ونصف عند مدخل المحراب واربعة ونصف بين قائمتي المحراب والكل لايزال كما كان ، حتى الكتابة والتخاريم الا ما كان من القويس الثالث المتياسر من القويسات المخططة فوق المحراب فانه متثلم حديثا ، فيظهر من داخله التراب وذلك من اثر ضربة بكرة بين صبيان يتلاعبون بها في المسجد ، وعن يمين المحراب منبر صغير اذكن بل اسود ينعى سعده لانه لا جمعة هناك منذ حين وعن يسار المحراب مخرج الخطيب لا يزال غلقه باقيا ، وان اكل الدهر عليه وشرب وقد دخلت منه فرأيت باحة حولها بيوت لاستاذ المسجد الذي يشارط ، ورأيت في الحائط الاجر الذي يبنى به، فقلت لا يعلم الا الله اية حضارة سعدية من بنات البديع مضت في تيلكات مركز قواد من قواد البديع المشهورين بالاناقة ، وما هذا المحراب الا اثارة قليلة لما اندثر ، ثم اننا مشينا مع آثار البناء المستطيل من القرية اليوم فنمر على اكوام من الاحجار ، وعلى آثار اسس الدور، والمكان منفسح يسهل فيه البناء فمشينا حتى وصلنا مشهد سيد يسمونه ابا القناديل ، وازاءه مسجد قديم تهدم اليوم ومحرابه الى الجنوب مما يدل على

كونه قديما جدا وكان محل هذه الاثار ما يناهز كيلومترا او ادون منه بقليل وفى نصف ذلك في العرض قلت في اية ساحة من هذه الساحات يسكن الشاعر المفوه سعيد الحامدي وفي ايتها قال قصيدته الميمية المشهورة ، وتحت اي نسيم من نسائم تلك البساتين التى مرت هنا كان قال :

سأنصف حر الشعر مني بمجلس   حبيب بن أوس فيه والى المظالم[1]

ولا تزال نطفية كبرى وسط تلك الاطلال ، يقولون انها للحريم داخلا ، والناس اليوم من سكان القرية يجتهدون في تنقية الارض من الاحجار للفلاحة، وقد حكى لي احد المسنين هناك ان العمارة الكثيرة كانت مرت في هذه القصبة ، ولا تزال تسمى القصبة حتى ليروج عند الناس في معرض كثرة العمارة ان اي مناد نادى بأي اسم شاء كمحمد وعائشة مثلا فإنه بصدد ان يجيبه مائة ممن يسمون ذلك الاسم ! ومثل ضرب هذا المثل كثير على ألسنة الناس من قديم الى الان ، متى ارادوا ان يعبروا عن كثر الناس .

ويقول ان في منخرم الوادي اسفل تلكات بكثير قرب الاربعاء سوق الحامديين الان قصبة الفرسان من العبيد التابعين لهذه القيادة لا يزالون في اجراء الحلبة كل صباح ومساء الى آخر ما يقولون، مما يكنون به عن استفحال العمران هناك من اواسط القرن العاشر الى اواخر الحادي عشر، وأصل الاسرة الرئيسة المسماة بني عبد العزيز من حجر عيسى - ازرو نعيسى - وهو على جبل مستطيل في الجنوب الشرقي من قرية تيلكات، وقد رأينا المكان من القرية فتبينا قبة الشيخ عبد الرحمن بن علي من مشايخ القرن العاشر الكبار وهو اخو سعيد الشاعر ، وكانت دارهم دار سنة اثنى عليهم بذلك تلميذهم الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتي ، ولا ريب انهم كما يسكنون هناك يسكنون في هذا البسيط الفسيح لبهائمهم ولفلاحتهم ولمباقلهم، ثم اتخذوا المكان بعد مستقرا مطمئنا، حيث هالة الرياسة محيطة بهم، وهناك ساقية كبرى يذكر

---

1) توجد القصيدة كلها في المترعات

ان الرؤساء اجروها اذ ذاك من وادي الغاس من عل، فنحتوا مجراها من الاجراف ولا تزال تجري الى الان وتسمى تاسانيست ويقال لها في الرسوم ساقية القائد كما ان هناك بساتين كثيرة ازاء هذا الوادي - وادي الغاس - الذي يمر تحت اسس جدرانهم يسارا ، بين مساكنهم وبين الجبل العالي شمالي بسيط تيلكات وقد وقفت فيما وقفت عليه من كتبهم هناك ما نصه :

(غرسنا العنب بالجنان الجديد عام 1056 ه عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد التيلكاتي اه وقد كانت الاسرة متفرعة بين العلماء والرؤساء، لكننا وان عرفنا كثيرين من العلماء . لا نعرف من رؤسائها الا قليلين ، ويقال ان امرهم كان جميعا متحدا ، حتى دب الخلاف بين اثنين منهم ، فتقاتلا سنوات، وكان احدهما من تيلكات والاخر في المعقل الذي كان بعيدا من تيلكات في الشمال الغربي، فأدى الى الانحلال «ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم» وقد وقفت بخط عبد الرحمن المذكور على ما نصه ! بدأنا باسم الله العظيم في البنيان بالحصن ثامن ذي القعدة عام 1052 ه وأحسب ان للوطأة التي عرك بها السلطان المولى الرشيد جيوش جزولة في بسيط هشتوكة يوم زحف الى ايليغ يدا كبرى في زعزعة اركان هذه الرياسة التي كانت تساند آل ايليغ بلا ريب او كان ذلك بأيدي جيرانها بعد ذلك ، فقد وقفنا على أن احدهم كان قتيلا بأيدي بني موسى اوباكو - ابوبكر - وهم جيرانهم ، وهو عبد الرحمن بن الرئيس الحسن بن سعيد الشاعر ، فقد قيل فيه ولد تاسع جمادى الاولى عام 1009 ه وقتل في انكارف شهيدا بأيدي بني موسى بن ابي بكر ، قيد ذلك اواسط شعبان عام 1060 ه محمد بن عبد الله بن الحسن، انتهى. والرئيس الحسن المذكور توفي بتيلكات ليلة الاربعاء 25 ربيع الاول عام 1033 ه ولا نعرف الان غيره من الرؤساء الذين تقدموا قبله او تأخروا بعده ، وقد قيل لي ان هناك تحت يد بعض احفادهم القاطنين الان في قصبة (تالاغت) وفي (تانكيست) ما يلقي ضوءا على اسمائهم وبعض ما يتعلق بهم ، ولم يتيسر لنا الاتصال بذلك الان ، وذلك الحصن يسمى (امرخسين) كما اشتهر ايضا بتيگمي اورومي ،

ويزعمون اليوم انه من ابنية الرومان القديمة فإن صح ذلك[1] فيكون بناء الرؤساء هؤلاء تجديدا لبنائه فقط ، ولم يتيسر لنا زيارة الحصن لسيلان وادي الغاس بيننا وبينه تلك العشية مع انه قريب جدا من القرية .

هذا وقد زرنا هناك قبر الرجل الصالح سيدي احمد بن علي الافنينيضي من اصحاب الشيخ الوالد الذين صحبوه متجردا منقطعا سنين ، ثم القى جرانه فى مسجد تلك القرية أزيد من عشرين سنة محبوبا من السكان معتقدا ، وكان آية فى الاقبال على ربه الى ان توفي عام 1345 ه وقبره ظاهر خارجا في غربي البيت المدفون فيه سيدي يحيا بن علي من التيلكاتيين، وقد خر سقف البيت اليوم، وقبر سيدي احمد هو الذي يوجد ازاء الجدار الغربي للبيت وهو عال وهناك غربي القرية مشهد فيه من يسمونه ابا الانوار لا يعرف من هو .

كان المطر الغزير في اليوم قبل يومنا هذا اسال الوادي المضاف الى الغاس ، فحمل بما يطفح به فوقفت مليا على شفيره ، فتذكرت اغراقه[2] للعلامة عبد العزيز الرسموكى فقلت بديهة ؛

نهر الغاس كيف اغرقت يا نهـــــر خضم العلوم عبد العزيز ؟

كيف اتلفت في جزولة منظو ما نفيسا من اي در عزيز ؟

كنت الوك لساني بهذا النظم الركيك وانا اتوقل من حجر الى حجر والماء يسيل تحتى فشغلت عن اجادة ما اقول لئلا اكون ثاني اثنين اذهما في الغرق المردي وكانت هذه الجولة في اصيل السبت ثم بتنا على التبكير لمغادرة ارض الحامديين التي نراها تنبت الادب والعلم والصلاح كما تنبت جبالها مختلف

---

1) يجب ان يعلم جزما ان الرومان الذين استولوا على شمال افريقية زهاء ستمائة عام لم يتعد استعمارهم شالة الى الجنوب فلا صحة حينئذ لكل ما ينسب لهم في سوس ان قلنا ان النسبة لادنى ملابسة لان ذلك كان في عهدهم وما لم يستولوا عليه في الجنوب يكون تحت حمايتهم معنويا اذ يتشبه بهم من ليس تحت ايديهم مباشرة على ان الناس اعتادوا ان يضيفوا الى الروم كل بناء قديم

2) كان غرق في وادي (نكارف) احد روافد هذا الوادي الكبير ، ودفن في حصن بني زكرياء كما في التاريخ

الاشجار ، وقد قيدت عمن اجالسهم هناك بعض اسماء علماء من الذين لايزالون يجولون في الاحاديث ولما توكـأ عليهم الطروس نـذكر منهم من ليس على شرط (المعسول) .

فمنهم الفقيه سيدي محمد ابيض القاضي بتـاسيلا اوزاريف من الحامديين الاصيلين له آثار تدل عليه ، قال الاديب الحامدي انه رأى بعضها ، ولعله من اهل اوائل الثالث عشر ، وهو من ءايت محمد هناك ، وهو آخرهم

محمد بن سعيد الاصبعي الحامدي من افلانتسيلا اوزاريف من اهل ذلك القاضي عاصر الشيخ سيدي محمد بن يحيا الشهير المتوفى نحو 1163 ه بل هو من تلامذته كان ينسخ لشيخه هذا الكتب وكان عالما جليلا وذا يد في النوازل وادراك في علم المنطق يذكر بكل ذلك

الحسن بن سليمان الاصبعى من قرية تيزكارين من تـلامـذة الشيخ ابن يحيا ايضا وكان صالحا متبركا به وقد كان تصدق بكـل ماله على مسجد القرية فيعمر بذلك ، ولعله لا ورثة له

محمد بن محمد الاصبعي لعله ابن المذكور قبل هذا عالم كبير اخذ من الحمراء وقد وقفت على رسالة كتبها اليه احد اصحابه حين كان لا يـزال يـأخـذ في الحمراء ونصها :

الى الفقيه الكبير الشريف الاصيل خليلي الذي وده في قلبي راسخ سيدي محمد بن محمد الاصبعي ثم الحامدي

اما بعد السلام التام عليك ورحمة الله ، فكيف انت وكيف حـالك ، فاننا مشتاقون الى الاجتماع بك فادع لنا عند السبعة الرجال الخ اخوكم على بن احمد الحامدي وفقه الله انتهت الرسالة والاصبعيون هؤلاء بيت علم تعود رجـالهم كما كانت عندي رسالة اخرى من محمد بن مسعود الحامدي اليـه ولا يزال اذ ذاك بمراكش وقد تمثل له فيها بقول القـائل

اذا هبت الارياح من نحو ارضكم   يطـيـب بـه قلبي ويصبح بـاريا

وقد ذكر له فيها الفقيه علي بن محمد الاعلى الهوتي نسبة الى محل يسمى

(افلا اوكني) فعربوه بأعلي الهوتي فنسبوه اليه وهو محل بين نيلكات وازاريف كما ذكر له ايضا في الرسالة المرابط سيدي بلقاسم بن محمد المرابط سيدي ابراهيم بن ابي القاسم والفاضل سيدي عبد الله الماسنا كائي و (ماسناكا) قرية ازاء ازاريف ويقول له فيها واما ان سألت عن سيدي محمد بن احمد بن يحيا الشبي ، فانه قد تزوج في هذا العام عند دخول الحرث ، وارسل لسيدي محمد ابن علي لعل الله يجمعنا ان قعدنا ففيه الخير وان سافرنا ففيه الخير والسلام بعد صلاة العصر بالاربعاء 18 ذي القعدة عام 1181 ه

الحسن بن علي من قرية آيت (ويديرن) وهي قرية هناك ، من اهل اوائل الحادي عشر حدث الاديب الحامدى انه رأى كلاما في حكم للفقيه سيدي علي بن احمد الرسموكي ، يتكلم حول كلام للحسين هذا في قضية فقهية

حمدون بن محمد الادائي ويوقع اسمه باحمد ، قال الفقيه سيدى الحسن الازاريفي انه عالم حسن واثنى عليه ، وهو من اداى برسموكة وذكر انه ممن اخذ عن الفقيه الصالح سيدى ابراهيم الولياضي فيكون حينئذ من اهل اواخر القرن الماضي الى اوائل هذا القرن لان شيخه ابراهيم توفى سنة 1248 ه وهو الذى قال بعضهم انه يعرفه عالما موقرا محترما وقد حوصرت قريته مرة ستة اشهر ، فلا يتعرض له المحاصرون ولا لعبيده وشارط في ايناولياض وهناك يبطي توفى نحو عام 1316 ه وقد علمت ايضا انه من الاخذين عن سيدى العربي بن ابراهيم الادوزى

مبارك بن احمد البودهني الحامدي كان يزاول النوازل كثيرا وإن لم يتسع حوضه ويشارط في فوكرض بآيت صواب وفي تيزكين برسموكة ، وقد كان أبطأ في راس الوادي وهناك أخذ القرآن والمعارف وكان يتقن القراآت السبع توفي نحو عام 1315 ه

احمد بن ابراهيم البودهني ابن عم من قبله ، اخذ عن سيدي الحسين الازاريفي ، وكان فقيها جيدا وزاهدا متقشفا يشارط كثيرا في قرية توبيلت برسموكة ويتورع عن الخوض في النوازل الا بالاصلاح توفي عام 1345 ه هنا

سيوجد ان شاء الله في (المعسول) طائفة من تلاميذ سيدي الحسين المذكور في ترجمته ، والبودهنيون بيت علم .

ومن الفوائد التي وقفت عليها هناك في مقيد مـا ياتي ؛ سؤال لسيـدي علي بن محمد الافراني فيما يتعلق بقراءة القرآن على غير ما روي به ؛

ايا جلة القراء ياكـل عـالم ... ومن لم يخف في الله لومة لائم
اجيبوا جهارا عن سـؤالي إنه ... تكاد تدك منه كل الاقـالم
تلاوة قوم للقـرآن الذي بـه ... يصون دين العرش من كل غاشم
بلا علم احكام الاداء وشرطه ... وتحقيق ما قد قيل فيه بلازم[1]
من المد والتغليظ والفخم والذي ... يقابلها من كل وصف ملائم
فهل جاز ان يتلوه تال بدونهـا ... ومن يستمع هل صار في حكم آثم
وهل جاز اخذ من طريق خلا بها ... بلا صحة التجريح عزو لعالم
وهل جاز تخليط الرواية جهرة ... وما حكم من صلى بها غير نادم
وما حكم من ينهى عن اللحن ثم لا ... يؤوب عن الاصرار عمدا بما عمي
وهل يلتجأ للكفر في حال عمده ... لتبديله القـرآن تبا لظـالم
فقد عمت البلوى بذاك وكونه ... لديهم من الطاعات افظع ماثم
اجيبوا بنص يرفع اللبس انما الـــــتباس كتاب الله احدى العظائم
وصلى الله الحق في كـل لحظـة ... على احمد المبعوث من آل هاشم
وسلم ما الورقاء تشدو بأيكة ... عليه مع الال الـكرام الصرائـم

فأجابه الاستاذ سيدي محمد بن يوسف ـ لعله التملي المراكشي ـ من القراء او هو الترغي المشهور ؛

اقول وحمـد الله جل جـلاله ... وشكرا له على عميـم النعـائم
وأعظمها فضلا تـلاوة ذكـره ... على ما روى الاخير عن متقادم
اتاني من إخوتي سؤال مدقق ... على أنني والله لست بعالم

---

1) كـذا

ولكنني اجيب عنه وفضلهم — سيسمح لي وذاك شأن المكارم[1]
وقار بلا أدا على نهج من مضى — فذاك لعمري من عظيم المآثم
بقصره ممدودا كذلك عكسه — وتركه ترقيقا وتفخيم فاخم
بغيره عما أتى عن رسولنا — كذلك ترك ما روى كل راسم
اذا كان عمدا فاحكمن بكفره — على ما حكى عياض شافي السقائم
كنقص وزيد في تلاوة ذكره — وليس يجوز دون ما في المعالم
وسامعه ان كان يعلم امرها — ولم ينهه عن ذاك في حكم آثم
وقد سمعت عميرة[2] لفظ قاريء — على غير شرطه وترك الملازم
فقالت فما قرا وما هو ساكت — تشير لنهيه لفعل الهذارم
وخلط رواية لمن هو جاهل — فليس يجوز والجواز لعالم
ولكن بقصده لذاك وحكم من — يصلي به على خلاف الاعالم
وليس يباح في المقاريء كلها — بغير الذي رواه ضربة لازم
لنص امامنا عليه فيا له — اماما وأسوة لكل المكارم
وليس لجاهل لاحكام ذكره — يدرر صبية وحذقة خاتم
ازيدكم ذا الفرع مني تبرعا — لما عمت البلوى بكل الاقالم
وصلى اله العرش ما دام فضله — على المصطفى المبعوث من آل هاشم
وآله والصحب الكرام وتابعي — هداة الورى طرا وأهل التراحم

ومن المقيدات هناك ايضا ما نصه :

(نسأل الله تعالى السلامة والعافية ، من هذا الزمان وجميع ما ياتي منه ، فقد رأينا فيه عجائب من كثرة المطر في هذا العام الذي نزل فيه القائد عبد الصادق مع الشريف سيدي الحبيب في تزنيت في شهر رمضان عام 1217 ه وجعل الله عليهم وعلى جميع هذه البوادي المطر الكثير حتى نظن ان الدنيا تغرق بالماء وكثر الهدم وسمى الناس هذا العام بأبي خربان - اي صاحب

1) كذا ولعله الاكارم
2) كذا

التخريب ـ فكل شعبة تستحيل واديا ، وكل واد يعود بحرا بالماء وذلك كله عجائب وغرائب ، فنحن نقصر الكلام في الذي جرى فيه ، وبعد هذا كله[1] قدر الله على بلاد ولتيتة الفتن العجيبة بكثرة اهوال القواد ، وهم عبد المالك الحاحي ، ومحمد اغناج ، فقد نزلا على وادى الغاس بأقوام كثير كالجراد المنتشر ، وقابلهم المرابط سيدى هاشم ابن علي الايليغي ، نجل سيدى احمد ابن موسى مع بني سملالة وبني رسموكة وبعض بني بعقيلة وهم آيت عمرو وشيوخهم اولاد باكاس ، وأما بنو زلالة وأبلاغ فهم عند كلام القواد وبنو مجاط مع سيدى هاشم وهم وقومه كلهم نحو 3000 فارس وألفان من الرجل وبقوا على وادى الغاس نحو عشرة ايام ، وجعل الله فيهم الخلاف، فتشتتوا من عند أنفسهم فرحل بنو المعدر ففسدت اموالهم وكثير من زرعهم لا يعد ذلك ولا يحصى[2] وكذلك بنو رسموكة تحت وارزميمن وكذلك آل سيدى احمد بن موسى فى تازاروالت ووجان ، فهربوا كلهم وطلعوا الى الجبال وطلع بعض آل المعدر وبعض اهل تحت الجبل برسموكة الى جبل وارزميمن فحصرهم هناك القائدان احدهما في القبلة والاخر فى الغرب ، يضربانهم بالانفاض ما شاء الله فأغاثهم الله بالمرابط سيدى محمد بن احمد الشبي، فأخرجهم منه بإذن القائدين ، فطلعوا الى الجبل عند بنى ولتيتة .

نعم [3] في يوم الاربعاء الاول من جمادى الثانية عام 1225 ه نزل اغناج وفي يوم الخميس نزل في (بورجيلات) الى يوم السبت ونزل مع القائد عبد الملك في المعدر واشتغلا فيه بافساد الزرع وغيره ثم نزل اغناج يوم الثلاثاء في تمسلت بوجان وخرب دار الشيخ عمرو من بني علي بن بلا ثم رجع

---

1) يظهر ان ما هنا الى ما ياتي مكتوب عام 1225 ه

2) هذا بنفسه هو ما تكرر سنة 1314 ه بين سيدي محمد بن الحسين بن هاشم الايليغي ومعه السملاليون وبعض اهل ولتيتة واهل المعدر ثم انهزموا امام الجيش الحكومي الذي يقوده الكيلولي فذهب المعدر وما فيه .

3) انما اعاد ما تقدم بتفصيل

الى المعذر ايضا ، ثم نزل في ايليغ يوم السبت فهدم دار سيدى هاشم بن علي فارتحل فنزل في الاحد ببئى جرارة ورحل جميع اليهود الى تارودانت وبقى فيه الى يوم السبت فنزل تحت الجبل وحاصر هو والقائد عبد الملك حصن وارزميمن كما تقدم حتى نال منهم العطش فاخرجهم المرابط المذكور ثم بقى هناك في الفحص والمعدر نحو عشرة ايام ثم نزل في الاحد ببنى جرارة ايضا ثم طلع الى ايليغ وبقوا فيه سبعة ايام ثم طلعوا فى افود ونزلوا فى تيزلمى

هكذا حتى نزل اغناج فى ايلالن ثم الى اساضس ثم تارودانت انتهى ما وجد على ما فيه من تشويش اوقات الحوادث وايا كان فقد عرفنا بهذا المقيد بعض ما كنا نجهله واغناج الحاحى هذا كان خليفة للقائد عبد المالك الحاحي الشهير والد الحاج عبلا خاض فى سوس وبقى في ايلالن الى طاطة الى ما بعد عام 1232 ه كما رأيته فى تاريخ تبرئة منه لبعض علماء فى ايلالن كانت تحت يده نسخة من البخارى ، وتعد مما ورثه بيت المال واسم اغناج محمد بن يحيا ، وهناك فى طاطة قصبة بناها اذ ذاك وقد امتد عهده فى سوس الى ما بعد عام 1236ه كما رأيته فى أثر ءاخر ولا يزال طنين حوادثه الى الان وقد بات اذ ذاك عندنا بالغ فمانه الناس

— — —

تلك فوائد آيت حامد الجليلة وتلك خزائنها العلمية فلنسطر هنا للتاريخ شكرنا الكثير الفياض المنبعث من اعماق القلوب لهؤلاء العلماء الذين فتحوا لنا خزائنهم ومدوا لنا كل ما نتطلبه منهم من غير منة ولا ادعاء افضال خصوصا الاستاذ الجليل يعسوب ازاريف سيدى الحسن (1) حفظه الله

ثم ان مما يلفت النظر من قبيلة "ايت حامد كثرة اعتنا" علمائهم من قديم بالادب فلولا لعب الضياع بآثار كل الادباء الحامديين لامكن ان تتخذ من ءادابهم صفحة مذهبة يزداد بها سوس مجدا الى مجده السامي، وقد مرت في الحامديين اسر علمية ادبية الا ان الاسرةالتيلكا تيةالعالمة الادبية اسمى اسرة يطن باخبارها

1) توفى هذا السيد منذ سنين ويذكر ان شاء الله مع اهله في المعسول

التاريخ ، وان كان جل اخبارها قد ضاع الان وتليها الاسرة الازاريفية الشبيهة الشهيرة بالصلاح اولا ثم بالعلم ثانيا ثم ببعض ادب ثالثا فأما الاولى فقد انقرض فيها العلم اليوم ، وأما الثانية فلا تزال متسلسلة ، ونطلب الله ان يبارك فيها واخبار هذه الازاريفية لا يزال غالبها محفوظا وتسطر ان شاء الله فى (المعسول)

الاسرة التيلكاتية

واما الاسرة التيلكاتية الادبية الماجدة فلنسطر هنا فى هذه الرحلة ما سقط الينا من اخبارها ، ولعل ما نجمعه هنا عنها ، هو كل ما يعرفه التاريخ والبحث عنها .

كان لهذه الاسرة الرئيسة العالمة صولة وأبهة وشأن سواء فى الدولة السعدية ، وفى عهد امراء تازاروالت وفى الدولة العلوية المجيدة ، فلم تزل زينة جزولة وقطب الديانة فيها ونقطة المعارف والادب والكرم والرياسة حتى اخنى عليها الدهر اخيرا ، فأول ما انقطع فيها هو الرياسة يوم دب خلاف كبير بين كبراء منها ، فجرها ذلك الى هاوية سحيقة ، ثم عدا على فروعها عادي الدهر ، فكادت تنقرض بالكلية ، فلم يبق فيها الان فى مساكنها الاصلية احد وانما يسكن من افلت من عوادي الزمان فى تانكيست ، وفى قرية اخرى ازاءها، ولا يتجاوز الجميع ديارا قليلة ولله الامر من قبل ومن بعد .

اما نسب الاسرة فهو هكذا على ما وجد بخط العلامة سيدي سعيد بن عبد الرحمن بن الحسن التلكاتى فقد قال (هذه نسبة بنى منصور الساكنين بوادي ايسى من سوس الاقصى، منقولة من الكتاب المشهور المسمى بمجالس الصدور تأليف أبى الفرج عبد الرحمن وهى هذه :

عبد الرحمن بن محمد بن على بن محمد بن سليمان بن الحسن بن على بن ابراهيم بن محمد بن مسكور بن المان بن تليل بن ببكر بن عبد الله ابن القاسم بن محمد بن يعقوب بن عيسى بن منصور بن ابراهيم ابن موسى ابن الحسن بن حسان بن موسى بن حامد بن سعيد بن مختار بن محمد بن

معقل بن عقيل بن محمد بن علي ابن الحبيب عبد الله ابن جعفر بن ابي طالب بن عبد المطلب وكتبه عبد الله تعالى احمد بن يبورك والله اعلم وعليه التكلان ، انتهى الرسم المنتسخ منه هذا وقوبل به فماثله ، شهد بالمقابلة والمماثلة من الحق لفظ الحسن وحسان وموسى بين بعض سطوره في شعبان عام 1093 هـ سعيد بن عبد الرحمن بن الحسن التيلكاتي وفقه الله آمين .

وقد وقفت في كتاب تحلية الطروس لصاحبنا الاديب سيدي علي ابن الحبيب الجراري على رسم منقول من مخطوط قديم بخط سيدي بلعيد ابن علي بن محمد بن مبارك بن احمد بن اعلى ايسى مؤرخ بأول جمادى الاخيرة عام 1137 هـ وقد عطف عليه فيه سيد محمد بن احمد بن صالح بن على من هناك ايضا فتضمن انساب بني منصور فذكر ان لمنصور من الاولاد خمسة (1) محمد فتحا (2) علي (3) يعزى (4) مرزوق (5) عيسى فذكر ان التيلكانيين هم من اولاد على بن منصور وان اولاد عيسى في ايسي وان اولاد علي في اولاد جرار وكذلك اولاد محمد واولاد مرزوق ، وان اولاد يعزى في تاماتالت فيظهر على هذا ان المحرر اعلاه انما هو سلسلة اولاد عيسى بن منصور الايسيين ابناء اعمام التيلكاتيين لا نسب التيلكانيين انفسهم لانهم انما يتصلون بهم في منصور ابن ابراهيم ولكن يعكر على هذا اننا نجد اختلافا في الرجال وعددهم فيما فوق منصور بن ابراهيم ، فقد وجدنا هناك ما نصه منصور بن ابراهيم بن مومن بن الحسن بن حسان بن موسى بن احمد بن سعيد بن على بن عبد الواحد بن يحيا بن خالد بن جرمون بن جرار بن عرفة بن فارس بن حسين بن منصور ابن محمد بن معقل بن عقيل بن محمد بن على بن عبد الله بن جعفر بن ابى طالب فقد رأيت اختلاف الرجال ، ولعل ذلك وقع بالتحريف فتصحف موسى بمومن ، واحمد بحامد ، وربما يدعى مثل ذلك في كلمتي مختار ومنصور كما وقع هناك سقوط رجال بعد سعيد كما ترى وهم تسعة وكيفما كان الحال فيمكن ان يجبر كل ذلك بان نحكم بان تلك الاسماء يحرف بعضها الى بعض وبان تلك الاسماء التي سقطت يجب الحاقها والحافظ حجة على من لم يحفظ

ومن زاد زيادة فإنها تقبل حين لا مانع من قبولها ، فإننا إن فعلنا ذلك سنجد بيننا نسبا ان لم يكن صحيحا فانه يقرب الى الصحة وأيا كان فلم نجد من سلسلة النسب ما نصل به بين من نعرفهم من رجالات تيلكات ، وبين تلك السلسلة ، الا انهم من بني هذا النسب بلا ريب ، كما تراهم جازمين به ويكفي الظن في مثل هذه الامور ، فلنتتبع رجالات الاسرة بحسب ما عندنا .

1 ـ علي بن محمد بن عبد العزيز

هذا اول رجل عرفناه في هذه الاسرة الكريمة ، وهو من اهل القرن التاسع تخرج بالعلامة ابراهيم بن هلال الاديب السجلماسي صاحب النوازل المشهورة ، وعلي بن محمد عالم اديب له يد طولى في علوم العربية والادب العالي وقد كان يدرس فاخذ عنه اولاده الاتون كما يذكر ذلك في تراجمهم وكان في آخر عمره بـ (أقة) ازاء (تامانارت) وهناك توفى وربما كان ايضا درس هناك فيأخذ عنه اهل تلك الجهة ، ونحزر ان الشيخ سيدى محمد بن ابراهيم التامانارتي اخذ عنه هناك ولزمه واستقى منه المشرب السني الذي رأيناه يولع به دائما ، فقد كان يقول ما معناه اننا وجدنا بني عبد العزيز والكراميين على كذا في معرض الاشادة بالسنة ونبذ المحدثات من البدع وقد وقعنا لهذا الاديب على رسالة عالية النفس ، كتبها الى استاذه ابن هلال عام 898 هـ تدل على تضلع في الادب ورقة في التعبير ، وتمكن في حسن التحبير ويجدها القارئ في المترعات ولم نظفر لهذا العلامة بترجمة تليق بمكانته التى نتراءاها من اثناء رسالته ، ومما اشاد عليه به سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتي من انه عالم كبير من العلماء الذين يقتدى بهم ، فكل من ذكروه انما ذكروه بتراجم قصيرة اقتفاء للرسموكي الذي قال في (وفياته)

الفقيه الافضل سيدي علي بن محمد بن عبد العزيز الحامدي والد الاديب سيدي سعيد المشهور ، اخذ عن ابن هلال وتوفى رحمه الله باقة وقال الحضيكي في (طبقاته)

على بن محمد بن عبد العزيز الحامدي ثم الايسي الفقيه الفاضل الصالح

الناصح الورع الزاهد العابد .... اخذ عن الجلة الاعلام ، كابن هلال وطبقته

وقال مثل ذلك الكرامي في (بشارة الزائرين) ولم يـزد شيئـا وهكذا انطوت ترجمة طنانة لهذا الاديب في عالم الضياع حتى وقت وفـاته فانهـم لم ينبهوا عليه وقد عرفنا انه هو واباه لا يزالان حيين عام 898 هـ كما صرح به في تلك الرسالة . ويظهر ان علماء آخرين من اهله مروا قبله او معه بدليل ما يعبر به سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ من قوله ابناء عبد العزيز وذلك في الحكاية التي ساقها ابن عبد الواسع البعقيلي في ترجمة سيدي محمد بن ابراهيم الشيخ في كتابه المشهور بمناقب البعقيلي وقول الحضيكي المتقدم على بن محمد ابن عبد العزيز الحامدي ثم الايسي الخ يظهرا من كـلامه ان اصل الاسرة من بني حامد . ثم من هناك الى ايسى ، مع ان الواقـع هو العكس ، فـان ايسـي اصلها ؛ ثم انتقلت الى حجر عيسى بكسر السين فوق تيلكات ، نبهنا على ذلك لئلا يغتر به بعض الناس فيقع فى الغلط .

ثم وقفت بعد كتبي عن علي بن محمد ما تقدم على انه هو وعبـد السميح المصمودى جد التاغاتيين وعمرو السملالي جد ءال عمرو من تاكانت اوكضبض كانوا ممن اخذوا عن ابن غازى ، فعرفنا انه كما استقى معارفه من سجلماسة استقاها ايضا من فاس .

2 ـ سعيد بـن علي

احد اولاد الاستاذ المتقدم، وقد ترجمه ابو زيد التامانارتى في (فوائده) فقال الفقيه الاديب الشاعرالمفلق البليغ ابو عثمان سعيد بن علي بن محمد سهم القريض المغرب،وأمام الادب العريض بالمغرب،مرتسم في زمام ائمة البلاغة متسم بتمام الابداع وحسن الصياغة، شعره نافح اقصى المغرب ادناه ، وبسحر بيانه كافح جيش المحاورة فعاد ملك يمناه،والادب له عبد يجيب متى دعاه، وسهم يصيب الغرض متى رماه، ودوحة اللسان بقطره بتلقيحه اثمرت، وروضةالبيان بتنقيحه امرعت وأعطرت، وقصائد شعره التي سحرت الالباب، وفاضت فيضان العباب، تشهد له. توفي قبل

الثمانين وتسعمائة بمراكش ودفن بها، انتهى كلامه الذي اقتبس فيه من بعض شذرات (قلائد العقيان) .

وذكر في (طبقات) الحضيكي ان مشايخه هم الذين اخذ عنهم ابوه المتقدم عن ابن هلال كما أخذ أيضا عن عبد الوهاب بن محمد الزقاق ، وعلي بن موسى بن هارون وابن غازي وأن من بين الاخذين عنه أحمد بن سعيد الجزولي نزيل مراكش اجاز له ما في فهرست ابن غازي ، وممن أخذ عنهم ايضا ـ كما يظهر من كلام ابي زيد التامانارتي، سعيد بن عبد الله بن يدير من شيوخ ابي زيد التامانارتي .

كذلك ذكروه وقد وصفوه بالادب العالي الا انهم لم يذكروا له ولو قصيدة واحدة وقد قال فيه الرسموكي ، الاديب البارع المفلق ، صاحب القصائد الفريدة العديدة شاعر عصره ونحويه ولغويه دفن بمراكش ورد اليها لحاجة فمات بها، ولم يزد الكرامي على هذا ، وكلهم لم يذكروا وقت وفاته بالتعيين ، وقد وقفت انا على ذلك في الخزانة الازاريفية ، ونص ما وجدته :

ولسيدي سعيد بن علي بن محمد بن عبد العزيز الحامدي الاديب المشهور في المدرسة التي اخترعها السلطان مولاي عبد الله الشريف بحضرة مراكش متصلة بجامع علي بن يوسف ، منشدا عنها بلسان حالها :

ان كنت مأوى لاهل العلم والادب	ان الخليفة عبد الله بوأني
خليفة الله وابن خيرة العرب	نجل الامام الرضى المشهور محتده
وبعد تسع مئين عد من حقب	وفي الثلاثة والسبعين زائدة

انشدها في ابتدا' مرضه الذي توفي فيه بحضرة مراكش ، وهي آخر ما قيد عنه رحمه الله ، وذلك اواخر صفر من عام ثلاثة وسبعين وتسعمائة، وتوفي ليلة الاحد الرابع من شهر ربيع النبوي من العام المذكور ، رحمه الله وبرد ضريحه .

وقوله ان عبد الله الشريف السعدي المعروف بالغالب بالله هو المخترع لمدرسة جامع بن يوسف غلط ، لان المدرسة من اختراع ابي الحسن المريني

ومن بنائه ، بل هو نفسه ايضا انما اتمها لانها مؤسسة قبله كما هو ذائع معلوم ، وإنما جددها الغالب بالله ورممها ولا يزال عليها اسمه الى الان لكنها جددها تجديدا عجيبا ، فقد أبدأ وأعاد في ذلك ، ولا تـزال من اجله في حلة اخـاذة براقة ، وكـل ما في الصحن وما في القبة من بنائه كما يوجد كل ذلك مكتوبا على سواري القبة فالمدرسة اثر من آثار السعديين تخريما وتنميقا .

وأما شعره فلم نعلم له ديوانا جامعا الى الان ، وإنما ظفرنا له بقصائد في ورقات بخط قديم كما ظفرنا بعد ذلك بأخرى في مجموعة طالب من المدررين كما وجدت ايضا مجموعة منها في خزانة اخينا العلامة الاديب المؤرخ المنـوني المكناسي ، وهذه مطالع القصائد التي وجدناها :

اذا ما عرضن المعرضين بفاغم   كحلن عيون الناظرين بفاحـم

وسيرى القاريء القصيدة مصححة من شرح للشاعر نفسه في (المترعات):

ومطلع الثانية :

ارقت لبرق لاح لي في المغارب   وذكرى خليل نازح الجنب عازب

ومطلع الثالثة :

اتروي الاماني والاماني سراب   وتغني المغانى والمغاني خـراب

وقد وقفنا من القصيدة على نسختين اخريين قديمتين :

ومطلع الرابعة :

طويل سرى يجرى لقاءك طائل   ونيل نوى تهدي نوالك نائـل

ومطلع الخامسة :

اذا سمحت سحب السماء بوابل   فجفني السخي اليوم منها بهاطل

ومطلع السادسة :

تقطعت الاحباب عنا ولا نرى   لهم نبأ ياتى ولا أحد الرسل

ومطلع السابعة :

المـا على مغنى عفتـه الزعازع   من الريح فهو اليوم قفر بـلاقـع

مطلع الثامنة :

يا حسن من غيبت يا موت حسنه ويا طيب من ارمست ياكف رامس

مطلع التاسعة :

فقل للامام وفخر الانـــــا م سليل الرسول وعيص الكرام

هذه هي القصائد التي وقفنا عليها في تلك الاضبارة القديمة

مطلع العاشرة :

اسمت سوام هـواك اغترارا وفي كل لهـو خلعت العذارا

وهي التي وقفنا عليها في كناشة مدرر بعقيلي ، وهناك قصيدة اخرى في الحادية عشرة مطلعها :

ناوه من عض الزمان فؤادي واسحت من بعد النماء تلادي

اوقفنا عليها الشيخ المؤرخ سيدي محمد بن علي السلاوي ولا ريب ان شعره اكثر من هذا وربما نقف عليه بعد ان شاء الله وجميع هـذه القصائد توجد في (المترعات) وقد كانت السلطانيات منها في احمد الاعرج ، ومحمد الشيخ ، وعبد الله الغالب بالله ، وقد وقفنا على ما يدل ان اديبنـا كان كاتبـا حينا عند احمد الاعرج في منبثق دولة السعديين. وقد تسلسل العلم في اولاد الاديب كما سياتي كما ان اوصافا مجيدة كان يوصف في ظهائرها الاتية بها .

2 ـ عبد الرحمن بن علي

هو اخو سعيد الاديب ، شيخ كبير القدر من العلماء المسنين ومن شيوخ التربية المهذبين وقد اشتهر بين مشايخ الصوفية في ذلك العصر فيذكر مع سيدي احمد بن موسى ، وسيدي محمد بن ابراهيم الشيخ التامانارتي ، وسيدى محمد بن ويساعدن السكتانى وسيدي عياد التامازتى المنابهى وسيدى سعيد ابن المنعم الحاحى ، وسيدى ابراهيم بن علي التنانى وسيدى احمد بن عبد الرحمن التيزركينى وسيدى محمد بن يعقوب التانلتي ، واضرابهم من المشايخ السوسيين في ذلك العصر الذى كان عصر الصوفية الذهبى فى سوس بل فى المغرب كله ، بل فى العالم الاسلامى اجمع وقد ترجم فى (اوراق البعقيلى)

وفى (وفيات الرسموكى) وفى (بشارة الزائرين) وفى (طبقات الحضيكى) وفى (الفوائد الجمة) فضلا عن غير السوسيين واول من اجرى ذكره من هؤلاء قيدوم المؤرخين السوسيين محمد بن احمد بن عبد الواسع البعقيلى ، وهو من اصحابه وقد حلاه بشيخنا ، وقال فيه :

الفقيه العالم المتبرك به حيا وميتا شيخنا سيدى عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن عبد العزيز من حجر بنى عيسى ازرو نعيسى بجبل بنى حامد وكان من العلماء العاملين بما علمهم الله، له قدم راسخة فى طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم حتى توفاه الله على ذلك ومناقبه مشهورة .

منها ما ذكر لى من يوثق بقوله من بعض اخواننا فى الله ان السيد الناصح لعباد الله تعالى سيدى بلقاسم بن الغازى من النسب [1] رحمه الله قدم على الشيخ الكامل سيدى احمد بن موسى بزيارته[2]طالبا لزيارته فلما جمعهما المجلس قال له الشيخ ما حاجتك يا سيدى بلقاسم ، فقال زيارتك ياسيدى احمد بن موسى فقال له ان الزيارة التى تطلبها تركتها فى بلدتك ، فقال له من اين كانت فيه ياسيدى ؟ ؟ فقال له الشيخ هات يدك المباركة فناوله سيدى بلقاسم يده اليمنى فقبضها سيدى احمد بن موسى وجعل يعدد اصابعه ويقول عند كل اصبع سيدى عبد الرحمن بن علي السيد ونعم السيد حتى اتى على اصابع يده اليمنى ، فانتقل يعدد اصابع يده اليسرى ويقول سيدى عبد الرحمن بن علي السيد ونعم السيد فملأ قلب سيدى بلقاسم بالفرح وقال له متى اردت الزيارة فابدأها من ذلك السيد ؟

وذكر لى شيخنا الاستاذالمحقق المتفنن سيدي محمد بن يوسف الترغى مشافهة انه كان يتمنى ان يرى وليا من اولياء الله فى قيد الحياة بسيماه ونعته ، قال فطال علي الزمان ولم اظفر به في مدينة مراكش ولا في غيرها حتى قدر الله

---

1) من هنا نوقن ان التلكاتيين والازاريفيين اخوان في النسب وان كان الاخلاف لايقولون بذلك .

2) يقصدون بالزيارة : الهدية

رحلتي[1] الى زيارة سيدي عبد الرحمن بن علي في بلد جزولة، فلما من الله تعالى بوصولنا اليه انزلنا خدامه في منزل الاضياف ، فلما حان وقت العشاء اتوا بطعام الشعير في مائدة كسكسو وعليها حمام مطبوخ وجعلوا يصبون الماء على أيدينا للاكل ، فبقيت افكر في نفسي هل آكل طعام الشعير او لا ؟ لاني ما اكلته في عمري لا في مدينة فاس ولا في غيرها ، وإن من اكله من اهل مدينة فاس قل ان يسلم من الموت ، ثم قلت في نفسي مقصودك زيارة هذا الرجل ، فإن قدر الله عليك الموت هاهنا فمرحبا ، فجعلت آكل مع الاضياف حتى فرغوا ، فأعد لنا الخدام فراشا للرقاد فاضطجعت على جنبي الايمن الى جهة القبلة كي اموت على تلك الحالة ، لاني تيقنت ان طعام الشعير لايتركني حيا الى الصباح قال فغلبتني عيناي بالنوم ساعة ، ثم استيقظت فمسحت على بطني هل انتفخت او لا ؟ فوجدتها على حالها ، فرجوت الحياة والسلامة من الموت ، ثم بعد ساعة طويلة غلبتني عيناي بالنوم ايضا الى قرب شطر الليل ، فاستيقظت فوجدت بطني على حالها لم يتحرك فيها شيء يضرني من النفخ ولا من غيره فاستبشرت وحمدت الله على العافية وظهرت لي بركة الشيخ عند ذلك . فلما اصبح الصباح بخير ذهبنا الى المسجد[2] وصلينا ثم رجعنا فانتظرنا دخول الشيخ علينا ، فلما دخل علينا ظهرت لي انوار وجهه بالبشر والضحك العجيب وجعلنا نمعن النظر في وجهه دائما حتى فرغنا من الاخبار التي مست الحاجة اليها وودعنا قائلا (الحمد لله على سلامتكم من اكل ما يؤذيكم) فشكرت الله تعالى على ملاقاتي لهذا الولي الذي كنت اتمنى في جميع عمري رؤيته في قيد حياتي وأخذنا عنه ما شاء الله ، وقال لي شيخنا المذكور اترون ذلك الرونق الذي يلمع على ديار الشيخ اذا اشرفتم عليها ام لا ؟ فقلت له فينا من

1) هذه هي الرحلة التي كلفه بها الملك عبد الله الغالب بالله لينظر له شيخا ينيب على يده فاذ ذاك دله على سيدي احمد بن موسى .

2) هكذا كانت عادة السوسيين من قديم حين يذهبون باضيافهم لحضور صلاة الجماعة في المسجد في جميع الاوقات حتى الصبح فاين نحن اليوم من اولئك

يراه وفينا من لا يراه ، فقال لي كلما تمدت عنده نرى ذلك النور في الليل اذا اقبلنا من المسجد وطلعنا على تلك الربوة التي اشرفت على دار الشيخ . لله الحمد وله الشكر دائما ، وبالجملة فمناقبه لا يحصيها الا الله تعالى ، وذكرنا منها ما تقدم تبركا بذكره نفعنا الله به .

اقول ان قول البعقيلي ان سيدي بلقاسم بن الغازي من النسب التيلكاتي يتأمل فيه ، فإن الازاريفيين من السملاليين كما تجد ذلك في تراجمهم في (المعسول) ان شاء الله وعندهم مشجر نسب بذلك .

ومما ذكر به أبو زيد التامانارتي في فوائده عبدالرحمن بن علي الفقيه الصالح الزاهد . . . . . كتابه في الفقه شامل العلامة بهرام، وكان متورعا لايدع من ياتيه من الخصوم وغيرهم يخدمه بل يتولى مؤونة نفسه ومركبه ، وقد أضاف الاستاذ الكبير أبا عبد الله محمد بن يوسف الترغي ممره لزيارة الولي ابي العباس سيدي احمد بن موسى – ثم ذكر قضية الطعام – باختصار . ثم قال ؛ وكان يقول يعني الترغي ذلك على كرسي اقرائه به[1]، ومما بلغ مبلغ التواتر في بلده ، ان رجلا حكم عليه فأراد الفتك به فترصد له في موضع خاليا ، فلما جاءه وقعت عليه الظلمة فمنعته منه فجاء اليه وتاب .

اخذ عن والده ، ووالده اخذ من سجلماسة عن ابراهيم بن هلال ، وهو عن عبد الله القوري ثم ذكر في محل آخر ان من بين الاخذين عن عبد الرحمن بن علي الاستاذ سعيد بن عبد الله بن يدير التملي من اشياخ ابي زيد التامانارتي نفسه ، كما أخذ عنه ايضا الاستاذ محمد بن عبد الله بن عيسى ابن موسى التامانارتي من اشياخ ابي زيد التامانارتي ايضا ويروى عنه حديث الاولية وغيرها . لكنه وان ذكر ان من مشيخته عبد الرحمن بن علي فإنه حين ذكر حديث الاولية ، رواها عنه من سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي الحفيد عن عبد الرحمن بن علي الحامدي عن احمد بن محمد بن محمد ابن عبد الرحمن السلطان المعروف بالاعرج كما روى عبد الرحمن التامانارتي

1) وكانت له شهرته بعد ذلك الحين في مراكش وفاس

ايضا الحديث المسلسل بالضيافة عن محمد بن عبد الله بن عيسى المذكور عن عبد الرحمن بن علي مباشرة عن منصور بن احمد بن ابراهيم بن حزوز كما روى ايضا الحديث المسلسل بالمصافحة والمشابكة بالاصابع عن محمد بن عبد الله التامانارتى عن محمد ابن ابراهيم التامانارتى الحفيد عن عبد الرحمن بن علي عن منصور بن احمد المتقدم ، فعلمنا من كل ذلك ان من بين الآخذين عن عبد الرحمن بن علي ايضا محمد بن ابراهيم التامانارتى الحفيد كما علمنا ان من بين من اخذ عنهم عبد الرحمن بن علي المترجم السلطان احمد الاعرج ، ومنصور بن احمد بن ابراهيم بن حرزوز ، واما وقت وفاته بالتعيين فقد ذكره الرسموكي في (وفياته) وعنه نقل صاحب (البشارة) وغيره فقد توفي يوم السبت السابع عشر من ذي القعدة عام اربع وثمانين وتسعمائة ولعبد الرحمن عقب الى الان يقطن فى قرية (تانكيست) وفى قرية اخرى ازاءها ، وهم الباقون وحدهم دون عقب اخيه سعيد الاديب وقد وصف الحضيكى عبد الرحمن بن على هذا بكونه حافظا فقيها محدثا ذا فنون فى علوم جمة ورعا نزيها ذا قدم راسخة فى علوم القوم ناسكا عابدا، كثير الخير والبركة شهير الكرامة غزير العلم والمعرفة اقول ان مشهده مزارة كبيرة لا يزال يقصد من الزائرين الى الان وعليه مشهد .

4 ـ احمد بن سعيد

هو ابن الاديب المتقدم عالم كبير ذو شهرة قام مقام والده فى رياسة الاسرة بالعلم والوفادة على حضرات الملوك السعيديين ، ورفع القصائد اليهم الا اننا لم نقف له الا على قصيدة واحدة ، وجدناها فى تلك الاوراق التى وجدنا فيها ثلة من قصائد والده ، ومطلعها :

يقول صحبى وقد شطت بنا الرحل

الا تريح مطايا مسها كلل

وقد قالها في السلطان الغالب بالله ، وتوجد في (المترعات) جرى

ذكره في (وفيات) الرسموكي وفي (بشارة) الكرامي وفي (طبقات) الحضيكي ، وقد قال فيه الاخير :

كان رضي الله عنه مشهورا بالعلم والخير والصلاح على سنن اجداده المشهورين بالعلم والدين وقد نص الرسموكي اولا على وقت وفاته فقال : توفي رحمه الله يوم السبت السادس والعشرين من صفر عام سبعة وتسعين وتسعمائة وصلى عليه اربعمائة رجل كذا رأيت تاريخه ولعل ذلك العدد عندهم كثير لقلة الناس في ذلك الوقت على ما علم في حال البوادي انتهى .

اقول يمكن ان يكون العدد انما هو تبيين للواقع فقط هكذا ذكروه ولم يصفوه بالادب كأبيه مع انه أديب كما رأيت (والشبل فى المخبر مثل الاسد) ، ويظهر من شعره ان كان كله على غرار تلك القصيدة، السلاسة وعدم الاعتناء بالجناس كأبيه الذي رأينا له اغراقا فى حب الجناس اللفظى والمعنوي مع الميل الى الجزالة . وقد تؤديه احيانا الى التقعر .

هذا وهناك ظهائر سعدية ذكر فيها مع اخوته ، ظفرنا منها من عند اعقابهم فى تانكست بطائفة نسوقها عند كل فرصة فيما يلى وقد ضاعت ظهائر سعدية قبل ، وربما ضاعت ايضا ظهائر مرينية او وطاسية لانه يتراءى لنا ان بيتهم قديم المجد من قبل اواخر القرن التاسع فأول ما رأيناه من الظهائر السعدية ظهير الذهبى فى شأن احترام المترجم احمد بن سعيد وإخوته ونصه ،

عن امر عبد الله المنصور بالله امير المومنين المتوكل على رب العالمين احمد بن امير المومنين ابى عبد الله محمد الشريف الحسنى ايد الله امره واعز نصره يستمر امر الفقهاء الاجلة الكرام اولاد الفقيه المرحوم بكرم الله سيدي سعيد بن علي بن محمد الفقيه سيدي احمد بن سعيد والصغير سيدي الحسن على مقتضى ما بيدهم من ظهائر اسلافنا وظهائرنا وعلى ما عهد لهم واستمرت به العادة وصرف اعشار مزروعاتهم لمساكين بلدتهم وفقرائها بحيث لاتخرق لهم عادة من عوائدهم ولا تغير لهم حالة من احوالهم في قليل الاشياء وغيرها والواقف عليه من خدامنا المتولين امر البلاد السوسية يحترم جانبهم

ويوقر مقامهم ويعاملهم في كافة امورهم وعامة شؤونهم بحسب مزيتهم ومكانتهم ويندرج في حكم ما ذكر زكاة مواشيهم واعشار زرعهم في الغرب[1] وسوس وغيرهما كما تضمن ذلك ما بيدهم من ظهائر الاسلاف رحمهم الله . ولا يعدل بهم عن مضمنه ولابد، وكتب في اوائل المحرم فاتح عام سبعة وثمانين وتسعمائة وفوقه الطابع الذهبي الكبير المشهور بكونه بيضي الشكل .

ونص ظهير آخر صدر عن ولي العهد محمد الشيخ المامون :

من عبد الله تعالى ولي عهد الخلافة الهاشمية ابي عبد الله محمد المامون ابن مولانا الامام الخليفة امير المومنين ابي العباس المنصور ابن مولانا الامام الخليفة امير المومنين ، وناصر الدين ابي عبد الله محمد الشيخ المهدي ابن مولانا الامام الخليفة امير المومنين محمد ابن مولانا محمد الشريف الحسني ايد الله امره وأعز بتأييده نصره الى وصيفنا الانجد الارضى المرضي الملحوظ بالعناية القائد حمو[2] بن بركة حفظه الله سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

اما بعد فموجبه اليكم اننا نوصيكم اتم الايصاء وأجمله بجانب الفقهاء المرضيين الملحوظين بني عبد العزيز الفقيه القاضي السيد احمد بن سعيد وأخيه السيد الحسن ، وكافة اخوانهم وبني عمهم اخوة خديمنا المرضي الاقرب القائد محمد بن موسى بن ابي بكر ، ونحضكم على معاملتهم بكريم الاعتناء وان تمهد لهم من جميل الرعي والتكريم ما استوجبته اصالتهم الدينية التي اتصفوا بها حديثا وقديما مع ما ثبت لهم من حميد المحافظة على خدمة هذه الايالة النبوية والتشيع لعلى جنابها والتحلي بخالص الاختصاص والاصطفاء لهما فقابلهم بمقتضى ما تقرر لهم من ذلك ولا تسمح لمن يمد اليهم يدا تخرق ما اضفي عليهم من لدن هذه الدولة السعيدة الى الان او يتطرق اليهم بضيم او اهتضام في سائر احوالهم وكافة امورهم ، وكذلك من لاذ بهم من تعلقاتهم تحترمهم وتعاملهم بما عهد من توقيرهم، واجرهم على ما اقتضاه العرف لهم وألفوه

1) من هنا نعلم مقدار ثروتهم واتساع املاكهم حتى في خارج سوس .

2) يعلم من هنا اسم احد القواد الكبار على كل سوس في زمن احمد الذهبي .

من عهد اسلافنا الكرام وما عاملناهم به مـن اضفـاء حلل المبرة والاكرام ، ولا تترك من يخرق عليهم شيئا ما من عوائدهم المعتادة لهم في عامة امورهم كلها وليكونوا منك ببال في جميع ما يعرض لهم عندكم من سـائر الاغـراض التى يتأكد عليهم قضاؤها ، لافيما يرجع لامورهم ولا فيما يرجع لمن تعلق بهم من اهاليهم وخدامهم واعرف لهم قدر ما لهم من الخصوصية على غيرهـم وراعهم المراعاة التامةالتى تدير لها وجه اهتمامك والله يسددكم ويرعاكم والسلام وكتب به في اواخر جمادى الاخيرة عام خمسة وتسعين وتسعمائة وفوقه خطـه بيـده بشكـل لا يقرأ .

وبعد فقد رأيت الان مكان احمد بن سعيد ، فهو قاض ولا ريب انه قاض رسمى كما انه كبير اسرته ، وقد ذكر هذا القائد محمد بن موسى بن ابى بكر من الاسرة فعلمنا ان الريـاسة ابتدأت في هذه الاسـرة من عهـد السعديين ، وقد ذاع هذا عند اعقابهم الى الان .

ويقولون ان من آثار قيادتهم اذ ذاك سلسلة نطفيات للماء ازاء الطريق الاتية من تيلكات الى امسكـروض ، ولا يزال المـاشي يمر بهـا من سوق اربعاء آيت حامد الى تلك الناحية الان

5 ـ محمد بـن سعيـد

الابن الثاني لسعيد الاديب ، ذكره الرسموكي في الوفيات بقوله الفقيه ولد الاديب المشهور ، ووالد القاضي سيدي علي بن محمد ولم يزد على ذلك شيئا ، وقد بيض لتاريخ وفاته ، ولم يصح عندنا الان عنه الا انه فقيه كأهله

6 ـ علي بن محمد القاضي

ابن المذكور قبله وهو من علماء الاسرة الكبار ، له فتـاو كثيرة توجد بين فتاوى معاصريه وقد قال فيه تلميذه الرسموكي في وفياته :

الفقيه القاضي سيدي علي بن محمد ابن الاديب المشور سيدي سعيد بن علي ، عاصرته وعاشرته وصاحبته بنحو سنتين آخر عمـره ، وكان ظريفا

ذكيا ذا سمت ووقار توفي رحمه الله بداره بتيلكات عشية الاربعاء الخامس والعشرين من رجب عام ثلاثة واربعين والف وهو اول قاض بايليغ مستبد به .

ولم يزد الحضيكي ولا الكرامي على ما ذكره الرسموكي شيئا ، والرجل كما ترى تبوأ مركزا عظيما حين كان قاضي الجماعة في (إيليغ) عاصمة دولةعلي بودمعية، ولا ريب ان لمكانة اسرته ولتفوقه في العلم بين علماء عصره في التضلع في العلوم وفي التحقيق في الفنون التي يزاولونها وبذلك ندرك من بعيد ماله من الشفوف حتى استحق ان يكون بين اولئك الافذاذ قاضي القضاة واما اين نخرج ، واما اشياخه واما مختلف اخباره فقد طارت في غفلة التاريخ اخبارها

7 ـ محمد بن علي

ابن ذلك القاضي ، وقد وجدناه ايضا موصوفا بالقاضي . وهو حي عام 1092 هـ لا نعرف عنه غير هذا .

8 ـ عبد الرحمن بن محمد

الابن الآخر لمحمد بن سعيد الاديب قال فيه معاصره الرسموكي القارىء الخاشع سيدي عبد الرحمن بن محمد بن سعيد التيلكاتي الحامدي توفي رحمه الله مقتولا ببلده يوم الاحد الرابع والعشرين من ربيع النبوي عام ثلاثة وعشرين والف ووصفه الكرامي في (بشارته) بالشيخ الفقيه الخاشع ولم يذكر سبب قتله كما انهم لم يذكروا اوصافه

9 ـ القائد محمد بن موسى بن ابى بكر

رايت انه من هذه الاسرة ، ويظهر من فحوى ذلك الظهير انه حي اذ ذاك وانه مستخدم في دوائر الحكومة السعدية فهو اول رئيس عرفناه من الاسرة التيلكاتية وكان هذا القائد على الجباية بسوس . وقد جرى ذكره فى ترجمة الشيخ سيدي محمد بن مسعود الهنضيفى في (الفوائد الجمة) فذكر التامانارتي ان ابن مسعود دخل على هذا القائد فى مجلس وهو اذ ذاك يجبى خراج

السلطان من جزولة ، وهو اذ ذاك في قبيلة هنضيفة فقال ابن مسعود اتعرف معنى قوله تعالى وذكر آية من آيات الوعظ في القرءان وعندك تفسيره ؟ فقال له لا ، فقال له لكنه كان عندي انا ، ثم خرج مسرعا فاتى ببطاقة طويلة فالقاها اليه فقرأها ، قال التامانارتي وقدكان حاضرا فرأيت انه نبهه على العدل والرفق بالرعية وذلك الوقت وقت امارة السلطان احمد الذهبي وفي هذا المحل فقط رأيت ذكر هذا القائد لا غير

10 ـ الحسن بن سعيد

الابن الثالث للشاعر سعيد الاديب ، قال فيه الكرامي :

الفقيه الرئيس سيدي الحسن ابن الاديب سيدي سعيد بن علي الحامدي الايسي التيلكاتي توفي رحمه الله بتيلكات ليلة الاربعاء الخامس والعشرين من ربيع النبوي عام ثلاثة وثلاثين وألف ولم يزد غيره على ذلك شيئا وقد رأيت له ذكرا مع اخيه احمد بن سعيد في تلك الظهائر وقد علمنا انه رئيس الى ان مات عام 1033ه وذلكالمهدعهدايليغ فعرفنا ان رياسته قد استمدت منإيليغ فكان الرئيس الثاني من رؤساء تيلكات المعروفين عندنا ، وقد ذاع وشاع ما للرياسة التيلكاتية من امتداد الظل على كل جزولة الى قبيلة ايت وفقا بالغ كما شملت كل هشتوكة ، وقد كان هذا الفقيه الرئيس معتنيا بالعلم وبنساخة الكتب وقد قرأت في خزانة تيلكات المذكورة على ظهر كتاب بخط محمد ابن احمد بن سعيد انه كان ينسخ للحسن بن سعيد أحياننا علي بن يعزى ابن سعيد التيملي من (أزرو واضو) ووجدت بخط من نقل من خط الحسن ما نصه :

ولد ولدي محمد 22 حجة 980 ه وأحمد ليلة 25 جمادى الاولى 1000 ه ومحمد ليلة 25 رمضان 1003 ه وسعيد 8 شوال 1005 ه وعبد الله 24 شعبان 1007 ه وعبد الرحمن ليلة 9 جمادى الاولى 1009 ه وعبد العزيز 4 رمضان 1014 ه وابراهيم ليلة 3 حجة 1012 ه ونقل ذلك من اصله داود بن موسى بن داود السملالي اعلم بذلك عبد الرحمن ابن الحسن بن سعيد اه وذلك بخط رفيع

وقد رأينا من الكتب المنسوخات للرئيس الحسن كثيرا، فعرفنا مقدار اعتنائه بالعلم.

11 ـ سعيد بن الحسن

ابن ذلك الرئيس وقد ولد كما رأيت 8 شوال 1005 هـ رأيت له ذكرا بين رجالات اهله ، وقد اخبرني ثقة انه راى ظهيرا اصدره اليه بودميعة وصفه فيه بأنه صهره ، وقد اقطع له اراضي في احواز تارودانت صارت الى بيت المال ، وذكر لي المذكور ان هذا الظهير يوجد اليوم في يد ابي انمواريث الحسن الاخصاصي بأكادير ، ولعلنا نتصل بـه فنذكره ان شاء الله ولا يزال سعيد حيا 1056 هـ ولا ندري اهو عالم رئيس ام عالم فقط ، ام رئيس فقط .

12 ـ عبد الرحمن بن الحسن

الابن الثاني للرئيس الحسن ولد كما رايت ليلة 9 جمادى الاولى عام 1009 هـ كان عالما رئيسا ، ولا احسبه الا انه هو القائد الكبير بين اهله ، وله تقييدات بيراعه ، منها مقيد ولادات اولاده ونصها :

ولد ولدى محمد الثلاثاء 2 قعدة 1048 هـ وعمر ليلة الاثنين 12 شعبان 1050 هـ واحمد 23 شوال 1052 هـ وسعيد الثلاثاء 20 قعدة 1057 وعبد السلام 10 ربيع الثاني 1058 هـ وعبد العزيز 21 حجة 1059 هـ ويقول في الكل صيره الله عالما عاملا

ووجدت بقلم الفقيه سيدي محمد بن عبد الله بن الحسن الاتي ان وفاة الرئيس عبد الرحمن بن الحسن كانت وقت بنائهم لحصن تيلكات المتقدم الذكر عند ذكرنا لتيلكات ، وذلك اواسط شعبان 1060 هـ وقد قتل في انكارف بأيدي ابناء موسى بن ابى بكر ويقال لهم آيت موسى أوباكو وهم قبيلة مشهورة الى اليوم

13 ـ محمد بن عبد الرحمن

ابن ذلك الرئيس فقيه جليل له شهرة الى الان ويعرف بالسوق وله مؤلف في الطب موجود ، واخر في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وتوسل في نظم رأيته في خزانة تيلكات في ورقتين الفه 1085 هـ وقد ذكر عقبه ان اهل الجريد بتونس اتخذوه وردا لهم ، تركه عندهم في حجته فعرفنا انه ممن

حجوا، وهناك ظهيران في عصره لعله هو الذي توصل باحدهما، وهو رشيدي ونصه

عن الامر العلي الامامي الخليفى العادلي الرشيدي الهاشمى العلوى الفاطمي الحسنى النبوي (ثم الطابع) ايده الله وادامه، ونشر برياح النصر اعلامه وابقى غرة في جبين الدهر ايامه بمنه وكرمه يستقر هذا المسطور الكريم بيد حملته الفقهاء اولاد الفقيه مقرىء زمانه، ومدرس وقته واوانه ابى عثمـان سعيد بن علي يجدد لهم بحول الله حكم ما بايديهم من الظهائر السلطانية المتضمنة تحريرهم وتوقيرهم في سائر احوالهم وكافة شؤونهم بحيث لا يجرى عليهم من الوظائف المخزنية والتكاليف الامامية ما يجرى على غيرهم ولا يطاف بامـلاكهم حيثمـا كانت فى البلاد السوسية وغيرها، ويبقون فى صرف زكاتهم واعشارهم على ايديهم لمستحقيها على السنن الشرعي، بحيث لا سبيل لمن يخرق عليهم عادة او يحدث لديهم نقصا او زيادة، تجديدا مستمرا على الدوام بـاق حكمـه ماض عزمه والواقف عليه من الولاة والعمال والجباة يعمل به ولا يتعدى كريم مذهبه والسلام في غرة ربيع الثاني (...)هناحروف رمز بها لا نفهمها، الا ان السنة التي جاء فيها مولاي الرشيد الى سوس هي سنة 1081 ه والطابع الرشيدى ظاهر بعد السطر الاول، وان كان قلما يقرأ، وقد توفى محمد بن عبد الرحمن السوق بعد 1085ه

14 ـ سعيد بن عبد الله

وقفنا علـى اسمـه في الظهيـر الثـانى، ولـم نـدر نسبـه بين اخـوانه المتقدمين ونصه

حامله المرابط السيد سعيد بن عبد الله التيلكاتى قدمناه على جميع اخوانه وحررنا له المرابطين كافة اهل تيلكات واهل تـاكاديرت في الوظائف المخزنية والتكاليف السلطانية، فلا سبيل لمن يطالبهم بقليـل ولا بكثير ولا بجليل ولا بحقير تحريرا تاما شاملا عاما فحسب الواقف عليه العمل به والسلام وكتب فى مهل جمادى الاولى خمسة وثمانين والف وفوقه طابع اسماعيلى صغير.

وهناك ظهير ءاخر ذكر فيه بالفقيه ونصه

كتابنا هذا اسماه الله تعالى بيد حامله محبنا الفقيه السيد سعيد بن عبد

الله التيلكاني . يتعرف منه اننا انعمنا عليه باهل تدينت ببني حامد وحررنا عابهم [1] باخذ زكواتهم واعشارهم وجميع ملازمهم اعانة منا له على خدمة دارنا العلية . من غير مشارك له فيهم ولا منازع والواقف عليه يعمل بـه ولابد والسلام وفى سابع صفر عام ثمانية وتسعين والف وفوقه طابع اسماعيلى صغير

اقول يظهر من هذا الظهير ان سعيدا هذا كان فى حاشية مولاي اسماعيل من الخدمة الذين يلازمون داره

15 ــ احمد بن عبد الرحمن

هو ابن عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد رأيت ولادته 23 شوال 1052هـ له ذكر بين اهله . ولا نعرف له وصفا ولا متى توفى .

16 ــ سعيد بن عبد الرحمن

الابن الاخر لعبد الرحمن بن الحسن بن سعيد ولد كما تقدم 20 من ذي القعدة 1057 هـ عالم كبير مدرس طائر الشهرة وهو الذي نقلنا عنه نسب الاسرة كما تقدم ، وقد وجدت مقيدا نصه

توفي الفقيه الاجل سيخنا سيدي سعيد بن عبد الرحمن بن الحسن بعد عصر الخميس غرة اليوم الاول مفتتح 1135 هـ وقد وقفت على كلام من وصفه بالقاضي وربما كان قاضيا رسميا فى العهد الاسماعيلى في جهة هشتوكة لان ولتيتة لم يتوطد فيها الحكم الاسماعيلى كما يعلمه من قرأ ما كتبناه عن محمد العالم في الجزء الثانى من كتابنا (ايليغ قديما وحديثا) وسعيد هذا معمر كما نرى ، وربما يمكن ان عبد الله بن سعيد المتقدم كان ابنه ، وانما ظهر بين يديه وان كان ذلك بعيدا لمن تأمل في ان الوالد ولد 1057 هـ وان الولد كان تأهل للمثول بين يدي السلاطين سنة 1085 هـ نعم هناك سعيد بن الحسن المتقدم ، فهو الاقرب ان يكون اباه والله اعلم .

---

1) كذا

17 ـ عبد الملك بن سعيد

ابن المذكور قبله عالم يذكر بين علماء اهله وقفت له على مقيدات علمية عام 1141 ﻫ ولا ندري متى توفي ولا من احواله شيئا

18 ـ عبد الله بن سعيد

اخو عبد الملك. وجدت انه عالم اخذ عن ابيه ، ولا يزال حيا سنة 1135ﻫ

19 ـ احمد بن سعيد

اخو عبد الله وعبد الملك ولد كما وجدته مقيدا 14 من ذى القعدة عام 1092 ﻫ وله شهرة بين اهله ، ولكن لا ادرى ابرئاسة ام بعلم ؟ الا اننى احسبه عالما لانقطاع الرئاسة من الاسرة التيلكاتية بانقطاع الامارة التازاروالتية عام 1081 ﻫ وذلك قبل ولادته بسنين كثيرة ، ولا ندرى متى توفى

20 ـ محمد بن احمد بن سعيد

ابن المذكور قبله رأيت له اثرا يدل على انه عالم بلا ريب ، ولا اعرف عنه غير ذلك وهو من اهل اواسط القرن الثانى عشر .

21 ـ محمد بن عبد الله بن الحسن

حفيد الرئيس الحسن بن سعيد وقد رأيت فيما قبل ان ولادة ابيه عبد الله بن الحسن ، كانت فى 34 شعبان عام 1007 ﻫ

كان محمد بن عبد الله عالما حسنا ابقى آثارا تدل على علو كعبه في المعارف وله اعتناء بالتقييد ، لا يزال حيا عام 1090 ﻫ

22 ـ احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن الرئيس

قال فيه عبد الملك بن سعيد المذكور توفى عمنا الفقيه سيدى احمد بن عبد الله بن محمد بن الحسن ضحوة السبت 19 . . . [1] عام 1141 ﻫ وذلك كل ما وقفنا عليه حوله ولا نعرف من اوصافه شيئا الا كونه فقيها وكفى به وصفا

1) محو في الاصل

23 ـ على بن عبد الله

لعله علي بن عبدالله بن سعيد بن عبد الرحمن بن الحسن بن سعيد الاديب وقفنا فى ظهير على اسمه ، ونص الظهير

يعلم الواقف على هذا المسطور الكريم اعز الله امره ان كل ما . . . . . الخير والبركة سيدي علي بن عبد الله مع تيلكات وازاريف وتدينت فقد حررناهم ووقرناهم كلهم واحترمناهم بالاحترام التام بحيث لا يطوف احد بساحتهم بوجه ولا بحال واعشارهم وزكاتهم التي حرم الله عليهم قد وكلناه عليها يفرقها على من يستحقها من الطلبة واهل تدريس العلم وغيرهم من المساكين والعاملين عليها ، والواقف عليه يعمل به ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه ، وكذلك اهل ازنتو مندرجين هنا والسلام في العشرين من جمادى الاولى عام 1190 ه وفوقه طابع صغير لسيدى محمد بن عبد الله بن اسماعيل هذا ولا نعرف عن علي بن عبد الله المذكور شيئا .

24 ـ يحيا بن علي

شيخ عليه مشهد يزار في تيلكات، ويقول التيلكاتيون انه اخوهم ولكننا لم نقف عندهم على ترجمته ولا على عصره ولا على اي وصف من اوصافه، وربما كان من قدمائهم والله أعلم .

ـ ـ

هؤلاء علماء تيلكات التقطناهم هنا وهناك ، فلتعرف الاسماء ان اعوزت الاثار ، فإنهم أهل بيت ماجد دينا وعلما وشفوفا في كل الميادين فلهم في الدين مكانة ما فوقها مكانة وكذلك في الميدان العلمي فقد شهدت نوادر مخطوطات من خزانتهم رأيناها على عنايتهم التامة بالعلم ، كما لهم كذلك ميزة بالثروة من الاملاك الواسعة في سوس وفي غيرها الا ان الذي بقي لهم الى الان هو قرية تانكيست وحدها ، وقد وقع بينهم من الشنآن ما فل عصاهم وأطفأ نورهم وأذهب ريحهم فلم يبق منهم مما يحمد الا ما يشم من أسلافهم الامجاد .

وأما اعتناء السلاطين بتحريرهم فقد رأيت ما رايت ، وهاك بقية ما بين ايدينا ، فهناك ظهير سليماني نصه :

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله واعز امره اننا جددنا لاولاد سيدي سعيد الاكناوي اصهار الفقيه السيد محمد بن احمد السوسي حكم ما تضمنته ظهائر اسلافنا قدس الله ارواحهم التي بأيديهم من التوقير والاحترام فلا يسامون بكل ما يسام به العامة ، والسلام في ذي الحجة الحرام عام 1218 ه وفوقه الطابع السليماني الصغير .

وسعيد الاكناوي المذكور لم نعلم له وصفا ، ولعله احد اغنيائهم او له علم لاندري الان عنه شيئا ، كما اننا لا نعرف الفقيه السوسي المذكور . ولعله كان من المستخدمين في الدائرة السلطانية . او كانت له عنده وجاهة ، فليس عندنا الان ما نقوله عنه

وهناك ايضا ظهير آخر من السلطان مولاي عبد الرحمن نصه :

يعلم من كتابنا هذا اسماه الله اننا جددنا لاولاد سيدي سعيد الاكناوي اصهار الفقيه السيد محمد بن احمد السوسي حكم ما تضمنه ظهائر اسلافنا الكرام قدس الله ارواحهم التي بأيديهم من التوقير والاحترام والرعي الجميل المستدام ولا يكلفون بكلفة جلت او قلت حسبما تضمنت ذلك ظهائر اسلافنا المذكورين ، فعلى الواقف عليه من خدامنا وولاة امرنا العمل به ، ولا يحيد عن كريم مذهبه ، والسلام في 10 محرم عام 1240 ه وفوقه الطابع الرحماني الكبير ، وتحته بخط عمال سوس اذ ذاك :

امتثلنا ما في الظهير الشريف ، ونفذنا لحملته اصهار الفقيه المذكور والسلام في 20 قعدة الحرام عام 1245 ه وتحته طابع صغير لعل ما فيه : خديم المقام العالي بالله الطاهر بن مسعود .

وفي الجانب الاخر تحته ايضا ما نصه: امتثلنا ما في ظهير مولانا الشريف وانفذناه لحملته اصهار الفقيه المذكور بحيث لا يطوف احد بساحتهم ومن ترامى عليهم بشيء فلا يلومن الا نفسه . والسلام في 18 من شوال عام 1255 ه

وتحته طابع صغير ، لا يظهر منه الا كلمة محمد واخرى لعلها بومهدي ، وذلك التاريخ يوافق زمن القائد بومهدي الشهير .

وهناك ايضا ظهير لسيدي محمد بن عبد الرحمن وعبارته هي عبارة الظهير الرحماني المتقدم سواء بسواء ، وقد ارخ بثامن الحجة الحرام عام 1280 ه وفوقه الطابع الكبير .

وهناك ايضا ظهير حسني على تلك العبارة نفسها ارخ بالثاني والعشرين من عام 1299 ه وفوقه الطابع الحسني الكبير الشهير وإزاءه رسالة من المولى الحسن الى اهل تانكيست ومن حواليهم لما اقبل الى سوس عام 1299 ه وهى نسخة من مناشير مختلفة العبارة فرقها بين يديه اذ ذاك يستنهض بها القبائل للقياه ، ونص الرسالة :

خدامنا الاماثل الامجاد اهل تانكيست كافة ، نخص منكم العلماء والشرفاء السلام عليكم ورحمة الله وبعد فقد وجب تفقدكم والنظر في اموركم ومصالحكم لقوله صلى الله عليه وسلم : كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته ، الحديث ولقوله عليه الصلاة والسلام، النصيحة لله ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم. وقال مولانا جل علاه «ياايها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولايجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا ، اعدلوا هو اقرب للتقوى، واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون» وقال جل من قائل «وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» وقال سبحانه «يا ايها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يامر بالفحشاء والمنكر» الاية ، وقال تعالى: «ومن يتبع غير سبيل المومنين نوله ما تولى ونصله جهنم ، وساءت مصيرا». وقال صلى الله عليه وسلم (الفتنة نائمة لعن الله موقظها) وقال عز من قائل: «قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم» وقال جل علاه «من يطع الرسول فقد اطاع الله» وقال صلى الله عليه وسلم (من اطاع اميري فقد اطاعني، ومن اطاعني فقد اطاع الله) الحديث. والمقصود عندنا بهذه الوجهة المباركة وعلى الله الكمال. هو المدافعة عنكم ، وقطع الاطماع دونكم حتى

لا يتشوف اليكم احد ، ولا الى تمليك بلادكم ورقابكم ما دمت حيا[1] والاعمال بالنيات ، وكـذلك اقرار ذوي المراتب واهل الزوايا والاشياخ والكبـراء على مراتبهم وشد عضدهم عليها اكثر مما نجدهم عليه هناك ونحن في الاثر بحول الله ، عازمون على التحرك لتلك النواحي، فنامركم ان تقوموا بما يجب عليكم من السمع والطاعة وآداب اللقي كل بطريق بلاده على مقرر العادة، وتسارعوا وتسابقوا فقد فاز من احرز مزية السبقية . ولـكم منا الامان التام لا يغير حزبكم ولا يروع سربكم نطلب الله تعالى ان يكون قدومنا عليكم خير مقدم الهمكم الله رشدكم وهداكم آمين والسلام في 5 شعبان الابرك عام 1299 ه

وفوقه الطابع الحسنى الكبير ، وقد كتبنا السطر الاول بمشقـة وحـزن ونخمين لتمزقه .

ثم في العهد العزيزي حين نزل الكيلولى بتزنيت تقدم السيد احمد التانكيستي والسيد موسى من اهله الى اعانة جنود الحكومـة فكتب القائد سعيد الكـيلولي الى السلطان يشكر له السيد موسى فأجاب السلطان بما نصه :

خديمنا الارضى القائد سعيد الكيلولي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله .

وبعد وصل كتابك بما عليه المرابط السيد موسى التانكيستي من السعي في المصالح المخزنية والجري فيها على سنن المرابطين الامثال وعدم انتمائه لمن رام رده عن الخوض في ذلك المجال ، وإلقـائه كلامـه في ذلك ، ولم يلتفت اليه بحال وصار بالبال ، فليزد على عمله في ذلك سدده الله ولتتلق منه كل ما يمليه عليك او يتوسط فيه بينك وبين من طلب منـه ذلك مـن قبائل الجبل بالقبول والاقبال اصلحك الله وأصلحه ورضي عنكم والسلام .

في فاتح ذي الحجة متم عام 1314 ه

وفوقه الطابع العزيزى الصغير

---

1) كانت السفرة الحسنية اذ ذاك دفاعا لاطماع بعض الاجانب في بعض صحراء سوس وقد قاوم المولى الحسن اطماعهم الى ان مات رحمه الله.

وهناك ظهير عزيزي على نمط الظهائر المتقدمة في العبارة حذو القذة بالقذة ولا يزال حتى في هذا الظهير اولاد سيدي سعيد الاكناوي يوصفون باصهار الفقيه السيد محمد بن احمد السوسى وهو مؤرخ بالثامن عشر من شوال عام 1314 ه وفوقه الطابع العزيزى الكبير .

وقد قدم الكيلولي السيد احمد التانكيستي على تانكيست وقصبة الطين التي هي القرية الثانية لمساكن بقية آل تيلكات اليوم ، وهذا ما كتبه الكيلولى في تقديمه :

من فضل الله ثم بوجود مولانا ايده الله ونصره ولينا بحول الله وقوته المرابط السيد احمد التانكيستي على كافة آل قصبة الطين واسندنا اليه جميع امورهم والزمناهم ان يسمعوا له ويطيعوه فيما يامرهم به وينهاهم عنه في الامور المخزنية والوظائف السلطانية ومن حاد عن امره او اراد ولاية غيره فلا يلومن الا نفسه ولا يضرن الا رأسه ، وبسطنا له يد التصرف على سائر القصبة المذكورة وعليه بتقوى الله العظيم في السر والعلانية ، فالله تعالى يسعده بهم ويسعدهم به ءامين والسلام في 25 جمادى الثانية عام 1314 ه كتب خديم مولانا سعيد بن احمد الكيلولى وفقه الله .

وتحته طابعه الصغير ، وفيه خديم المقام العالى بالله سعيد ابن احمد الكيلولى وفقه الله.

وبيت هذا الرئيس لا يزال قائما وفيه ثروة وسمعة وكل قرية تانكيست له وفيها اراض واسعة تسقى بماء دائم من العيون التي تنبع من وادي الغاس وقد ورث الاخلاف عن الاسلاف كل ذلك ، وذلك كل ما بقى من تلك الثروة العظمى التى لجدودهم وقد افل عنهم العلم من ازمان ولا يذكرون الا بحفظ القرآن، ويذكر عن المتأخرين منهم انهم كان لهم اعتناء بان يحفظ اولادهم القرآن

ثم انقضت تلك السنون وأهلها   فكأنها وكأنهم احلام

وهذا الفرع الباقى الان من اهل تيلكات في قريتي تانكيست وقصبة الطين من اعقاب الشيخ سيدى عبد الرحمن بن علي

الى أكال ملولن

بكرنا قبل منبثق الفجر فـي يوم الاحـد الحـادي والعشرين مـن شوال فصلينا الصبح بعد خروجنا من قرية تيلكات على ظهر نطفية غربي القرية ثم ودعنا هناك الفقيه الصالح العابد الناسك الزاهـد القـوام الليـل الصوام النهار سيدي ابراهيم ابن الفقيه سيدي محمد بن يدير الساحلي الشهير ، وقـد كان معنا كل مقامنا في تيلكات وقد كان سبقنا الى هنـاك وقد رأيت منـه كيف نضرة وجوه العابد بين الخاشعين ، وسترى ترجمته وترجمة اهله في المعسول لانه من اصحاب الشيخ الوالد ،

ثم اننا تسلقنا الطريق التي كنا انحدرنا منها يوم مجيئنا الى تيلكات من ازاريف ، فاستوينا على ظهر البسيط المسمى (تاسيلا اوزاريف) وقـد اخترنا هذا الطريق مع وعورة مصعده ومنحدره الى ازغار ، لانه مجانب لوادي الغاس الذي سال اليوم بكل ما يملاه الى طفافيه ، ولذلك لم يتيسر لنـا ان نرى قرى تانكيست وقصبة الطين وتاغزوت ملقـا فمررنـا بمدرسة (تاسيـلا اوزاريف) حيث كان علماء درسوا حينا ، ثم بقريـة (ايغير نبازى) مسقـط رأس الاديب ابى زيد المتوفى منذ خمسة عشر عاما ، وسترى ترجمته وآثاره في فرصة اخرى ان شاء الله ثم اقبلت مع رفيقي سيدي الطاهر بن العربي الادوزى ومع دليل بين ايدينا نتجاذب اطراف الحديث حتى انحدرنا الى البسيط قـرب الضحى وقد تركنا عن اليمين قريـة (تاغزوت ملقا) حيث مصـانع الخـزف الذي يشبه خزف مالقة المدينة الاندلسية الشهيرة بتينها وبخزفها. ولهذه الصنعة اضيفت القرية فانها من زمن بعيد تصدر الى اسواق هذه النواحي سهلا وجبلا مصنوعاتها من الطواجن والطباسل والسكرجات. والقرية وخمة الموقع لكـونها فـي محل منخفض في جوار وادي الغاس فلا يكاد الوباء يبتعد عن غير اهلها فلا يسلم منه مـن ينزل بها ممن لم يتعودوا مناخها وفي هذا الحين كـان عملـة كثيرون من ولتيتة يعملون للحكومة في غابـة من اشجـار اركان ، يقطعـون الجـذور ويحرقونها ليتخذ منها الفحم للغازوجين فيحكي الحاكون عن كثرة ما يصيبهم

من وخامة المكان حتى استحر فيهم الموت الذريع ، وقد ذكروا انه مات من آيت بحمان البعقيليين وحدهم اثنا عشر مع قلتهم، فكيف بغيرهم، ويقولون ان كل من يرجع من هناك يسقط مريضا ، فينجو من ينجو ويهلك من يهلك والحكومة قلما تعتنى بهم

وللمستعمرين وان الانوا   قلوب كالحجارة لا ترق

ثم وصلنا في الضحاء العالي قرية (ميرة) فابى علينا الفقير محمد بن مسعود الكريم الا ان ننزل عليه ثانيا، ثم بعد الافطار خرج معنا الى طيتنا نحو اكال ملولن فاراني محلا ازاء الطريق دفن فيه شريف يسمى مولاي عمر من آل بودميعة قتل هناك في بعض الحروب ويسمى المكان (اسمن) فتذكرت ان الامير سيدي ابراهيم بن محمد بن احمد التازروالتي توفى بالكصيب اسفل (اسمن) عام 1018 ه ولعله قتل هنا فربما يكون قتل مولاي عمر هذا من اهله كان يوم قتله ، وقد اراني ايضا موضعا اخر كانت سوق عظيمة تقام فيه ، وقد مضت فيه عمارة كثيرة تشهد لها الاطلال الماثلة ، وهذا البسيط فيه قرى منتشرة يسكنها الشرفاء المنتسبون لسيدي واسلام الشهير ، والشرفاء الوسلاميون كثيرون ، ويجد المطالع اسماء من عرفناهم من علمائهم فى (المعسول) في (الفصل الثاني) كما يجد هناك سلسلة نسبهم الشريف ، ومساكنهم في بعقيلة سهلا وجبلا ، ثم رأينا عن يمين طريقنا قرية (تامكرت) حيث شعبة من ءال سيدي عبد الله بن يعقوب، بعد ما نزل فيها جدهم العلامة سيدي محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب ، وهذا هو الفحص الذى عاتبه بالانقطاع اليه والتردد اليه الاستاذ احمد بن سليمان الرسموكى الفرضي في رسالة له مشهورة. ومن هذه القرية الفقيه الذى كنا تشرفنا بلقائه في ادوز سيدى احمد بن الطاهر كما تقدم، وتحت يده كتب غير قليلة لم يتيسر لنا الان رؤيتها ، لاننا نخاف ان ألممنا به ان يتكلف ، وقد كان اعارني في هذه السفرة نسخة من (ازهار الرياض) فحين تصفحته وجدت عليه خط العلامة ابن مسعود فعلمت ان النسخة عمدته في اختصار الكتاب في مؤلفه الشهير (ورود الحياض. والتظلل

بظلال الفياض ، في الاقتطاف من ازهار الريـاض) وهو مختصر من الكتـاب ولم نره ، ولعله عمد الى مـا يتعلـق بعـياض فقط ، فالتقطـه من ذلك المؤلف الضخم الذي يشبه (نفح الطيب) في كثرة الاستطراد بادنى مناسبة ، وقد ضاع المختصر في بلاد تونس كما سمعناه ، وقد اطلعت على قصيدة فوق هـذه النسخة لابن مسعود يمدح بها العلامة ابن العربي الادوزي نصها :

سقيـا ورعيـا لمنزل كـأن بـه ... ازهار روض سقاه القطر مـدرار
تزهو وتبسم تحيي من محاسنها ... قلبـا عليـه لكـل الهـم اصرار
انهاره صافيات من سلاستهـا ... تـذكر ودا صفا ما فيه اكدار
وتذكر الحب دمع عاشق بعدت ... به وقد جرعتـه الصـاب اقـدار
والزهر يسقط والرياح تكتب في ... غـديره ما لـه تخجـل اسطـار
والقطر ينقط والاغصان مائلة ... تعـانقت كغـوان هن اقمـار
تحمـل ورق حمام وهي قارئـة ... بسجعهـا صحفـا حفتـه انهـار
تذكر الصب وهي صادحات ضحى ... مرابعـا هـي للـوصـال اسـرار
لكن تسلى بنادي ذي ندى حمدت ... لـه الهـواطـل آصال وابكـار
ذي فتية جمعوا لطيب خلقهم ... مكارما مالهـا في النـاس انكـار
اعيان فضل وعـلات لذى نسب ... وحسب اصلهـم غـر وابـرار
من فرع عبد الاله نجل يعقوب من ... دامت له بثناء الفضل اعطار
وذاك في منزل المولى الفقيه ابى ... عبد الله جـواد الخير مختـار
لا زال مقرونـة بالنجـح همته ... (فكل ما فعل المختـار مختار)
ولا يـزل رحلـه المحـط المفضـلا ... علـيـه روح تحـية وانـــــوار

قد كنت حسبت ان القصيدة قالها ابن مسعود في ذلك العلامة ابن العربي ولكن اسم المختار غير ظاهر ، وقد وجدت من علماء اليعقوبيين المختار ابن عبد الرحمن اخا العلامة البشير ، فاتوهم انه المقصود بالقصيدة وعلى القصيدة بيتان ءاخران لعلهما منها

لله مجلس انس راق ملظره   جليسه حسن احمد مختـار
بمنزل ارج طابت مسرتـه   والشرب فيه كرام العرق اخيار

اما الكتاب فنادر الوجود ، وقد طبع نحو ربعه في تونس قبل عشرين سنة وكذلك طبع الجزء الاول منه ايضا بمصر اخيرا بمعاونة التطوانيين وطبع باقي الكتاب لا يزال في ذمة المولعين بآثـارنا النفيسة وهـذه النسخـة ذكر فيها (الروضة الاولى) وسماها (روضة الورد في اولية هذا العالم الفرد) ثم الثانية (روضة الاقحوان في ذكر حاله في المنشـإ والعنفوان) ثم الثـالثة (روضـة البهار ، في ذكر ترجمة (كذا) من شيوخه الذين فضلهم اظهر من شمس النهار) وهناك ساق جواب الزمخشرى للسلفي حين استجازه هذا فكانت في الجـواب مقطعات في مدح الزمخشرى ومن بينها قطعة لابن القرطبى يقول فيها

لـو جعلت اليم حبرا والفـلا   مهرقـا كانت معاليه اطـم
ان من جراه اولا ـ المصطفى ـ   كنت فضلت على العرب العجم

فكتب الاستاذ ابن مسعود في الحاشية ما نصه :

لما وقف كاتبه على هذه الابيات ادركته غيرة السنة النبوية والاعمال بالنية فقلت متطفلا :

ايهـا المرء من المنكر ما   قلت عن شيخك في حال العجم
اترى صحب النبي العربي   وقرونا فاضـلات كالعـدم ؟
بل واهل السنة الغراء من   كل طود علمه البحر التطـم
للقرنبى الحسن في منظر من   ليس يدرى الحسن اذ ضل الامم
ان فيمن شرح الكشاف مـا   يكشف الحيرة من خطب اللمم
ان يعد خصم الى الغي اتى   ناصر الديـن بسيف فقصم

ثم الروضة الرابعة (روضة المنثور ، في بعض ما له من المنظوم والمنثور) وعند ذكر القصيدة اللامية المشهورة لسيدي محمد البكرى :

ما ارسل الرحمن او يرسل   من رحمة تصعد او تنزل
في ملكوت الله او ملكه   من كل ما يختص او يشمـل

الا وطـه المصطفى عبده نبيـه مختاره المـرسـل

كتب الاستاذ ابن مسعود على قوله الا وطه الخ هذه الواو زائدة لتأكيد صدق الصفة بالموصوف وهو هنا رحمة ذكره في الكشاف في حزب (ربما) عند قوله تعالى (وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم) فراجعه والمسألة تكلم عليها غير واحد ووقع فيها كلام طويل الذيل بين ابن مالك والزمخشرى وقد ذكره الحافظ القسطلاني في شرح البخارى واظن ان الشيخ ياسين في حواشي التصريح بسط الكلام ايضا على ذلك فليراجع والله اعلم انتهى وهي فائدة تدل على كثرة استحضار الاستاذ رحمه الله من مختلف الكتب الطوال ثم كتب هناك ايضا عند التكلم ضد ما انتقده منتقد على عياض من جواب ايجاب الشافعي وابن المواز الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم في تشهد الصلاة فقيل هناك. ان الاجماع منعقد من السلف الصالح قبل الشافعي وابن المواز على صحة ما قاله القاضي عياض واختاره يعنى من عدم وجوب ذلك، فكتب الاستاذ على ذلك الاجماع

(ينظر فى هذا الاجماع اهو صحيح ام لا ؟ ولو صح لم يعد قول الشافعى في المسألة قولا ضعيفا ، بل لا يظن به مخالفة الاجماع وانه غير عالم به فتأمل وحرر . والله تعالى اعلم انتهى)

وهذا الذي قاله الاستاذ ظاهر ، وقال في مؤلف (الاعلام للقريب والنائى في بيان خطإ عمر الجزنائى) وقد ساقه كله المقرى في هـذه الروضة ، لما ذكر في اثناء كلام المؤلف وقد ذكر قضية آدام عليه السلام فـذكر ان الله قال له (ان لك ان لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى) فلما نسي عليه السلام هذا الوعد لما سبق فى سابق علمه مد يده الى رغبته ومـال الى حظ نفسه وشهوته فلقى ما لقي من مفارقة الجنان والوقوع في الهموم والاحزان الخ فكتب الاستاذ فى مقابلة هذا :

كلام هذا الرجل حسن يدل على مشاركته فالله تعالى ينفعه بجميل قصده حاشا ما ذكره في حق آدام عليه السلام فانه اذا كان الفرق بين ما يجرى على

ايدى الاولياء مما يخالف الظواهر الشرعية وبين ما يجرى على ايدي المحجوبين كما قاله العارفون بالله تعالى اهل الطريق ، ان ما يجرى على يد الولي يكون عن اذن خاص دون المحجوب فما بالك بمرتبة النبوة التي هي اعظم بكثير من الولاية ، وراجع بسط هذا المعنى في محله والله تعالى اعلم نعم في مواضع أخر من كلامه ما يحتاج الى تحرير مثل ما استدل به من كلام القرافي على ما ادعاه فى سفر من يخشى القواطع والموانع والهلاك الى الحج ، ومثل ما ذكره في امتناع وقوع المبالغة في كلام اهل المحبة والله تعالى اعلم انتهى

اقول : ليس مقصودي من سوق هذه الحاشية اعلاني برضى ما تحتوى عليه بل اعلانى بان الاستاذ ابن مسعود هكذا يصنع في كل كتاب طالعه في اي فن فيقبل وينتقد كما يكون الفحول وبهذا فاق مقامه كل اترابه رحمه الله، على ان في ذلك المؤلف من اعتساف ما لايقبله الا من عقله في غلاف من الجهالات ، كما يقف عليه من طالعه اعنى (الاعلام للقريب والنائي) المذكور في هذه الروضة .

ثم الروضة الخامسة (روضة النسرين ، في تآليفه العديمة النظير والقرين) وقد ساق هناك عند ذكر « مشارق الانوار » قول ابن الصلاح

مشارق انوار تبدت بسبتة ومن عجب كون المشارق في الغرب

ثم ساق من بين من اجابوه من المغاربة جواب بعضهم بهذا البيت :

فما فضل الارجاء الا رجالها

والا فلا فضل لترب على ترب

فكتب على البيت الاستاذ قلت لله در هذا المجيب فلقد احسن الادب واين هذا مما تقدم عن ابن رشيد يعنى قوله :

ومرعى خصيب في جديب ربوعها الا فاعجبوا للخصب في منزل جدب

وهذا نحو ما اجبت به متطفلا لما وقفت على بيت ابن الصلاح وهو:

ولا عجب فالغرب للعلم مركز وللدين جاء فى الحديث بلا ريب

والله تعالى يرزقنا الحظ الاوفر من العلم النافع انتهى .

اقول يشير الاستاذ في بيته الى حديث (لا يزال طائفة من اهل الغرب) الخ على احد معلميي الغرب من ان القصد به المغرب على ما ورد في رواية اخرى ذكرها بقي بن مخلد ، وتروى في احدى روايات بعض الصحاح ه

وحين جرت حكاية القاضي ابي زيد عبد الرحمن بن علي الدكالي انه اختصم عنده رجلان في شاة ادعى احدهما انه اودعها الاخر وادعى انها ضاعت منه فاوجب اليمين على المودع انها ضاعت من غير تضييع فقال كيف اضيع ؟ وقد شغلتني حراستها عن الصلاة حتى خرج وقتها؟ فحكم عليه بالغرم وقيل له في ذلك ، فقال تأولت قول عمر . ومن ضيعها فهو لما سواها اضيع فكتب عليها الاستاذ مثل هذا لا يكتب الا ليرد ولعلهم سكتوا عن التنبيه عليه لوضوحه ، اذ معنى قول عمر ان اضاعة الصلاة علامة على الجراة على اضاعة غيرها . والتأهل لها بحسب التطبع والتخلق ، ولا يلزم من ذلك تحقق الاضاعة في الشيء المخصوص المدعى به ، وقد اجمعت الامة على انه لو ادعى صالح على طالح فليس على الطالح الا اليمين ان لم تكن بينة مع ان الغالب صدق الصالح . وهذا منصوص عليه للقرافي وغيره وهو من الشهرة بمكان كنار على علم انتهى .

وكتب على قول المقري الكبير اثناء ترجمته هناك : سمعت الابلي يقول ان الخونجي ولي قضاء مصر بعد عز الدين بن عبد السلام الخ . فكتب عليه الاستاذ ذكر الجلال السيوطي في (حسن المحاضرة) ولاية الخونجي بعد عز الدين ، واستعظم ذلك وانه لعظيم ولا يزداد الزمان الا شرا ، والله يلطف بنا اجمعين ، اه فتأمل استحضار الاستاذ ما هو غريب على اقرانه هناك .

ثم الروضة الثامنة (روضة النيلوفر ، في ثناء الناس عليه وبعض مناقبه التي هي اذكى من المسك الاذفر) هكذا تخطت النسخة الروضة السادسة (روضة الاس في وفاته وما قابله به الدهر الذي ليس لجرحه من آس) والسابعة (روضة الشقيق في جمل من فوائده ، ولمع من فرائده المنظومة نظم الدر والعقيق) وهاتان لم توجدا في داخل الكتاب ، وانما ذكرنا في برنامج الكتاب في

الخطبة وكما كانت هذه النسخة اذ سقطت منها الروضتان السادسة والسابعة كذلك كانت النسخة التي رآها الباحثون من الكتاب في فاس وفي تونس فربما لم يولفهما المؤلف ، او الفهما فسقطتا من الكتاب .

ثم ان هذه النسخة في مجلد ضخم طويل لا اكاد احمله بيد واحدة، وخطها الاصلي لا بأس به ولا يخلو من تصحيف ، وفي أثناء بعض الامكنة تتمات بخط قبيح الى الغاية يكتب بقلم غليظ بالصمغ كما يكتب المدررون ألواح الصبية المبتدئين في الكتاب وقال انه يستتم من نسخة اخرى . ومع ذلك لا تزال هناك بقايا من البياض ، ولم يؤرخ الفراغ من نسخ النسخة . ولكن يظهر ان ذلك من زمن غير بعيد ، وما كان تفتيشي عن هذه النسخة الا لاني آمل ان أجد فيها ما ينقص النسخ الاخرى ، فإذا الكل من بابة واحدة

ثم اننا نزلنا في (أكال ملولن) قبيل الزوال ، فصادفنا الفقيه ابا العباس العوفي في انتظارنا ، وهو جالس مع الرئيس هناك ، فحللنا بعيون قارة . وصدور منشرحة، وقد ترحمنا على الفقيه ابي زيد والد رب مثوانا اليوم وقد درج منذ شهور رحمه الله .

مررنا قبل ان نصل القرية بالمكان الذي كانت سوق الاثنين تقام فيه ثم زالت اقامتها الان ، وذكروا ان اقامتها كانت على يد الرجل الصالح سيدي ابراهيم الازاريفي الذي لا يزال ابنه محمد حيا الي الان، وازاءها نطفية منسوبة الى الاستاذ ابن العربي الادوزي ذكروا انه وقف عليها حتى تمت، وقد كانت هذه السوق من الاسواق الكبرى، ثم لما سقطت الان قامت سوق الجمعة في وجان مقامها ، ولكل اجل كتاب .

فتشت هناك على نادرة في الكتب المخطوطة ، فلم اقع الا على شرح سيدي عبد الله بن يعقوب على جامع بهرام وهو نسخة جيدة رائقة الخط ذهب مفتتحها في 312 صفحة في 22 سطرا ، في قالب وسط وهي حديثة العهد نساخة يظهر انها نسخت نحو 1282 ه والا على مؤلف في حكم اللحن في الحديث لمحمد بن محمد بن سعيد العباسي سماه (نفيس الدر والياقوت) وهو صغير

ينكر ذلك على عكس ما ذهب اليه الافراني المراكشي سيدي الصغير في مؤلفه في الموضوع وهما متعاصران ، ولا احسب العباسي الا بصدد رد ما ذهب اليه اليفرني ، لانه ذكر ان من انكر عليهم اللحن استفتوا من سوس ومن غيره من يجيز لهم ذلك، والا على مؤلف الشيخ ادفال فيما يتعلق بالشيخ سيدي احمد ابن موسى ، وهو افضل كتاب كتب بلسان التثبت حول ذلك الشيخ ، ويقل فيه ما ينكر ، ويظهر ترجمة الشيخ كما هي في الجملة وهو صغير، وهذا المؤلف توجد نسخ منه (وقد ادرجناه في ترجمة الشيخ في المعسول في الفصل الثاني) والا على مؤلف صغير لابن مسعود في السماع والوجد ، كما انني وقفت هناك على بعض نبذ اخذها العلامة ابو زيد العوفي رحمه الله من الاستقصا° وعلى مجموعة فتاواه ، فإنه هو الوحيد الذي يبقي تحت يده نسخة من كل ما حرره في الفتاوي ، فطوق ذلك الصنع الجميل من بين معاصريه السوسيين (وقد جمعها ولده سيدي احمد في مجلد) كما وقفت له ايضا على مقيدات شتى من كل ما سقط اليه من أنساب وآثار السوسيين ، ولله دره من حريص على مثل ذلك اسوة بشيخه ابن مسعود اللقطة لكل فائدة الحارص غاية الحرص على تقييد كل شاردة ، فمما وجدته هناك :

توفي علي بن ابراهيم بن احمد الحاضي التاشواريتي الفقيه الورع السبت 18 جمادى الثانية 1214 ه يوم توفي الفقيه احمد بن محمد بن المبارك المحجوبي وهناك سؤال من الفقيه احمد بن يبورك موجه الى الشرحبيلي وهناك الفقيه الحسن بن يبورك من تيزي (نتاراقانين) وان صالحا الودريمي من تلاميذ سيدي ابراهيم الظريفي الصوابي وهناك رسائل كثيرة للشيخ ابي العباس الصوابي ، ومنها ان الفقيه محمدا إجمي السوسي ثم المراكشي اصل اهله الاصيل من تنبكتو وانهم من بني عقيل ابن ابي طالب وان سكنوا في تيبيوت في ضواحي (تارودانت) ومنها ان مزال بن هرون بن عبد الله بن احمد بن محمد بن يوسف بن عبد الله بن جندوز الشهير النسب في سملالة ، اقول هكذا قال وقد وقفت له على سلسلة نسب اخرى امتدت الى وكاك ، والله اعلم

وقد توفي كما في محل آخر عام 688 ه وابوه هرون مشهور المدفن في قبيلة ماسكينة. ومنها انه ساق في نسب سملالة الخلاف المشهور في جعفر هل هو ابن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، ولكن يعكر عدم معرفة جعفر من اولاد عبد الله الكامل، او هو ابن عبد الله بن الحسين بن الحسين السبط ، كما يوجد في بعض سلسلات من مشجرات أنساب صاحب دليل الخيرات ، فيكبر عبد الله مع تصغير الحسين ، وذكره مرتين - فإما ان يكون تصغير الحسين صوابا ، ويكون تكبير عبد الله تحريفا ويسقط علي زين العابدين بين الحسين والحسين ، فيكون نسبه هكذا : جعفر بن عبيد الله بن حسين بن علي زين العابدين ابن الحسين السبط ، فيكون جعفر هو الحجة لان الحسين السبط لا اولاد له الا من ابنه علي زين العابدين وإما ان يكون عبد المكبر هو الصحيح وتصغير الحسين مرتين هو التحريف فانه ياتي - اذن - عبد الله الكامل ، فيرد على ذلك ما تقدم ولكن احتمال كون السملاليين حسنيين بعيد ، ويحتمل ايضا ان يقال انه جعفر بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ، وكلمة عبد الله زيدت بين جعفر وبين الحسن المثنى غلطا ان كان للحسن المثنى ولد يسمى جعفرا، ويحتمل ان جعفرا اصله ابو جعفر كنية ابراهيم بن عبد الله الكامل، وهو قتيل البصرة ايام ثورته المشهورة هناك على ابي جعفر المنصور العباسي ، وقد نقلوا عن المشماوي تصحيح هذا واليه يذهب الشيخ مسعود المعدري فيكون النسب هكذا ابو جعفر ابن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب .

وذكر ايضا انه يحتمل ان يكون من اولاد سليمان بن عبد الله الكامل الذي كان يقطن الجزائر ، وأعقب هناك ثم دخل اولاده المغرب، فلعل له ولدا يسمى جعفرا ، فسقط سليمان بين جعفر وعبد الله الكامل .

اقول، هذه هي الاحتمالات المذكورة حول هذا النسب هنا عند الفقيه العوفي ملخصة من كلام ساقه عن بعضهم .

وبقي ما ايده ظهير للسلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي من ان

جعفرا يمتد نسبه الى ان يصل الحسن المثلث بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ، فتمت بهذا كل الاقوال المذكورة حول هذا النسب المسملاليين ، ذكرناه للفائدة(1) .

ومنها ان السبعة الرجال الاكابر ، هم المولى عبد القادر الجيلاني وابو العباس السبتي وابو محمد صالح الاسفي وسيدي محمد بن عمرو الاسريري ، وسيدي مزال بن هرون وسيد الحاج يعزى وسيدي بلقاسم الفيلالي بإيسي، ثم ذكر لهم خاصية نقلوها عن عبد الرحمن الثعالبي ، والمقصود ان للسوسيين حظهم الاكبر بين هؤلاء الرجال السبعة يرونهم كالجيلاني والسبتي .

اذا ما أهان امرء نفسه — فلا اكرم الله من يكرمه

ومنها فتاو ينقلها عن الفقيه محمد بن عبد الكريم الذيبى البعقيلي عن الاستاذ العربى الادوزي ، فعلمنا ان الذيبى هذا متأخر ، ولم نجد الى الان من ناخذ عنه ترجمته .

ومنها ما اخذه الاستاذ ابن مسعود من ترجمة حاتم بن عثمان المعافري ، عن مالك في المدارك فنظمه :

ان حياة الثوب في طيه — وعيبه قصر اكمامه

الى غير هذه من فوائد جليلة اخرناها لمواقعها في (المعسول) ان شاء الله.

بشـــرى

بينما نحن جالسون في دار ابي العباس العوفي الكريم ومعنا رئيس البلد اذا برسالة من عند الفقيه سيدي علي بن الطاهر الرسموكي ينبيء فيها بورود الاستاذ ابي سالم سيدي ابراهيم بن العم وإنه عنده ينظر اين اكون اليوم؟ فكتبت اليه بيد وحية لا نكاد نقيم الحروف فرحا ، الوحي الوحي فكلنا اليك انتظار وعيون شاخصة فان استطعت ان تطير فطر ، فأرسلنا بغلة لتروح به ، لكن لم يتيسر مجيئه الا في الغد فالتقينا لقيا لا يوصف كنه حلاوتها في الصدور، وقد

1) عهدي بصاحب (ابتهاج القلوب في ذكر ابي المحاسن وشيخه المجذوب) ذكر بعض هذه الاختلافات .

اجتمعت اشواق السنوات الست فألحفتنا بأجنحتها البيضاء فلم نكد نستدير بالتحية التي يعتاد الناس اللقيا بها حتى وجمنا فلم ندر من شدة التأثر ما نقول ولا من اي جهة نفتح اضغاث الاخبار المتراكمة في الافئدة منذ ان ضرب بيننا الزمان ضربته المفرقة ، ولكن سرعان ما خرجنا من بين الناس فولينا اوجهنا الى جهة قبة صالح هناك يسمى سيدي محمد بن علي الاغرابوبي من اصحاب الشيخ ابن ناصر وقد قدمه على فقراء ولتيتة كما فى رسالة رأيناها وسيذكر بين اهله فى (الفصل الاول) من (المعسول) ان شاء الله مع تلك الرسالة فهناك حللنا الاوكئة فصرنا نسبح فى انباء وأنباء سلسلة متصلة لم يقطعها الا اداء صلاة الظهر ثم دواليك الى العصر او ما بعده فعرفت حينئذ كل ما هناك مما لم يكن يحكيه لى كما اريده عنه الا هذا الاستاذ الذي هو شقيق الروح وقد كان طلع الى الغ ، فدخله اثر خروجى منه فرجع الي يقول ؛

ما زرت الا بلقعا وقفارا   ان زرت الغ ولم تر المختارا

وقد ذكر ان شيخنا العلامة ابا محمد سيدي عبد الله ابن سيدي محمد مؤسس المدرسة الالغية استدعاه اذ ذاك بقطعة مطلعها ؛

ابا سالم لقد انسنا بكم جدا   ونلنا بفضل الله من وصلكم جدا

وتوجد كلها في ترجمته في (المعسول)

كذلك امضينا ايضا العشية بسؤالات مني متواليات، واجوبة من فيه مستحليات، حتى اظل المغرب ، فلبينا مع الفقيه ابى العباس رب المثوى دعوة الكريم الرئيس في قرية (إبلاغن) فامضينا خير ليلة في ذلك المكان الذي كان ممرا دائما للشيخ الوالد ، ومستقرا ثابتا للجد ابن العربى الادوزى. وقد كان للرئيس اخ حضر معنا في المساء وفي الصباح فرأينا من الجميع ما نحمده بشرا وترحيبا وكرما خصيبا ، ودينا متينا وقد استفدت عن الاسرة انهم شرفاء واسلاميون ، وانهم ما اشتروا اراضيهم هذه التي يقطنون فيهما الان الا من يد عبد الله بن عمر ابن الامير علي بودميعة ، وهو الذي باع كل اراضيهم في ذلك البسيط وفي تزنيت وفي المعدر ، وقد رأيت بعض الرسوم الدالة على ذلك ، ولعبد الله

هذا ذكر كبير بين اولاد بودميعة ، وهو الذي بنى المسجد الكبير الموجود اليوم في ايليغ وذكروا لنا ان مساكن الايبلاغيين كانت قبل في اواسط جبال البعقيليين ، وقد ذكروا حصنا كان لهم من قديم احسبهم الان ذكروه ازاء (ادوز) وقد اصابت اسلافهم كوارث جلوا بها عن مساكنهم وتشتت بها متاعهم مرات وللايبلاغيين يد طولا مع الجيوش التى كان يقودها القائد عبد الملك الحاحي واغناج يوم زحفا الى جزولة في العهد السليماني ثم كانوا ايضا مع المولى الحسن منذ عام 1299 ه فلم تزل فيهم الرياسة الرسمية الى الان وقد عيد هذا الرئيس الحالى مع السلطان هذا العيد عيد رمضان هذا العام ، وقد كانت القيادة في ايديهم قبل اليوم ، ويرجون الان ان ينالوها ايضا وقد كانوا ضد ايليغ حين لم يكن الجو صافيا بين ايليغ وبين العرش المغربى كما كان كل البعقيليين ضد ايليغ لكونهم من شيعة تاحكات وايليغ قطب شيعة تاكوزولت والناس اذ ذاك من عزبز ومن غلب سلب .

ثم ان للايبلاغيين اسلافا رؤساء ، نعرف منهم من اول القرن الثاني عشر ولعلهم كانوا من الحادي عشر زمن بودميعة ، ولابد ان ينتظر القارىء اخبار هذه الاسرة الى ان نستوعب ما امكن لنا في المعسول لانهم على شرطنا ان شاء الله ان وجدنا من يفصل لنا اخبارهم .

ومسكن هؤلاء الرؤساء الان قرية اساكا المشهورة ، وهي في جوار قرية اكال ملولن وهما معا تطلان على شعبة منخفضة قليلا واسعة للحقول والاشجار فكان السقى ممتدا تحت القريتين بخضرته الزاهية والمكان يبتهج فيه الخاطر وهناك في اساكا مسجد واسع حسن ، كانت الجمعة قديما تقام فيه ثم تركت وطالما راودهم امثال شيخنا سيدي احمد ابن مسعود لمعاودتها ، فلا يتيسر لهم لهم ذلك لسوق الجمعة التي يكونون فيها (لعل له عذرا وانت تلوم) وقد راودهم على ذلك ايضا احمد الصوابى في القرن الثاني عشر ، فلم يبلوا

وفي قرية اكال ملولن مضت اسرة علمية في اواخر القرن الثانى عشر واوائل ما بعده ، ويسمى اهلها البحريين وقد رأيت في فتوى للعلامة ابى فارس

الادوزي - يقوى فيها حكما للفقيه ابى زيد العوفى على حكم للعلامة المحفوظ الادوزي - ما نصه :

فمن لم يعرف ان من البحريين واهل الدقيق[1] علماء معتبرين قبل الوباء (1214 هـ) وبعده بقليل ، وليرد باله للعقود ، لا سيما عقود اهـل الفحص يجـد خطوطهم كـنار على علم الخ

وكذلك وقفت على ابيات نسبهـا الفقيه سيـدي عبـد العزيز الاغـرابوبي المتوفى نحو 1255 هـ الى فقيه منهم يسمى ابراهيم بن محمد بن محمد يخاطب بها بعض معاصريه ممن جاذبوه الحبال تمحلا في نازلة ، وهي :

هداك الـه النـاس ياسيـدي فمـا | كذا ينبغى من كل من كان ذا فهم
اتترك يرعاك الالـه الصراط مستـــــويا وتمشى في جبال من الظلم ؟
فقد نص شراح الرسالة كلهم | على ان من يرمى كرميك لا يصمى
الست تخاف الله يا خير صاحب | اباذله نصحا كمن كـان من امى ؟
تثبت وقل قد تبت ان شئت عفو من | يحاسب يوم الحشر من زاغ في القوم

وبعدها ما نصه : قالها الفقيه سيدي ابراهيم بن محمد فتحـا بن محمد البحري رضي الله عنه يخاطب بها بعض المعاصرين الذين خبطوا خبط عشواء في نازلة الوجانيين المعروفة . انتهى ما وجدته

كما انني وقفت ايضا فى فتوى اخرى للمجـد ابن العـربـى يقـول اثناءهـا ، وقد اخبرني الشيخ الوالد سيدي العربى ان الفقيه المحقق سيدى محمد البحرى يحكم فى مثل هذه النازلة المتشعبة باحراق الرسوم، والرجوع الى اصل ما اتفق عليه الفريقان المتساويان قعددا ، ثم يجرى المواريث على وجهها، وذلك ليس بعجيب عند كل من يمارس مشاغبات ذوى الارحام، ورحم الله سيدي محمد البحري فما اذكاه واجزله فى بت النزاع الذى ليست له ثمرة، وقد اخبرني سيدي احمد بن محمد البعمرانى ان هذا اكتسبه من اشياخه فى الغـرب لانه ابطـأ هناك انتهى المقصود من الفتوى .

---

[1] اهل الدقيق - ادبوكرن - اسرة اخرى علمية لايزال بعض آثار من كـتبهـا الاعـلاق بين اخلافهم الجهال ، وهم في هذه القرية ايضا .

وقد وقفت ايضا على ما يدل ان محمد بن محمد بن محمد البحرى كان عالما كبيرا من اواسط القرن الثانى عشر ، وقد قال اثر رسالة نقلها لابراهيم ابن محمد بن عبد الله بن يعقوب كتبها عارفه وعارف خطه محمد بن محمد ابن محمد البحرى لطف الله به ، ونقل من خطه احمد بن علي بن احمد بن عبد الرحمن امزوغار . فان كان البحري يعرف سيدى ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن يعقوب المتوفى عام 1160 هـ فهو حينئذ كبير ، ولا ندرى متى وفاته وهذا كل ما وقفت عليه حول هذه الاسرة البحرية العالمة ، وقد سمعت عنها انها شريفة النسب ، وان لهم ايضا منازل بجانب (ادوز) والاسرة من الاسر العلمية السوسية

وأما اهل الدقيق فلم أعرفهم الان، وقد كنت ارجو لحوق سيدي ابراهيم العوفي اخي الفقيه لعلني اكتسب منه بعض ما فاتني عن الفقيه اذا بالحمام قد حال ايضا بيني وبينه، فقد وجدناه توفي قبل مجيئنا باسابيع قليلة، وللتأخير دائما آفات .

وجـــــان

سرنا صوب (وجان) انا وابن العم والفقيه ابو العباس العوفي ، فقطعنا بسيطا بأحاديث متسلسلة يتولى غالبها ابن العم وقد يجول في بالي ما كان مضى في ذلك البسيط من حوادث تاريخية ، لان (وجان) مفتاح جزولة من قديم، ولوجان في نشأة ادباء وفقهاء وقضاة وفي اثر الحوادث الحربية تاريخ طويل الذيل ، ولو كان هذا التاريخ كله منسقا ومجموعا في ساحة واحدة لاستوقف الابصار وبهر الافكار ولكن جل ذلك ضائع ، وما لم يضع فانه مبعثر اثناء الكتب هنا وهناك .

وصلنا امام المقبرة التي فيها قبة تنسب لسيدي ابي ابراهيم جد الدغوغيين فنزلنا فزرناه مترحمين على روحه في اي محل كان مقبورا فيه جسده فإن المؤرخين يرون انه مدفون في مكان معروف بآيت جرار، وذلك هو الصحيح والعامة في وجان يرون غير ذلك ، وامام المقبرة متسوق سوق الجمعة الحديث

ثم ركبنا فقلت هذه هي (تانوت) بوجان فليت شعري اين ذهبت آثار علمائها التدغوغيين ؟ واين مؤلفاتهم التي يظهر من كلام البعقيلي في (كراسته) انها موجودة تزخر بها الخزائن ؟ ام انما هناك كتب ملكوهـا فتمزقـت ، وكيفما تمت عبارته فأين اثر من تلك الاثار ؟

حططنا رحالنا في دار الرئيس محمد بن المحفوظ رئيس فرقة من الوجانيين وعلى الاخرين انسان من آل القائـد موسى من آل باكاس مـن شـرفاء آل عمرو اخوة آيت محمد شرفا' تزنيت وهم الذين تأثلت فيهم القيادة والرياسـة الرسمية في (وجان) . وانما زاحمهم المحفوظ العصامي اخيـرا وكان مغـوارا مخاطرا . فلم يزل كذلك في ايام المغالبة قبل الاحتلال ثم تعين رئيسـا رسميـا بعده الى ان كانت الحادثة الواغزنية المشؤومة فألحت الحكومة في التفتيـش عن كل من تبقى عنده اي سلاح ، فكان أحد من جرفهم ذلك السيـل العرم ، فسـجن في جهة تارودانـت الى ان مـات في تلك المدينـة في يوم الجمعة 26 شعبان عام 1357 هـ وولادته نحو عام 1293 هـ ولم يكن معمرا ، وانما كان رجلا يركب العظائم لانه خلق للعظائم فـكان من اعجب اقرانه العصاميين في العزائم ثم ولى ابنه محمد رسميا مقامه ، فـكـان يذكـر وتتحـدث به الالسن وولادتـه نحو عام 1326 هـ فهو اليوم شاب ملأ مركزه بكل ما ينبغي لامثـاله وقد تلقانـا احسن متلقى في روضه الزاهـر ، فأفـاض ما أفـاض في الضيـافة واعتنى غاية الاعتناء بما نحن في صدده من جمع الاثار وهو محمد بن المحفوظ بن احمـد ابن بلعيد بن علي بن احمد بن يحيا ، ويقولون ان الصـالح المسمى سيـدي الغياث المضاف اليه شعب سيدي الغياث الشهير في اسفل بعقيلة جدهم الاعلى هم والزعنونيون من رسموكة، ولايزالون ينتابونه الى الان بالحفلات السنوية المعتادة اقامتها على الاضرحة المعتقدة ويقولون ان سيدي الغيـاث في اوائل القرن العاشر وقد كان هو وسيـدي ابو القناديـل دفين فونتي مـن الذين يحاربون اولا في تخوم الجبال اولاد جـرار المستولين اذ ذاك على بسائط كل ازاغار لان للجراريين يدا مع البرتغاليين الذين استقروا اذ ذاك في فونتي

يتاجرونهم ويمــدون اليهم اليد ، فيقـوم الجزوليـن ضدهم وقـد انحاز اليهم الدغوغيون من وجان وقد جلوا عنه ، فيسكنه الجـراريون فلـم يزالوا على ذلك الى ان بايعوا الاول من السعديين فصمدوا اليهم فأجلوهم عن البسائط كما اجلوا البرتغال عن فونتي واذ ذاك فقط انبسطت ايدي الجزوليين في ازغار

حكى لي كل هذا العدل سيـدي الحسين بن الحسـن بن محمد ابن محمد بن احمد بن يحيا بن محمد بن محمد بن عبد الله بن سعيد الرسموكي ثم الوجاني ، وقد لاقيته هناك وهو ممن له ولوع بالاخبـار وزد على ذلك ان وجان نفسه كان للجراريين اذ ذاك ، وقال عن سيدي ابى القناديل انه من الدغوغيين وقد يسمى في الظهائر بابى الضياء ولا يزال اولاده آل تانوت بوجان الى الان ، وتحت ايديهم من ظهائر السعـديين فمـن بعـدهم نحو 30 ظـهيرا تدل على كل هذا وهم المعتاد ان يتولوا ضريح جدهم في (فونتي)

ثم قال ان حرطانيا يسمى الغازى كان ايضا مجاهدا وبيد اولاده الى الان تحرير واحترام من السعديين ، كما بايديهم حقل يتداولونه الى الان وفي رسم عندهم ذلك الاحترام .

اقول كنت سمعت من بعض آل سـالم التيمكيدشتيين الركركيين يزعم ان ابا القناديل من جدودهم ولكن ظهر الان غير ما زعم وإنه دغوغى لاركراكى ثم ان ما ذكره المذكور عن الجراريين قريب جدا لاننا نعلم ان المـرينيين كانوا اطلقوا لهم الايدي في بسائط سوس ، ولـذلك تكشف اول القرن العاشر عن استيلائهم التام على كل البسائط ، ثم لم يزل امرهم يتنـاقص حتى جاءت جزولة بالسعديين اولا ثم بدولة (ايليغ) ثانيا فانتزعت منهم كل الاراضى وبذلك يفسر كون بودميعة مالكا لغالب تلك البسائط لانهم كانوا مع يحيا الحاحي ضده اولا ثم لما تمكن زحزحهم حتى انكمشوا في المكان الذي استقروا فيـه الان وبذلك ايضا تفسر العداوة المتأصلة بين (ايليغ) والجراريين وقد استمرت الى وقت الاحتلال ثم فترت ، ولعل آثارها لا تزال كامنة اثناء الصدور.

وقد ذكر الحاكي المذكور ان جده سعيدا الرسموكي الزعنوني كان

عالما من اهل الحادى عشر . كما ذكر الحاكي عن نفسه انه اخذ ما عنده من المعارف عن سيدى احمد بن علي الايبلاغنى. ثم عن سيدى محمد بن القائد الحاحى ، ثم عن الفقيه سيدى محمد بن عمرو ثم عن الفقيه محمد بن العربى الادوزى .

ومما اخبرنا به أيضا ان عبد الكريم بن عبد الباقى بن احمد بن موسى من آل بودميعة ، كان جلا عن تارودانت . حين اجلاه عنها يحيا اولا، فنزل في وجان فبنى هناك قصبة سماها تارودانت ولا يزال محلها معروفا بهذا الاسم كما حفر عينا لا تزال الى الان معروفة به كما حدث ايضا ان هناك موضع حديقة تنسب للامير العلوي احمد ابن محرز كان ينتابها حين كان مبايعا في جزولة ضد عمه السلطان مولاى اسماعيل ، ولاتزال الحديقة معروفة الى الان بتلك الاضافة .

ومما ذكره ايضا ان الرؤساء في وجان كانوا من آل ابى بكر اخوان ءال عمرو . ثم منهم الى ءال عمرو الباكاسيين هكذا حفظه الله افادنا كثيرا افادات نشكره عليها شكرا جما ، وله باع حسن في المعلومات العامة ، وسمت يدل على طهارة سريرة

تلقانا الاديب المحفوظ الحافظ المحاضر ، وقد كان دائما تحت كنف الشيخ محمد بن المحفوظ يريشه ويذود عنه كل ما يوذيه وقد اسكنه في دار له ، فلم ننشب ان رجعنا معه الى الادبيات . فكان مما انشد :

وما مات امرء ترك المزايا　　وخلف بعده ولدا نبيلا

وانشد ايضا :

اعاذلتي على اتعاب نفسى　　ورعيي في الدجى روض السهاد
اذا شام الفتى برق المعالي　　فأهون فائت طيب الرقاد

وأنشد أيضا :

وكانت في دمشق لنا ليال　　سرقناهن من ريب الزمان
جعلناهن تاريخ الليالي　　وعنوان المسرة والتهاني

وأنشد أيضا لابن الخطيب :

امدد يد البر والرحمى لذى كبر — دنت خطاه لدهر قد تخطاه

واذكر يتيما ومسكينا وأرملة — فمن تذكرته فالدهر ينساه

ومنها :

ول الرسائل ذا عقل ومعرفة — للكتب ان كنت للاسرار ترضاه

لا يعرف الشوق الا من يكابده — جرى به مثل كنا سمعناه

وأنشد أيضا لعمر بن ابي ربيعة :

تقول وليدتي لما رأتني — طربت وكنت قد اقصرت حينا

اراك اليوم قد احدثت شوقا — وهاج لك الهوى الداء الدفينا

وكنت زعمت انك ذو عزاء — اذا ما شئت فارقت القرينا

بعيشك هل اتاك لها رسول — فشاقك ام لقيت لها خدينا

فقلت شكا الي اخ محب — كبعض زماننا اذ تعلمينا

فقص علي ما يلقى بهند — فوافق بعض ما كنا لقينا

وذو الشوق القديم وإن تعزى — مشوق حين يلقى العاشقينا

وانشد أيضا :

مضت الدهور وما اتين بمثله — ولقد اتى فعجزن عن نظرائه

وأنشد ايضا :

بلغ السيادة فى ابتدا' شبابه — ان الشباب مطية للسؤدد

وانشد أيضا :

ياضاربين على الاوتار عاودني — بما سمعت شباب كان قد ذهبا

لولا الوقار ولولا انني رجل — بدا البياض برأسي صحت وأطربا

ثم ناولني هذين البيتين :

يامرحبا بالعالم المختار — شمس الهدى وسلالة الاخيار

بك مرحبا اهلا وسهلا مرحبا — يا صفوة العلماء والابرار

فكتبت له في الحين من شق القلم :

رحبت والترحيب خلق سار ۞ للاكرمين جدودك الابرار

ما ان يعبر عن خصال اخى ندي ۞ جم سوى ترحيبه المعطار

وخاطبه ابن العم سيدي ابراهيم بقطعة مطلعها :

كن كما شئت فالزمان هناء ۞ ولك السعد خادم والقضاء

وهى توجد فى ترجمته فى (المعسول) ان شاء الله.

وقد قلت لابن العم شعرت بعدي ؟ فقال : لكنك انت نزلت درجات عما كنت فيما نعهدك عليه . فقلت انني قلما يواتيني الجيد الا اذا توسطت بيئة سامية ، فقال اين ما تقول الان وانت انت مستيقظ مما كنت انشدتنيه صبيحة ليلة : ذكرت انك قلت فيها نائما :

ما الغ الغ ولا المختار مختار ۞ ان يسكتا عن امور كلها عار

فقلت ، قد والله نسيت البيت ، وكأنني ما قلته ولا خطر لى ببال، فلا تعجب - اذن - من المحدثين الذين يذكرون من غرائب الاسانيد ، حدثني فلان عن نفسي ، ان كان حدث بحديث ثم نسيه ، ثم اخذه عن صاحبه عن نفسه ، وهذا من عجائب النسيان ، والاعجب منه أنني قلت البيت فى وقت نسيت فيه الغ وما اليها ، فسبحان الله ؛

ماشيت عشية اليوم الاديب المحفوظ بين بساتين وجان فقلت له لاستثير مشاعره التى لا يستثيرها الا الادب :

هذي بساتين وجان الانيقات ۞ لابل رياض اريضات وريفات

فان تكن جنة فى الشام واحدة ۞ فان ما كان في وجان جنات

ثم تذكر قصيدة (أبزو) التي يحفظها كلها فيسرد منها ، ولا بأس ان نسوقها هنا ونحن متأثرون بأناقة الخمائل وخضرة الحقول وتمايل الاشجار الباسقة وخرير المياه المتدفقة، وتغريد الاطيار بسجع رنان، على كل املود ريان.

والقصيدة كنت قلتها في صفر عام 1354 ه وقد زرت (أبزو) نازلا عند الكرماء : القاضي ابي العباس ابن منصور وصنوه ابي زيد فملكت تلك الطبيعة

الخلابة مشاعري ، فقلت :

اهذي جنان الخلد ام هذه أبزو ... منى كل نفس لو يدوم بها الفوز
تجيء الى تلك الجبال اذا بها ... زياتين والرمان والخوخ والموز
تطل على الوادي على حين بغتة ... فيبدهك الحسن البديع فتهتز
تميل يمينا ثم تلحظ يسرة ... فتنظر ما ينضو الوقار ويبتز
مناظر تستهوي الفؤاد كعاشق ... يغازل فاستهواه من حاجب غمز
تحيط بها تلك الجبال كأنها ... لما استودعته من خمائلها حرز
يلوح لك النهر المديد كأنه ... صقيل على الدرع المسرد مهتز
تجول بطرف العين في جنباته ... فتحسبها الديباج خالطه خز
تخالفت الالوان فيها كأنما ... تفتح للعقيان والفضة الكنز
فبوندق نور الجلنار مفتحا ... ويرفل في مبيض ازهاره اللوز
كما نشر البزاز ثوبا ملونا ... فلون له نسج ولون له طرز
ويبهرك النارنج في خطرانه ... كأن قد عراه من مباهجه هز
كما تتثنى اول الرقص غادة ... برفق فلا ريث لديها ولا نقز
كأن طويلات الزياتين ما ارتضت ... بأن يتعالى فوقها النخل والبنز[1]
يغص بها الوادي كأن قد تدافعت ... بمرسى بريطنيا الاساطيل كي تغزو[2]
وفي كل غصن صادح ملأ الفضا ... صياحا فلا همس لديه ولا ركز
كأن قد رأى طيب الزمان فصاح ان ... تأتى لفرصات السرور لكم نهز
كأن قد رأى ان قد حوى السعد وحده ... فأصبح يزهو في الرياض ويعتز
يطير ويهوى كيفما شاء انسه ... فينقر تارات وآونة ينزو
ويقفز من هذا الى ذاك غبطة ... ومن يغد حر العيش طاب له القفز
كأن قد رأى كل الثمار أمامه ... لذيذا[3] فلا حمض هناك ولا مز

1) شجر يطول كالنخل يوجد في الحواضر وما اليها .

2) شبهت الاشجار الطويلة بصواري البوارج والبواخر .

3) فعيل بمعنى فاعل : ياتي ايضا للجمع وللمؤنث (ان الكرام قليل) (وهي رميم) (والملائكة بعد ذلك ظهير) .

فياليت اني طائر اغتدى كما اشاء فلا باب علي ولا حرز
فألزم ابزو لا ازايل روضها الى ان يرى للروح المبرزخ الارز(1)

هنيئا لكم يا أهل (أبزو) فهكذا يفوز ذوو السعدي ويستكمل الفوز
ظفرتم ببنت الشام طيبا ونضرة وآية ذا ان كان عندكم الارز(2)
ظلال ظليلات وماء وخضرة فلله ما احرزتم ساكني (أبزو)
وجو طليق مستطاب نسيمه امنه استمد اللطف نسجكم البز
معاشكم الروض الاريض وغيركم مدى سوله في كوخه الحيس والخبز
فياليت لي من منطق ابن خفاجة فيغدو بالوصف المشخص لي فوز
فآتي بالسحر الحلال بوصف ما لكم وحدكم من بين من ضمه الحوز
ليعلم كل الناس ان بلادكم اذا لم تك الفردوس فهي لها رمز

وقد قلت للاديب المحفوظ المولع بهذه القصيدة، ولوعا هو دون ما تستحق ان هناك قصيدة اخرى ابزيوية كنت قلتها يوم زرتها في ايامى الاخيرة قبل مبارحتى للحمراء ولم انشده الا مطلعها وهاهي الان كلها لتكون ازاء اختها :

خمائل ابزو لا خمائل جلق واجوادها لا آل كل محلق
لها ولاهليها شفوف يعز عن بني بردى اهل الرحيق المصفق (3)
فاين وهاد الغور من كنف السما واين نسوع النعل من تاج مفرق ؟
واين ندى ابناء جفنة من ندى خضم بني منصورها المتدفق
واين البريص الفرد من الف جنة تتيه بها ابزو اختيال مقرطق (4)
بها يجتلى وجه الطبيعة في سنى تحاربه ابصار كل محدق
اليها ومنها كل ما تشتهيه من افانين حسن من ربيع مرونق
ومن متعات بالحقول تأرجت حدائقها عن كل زهر مفتق

1) الارز : الرجوع ارز الى داره : رجع
2) الارز : شجر اشتهرت جبال لبنان من الشام بكثرته فيها
3) تلميح الى قول حسان: يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل
4) المقرطق : لابس القرطق : ثوب جميل معروف عندهم ، والبريص قصر آل جفنة .

تميس بألفاف الغصون مروجها كما لعبت بالخود كأس مروق [1]
فتظهر للعينين سحرا مجسما فايان يرن الطرف يبهر بمونق
نصوع ازاهير ترف وخضرة من اشجارها في جوها المتألق
كما تظهر المرءاة حسناء ارسلت سوالفها عن خدها المترقرق
تخيرها فصل الربيع فبزها من الدهر ارغاما بلا سوق فيلق
فابرز منها كل غصن بوشيه عروسا الى عرش المنصة ترتق
كان صفوف الزيت بين حقولها سطور مجيد الخط من فوق مهرق
كان العيون الزاخرات بهضبها ندى كرم من آل منصور مغدق
كرام لهم في كل صنع صحائف توشي بأنباء الثناء المخلق
فأيان تلق المنتدين تصخ الى مديح سرى عن كل اشدق مفلق
(فشرق حتى لم يجد ذكر مغرب وغرب حتي لم يجد ذكر مشرق)[2]
يسوى بهم سخرية متكرما ضحوك يشا لهوا بلحية احمق[3]
فدامت لهم (ابزو) وداموا بروضها اهازيج سجع للحمام المطوق[4]

كان اليوم الذي جئنا فيه الى (وجان) يوم الثلاثاء 23 شوال وفي عشية اليوم لبينا دعوة الاديب المحفوظ فماشيته فأتذكر انه انشدني اذ ذاك :

تسربلت سربال القناعة والرضى صبيا ، وكان في الكهولة ديدني
وأعظم من قطع اليدين على الفتى صنيعة بر - يالها - من يدي دني

ثم حللنا بداره ، فأرانا من الكرم الحاتمي ما ارانا . واراني انا ما يكرم به مثلي من بعض كتب ، منها (الافصاح في المعاني الصحاح) لابن هبيرة الوزير وهو جزآن صغيران في خلاف المذاهب الاربعة ، والكتاب موجود، والنسخة حديثة النسخ بخط : شبيهن بن ماء العينين .

---

1) كاس شراب مروق
2) قالا المتنبي : فشرق حتى لم يجد ذكر مشرق وغرب حتى لم يجد ذكر مغرب
3) قال : اذا شاء ان يلهو بلحية احمق اراه غبارى ثم قال له الحق
4) هناك قصائد اخرى للسوسيين في ابزو غير هذه، واللها تفتح اللها .

ومما رأيته هناك نسخة من الجامع الصغير بخط محمد بن سعيد بن علي بن ابي بكر بن محمد بن سعيد التاسكدلتي اتمه في 22 من ذي القعدة عام 108 هـ والتاسكدلتيون بيت علم بقي فيهم العلم اجيالا .

ومما استفدته ايضا من كتاب هناك اسم الفقيه العلامة احمد بن محمد ـ فتحا ـ التودماوي الاعلاوي شهرة ، كان معاصرا لاحوزي الهشتوكي المتوفى نحو عام 112 هـ وقد ذاكره أحوزي في بيع الثنيا اثناء فتوى في الموضوع رأيناها هناك واحمد المذكور توفي نحو 1121 هـ

كما استفدت ايضا : اسم الفقيه القاضي احمد بن علي بن محمد بن محمد بن سعيد التصحابي الايلالني ، ولا أعرفه بغير هذا الذي ذكر به هناك .

ومن الكتب التي رأيتها هناك ؛ الجزء السادس من (لوامع الدرر في هتك المختصر) لمحمد بن محمد سالم من ءال محمد سالم البيت العلمى المشهور في صحراء شنكيط ومنها ورقة قديمة فيها توفي شيخنا سيدي احمد بن محمد العباسى ليلة الاثنين لثمانية ايام خلت من ذي الحجة عام 1152 هـ وتوفى شيخنا الفقيه علي بن ابراهيم الحصنى الرسموكي الاربعاء 16 جمادى الثانية عام 1158هـ وتوفي الاستاذ اخونا في الله الحسن بن ابراهيم البرجى الثورى ليلة الاربعاء 2 جمادى الثانية عام 1164هـ قيده محمد بن احمد بن يحيا البرجي انتهى باختصار

ووجدت هناك ايضا كتابا نسخه احمد بن محمد فتحا بن محمد التانوتي الدغوغي عام 1155 هـ .

كذلك ضيفنا الاديب بماله وبادبه ومما افادناه انه رأى كتابا يذكر فيه حكم التصيير لاحد علماء ادوز .

وفي صباح الاربعاء اتصلنا ببعض السادة الامزوغاريين ، وقد اسلس واحد منهم كريم الاعراق طيب الاخلاق يقدر ما نحاوله قدره، وحرن عنا آخر يقولون ان تحت يده كتبا وآثارا للاسرة الامزوغارية العالمة فقنعنا بما تيسر فكان ما استفدنا هناك هو هذا :

1 ـ شرح سعيد الحامدي على قصيدته الميمية المشهورة وهذه نسخة ثانية من الشرح فقد كنا نسمع باخرى عند الاستاذ العلامة الحسن بن مبارك البعقيلى

ثم الهشتوكي فاتيح لنا ان نرى هذه قبل تلك . وقد كنا وقفنا قبل على هذه القصيدة محرفة كثيرا ، وسيجد القارىء القصيدة محررة في المترعات ان شاء الله

2 — كتاب عادي في احدى دفتيه ، دخل العام 1237 ه يوم الاحد فقحط الناس فيه قحطاشديدا فجهد نصف الناس او اكثر، وبلغ الشعير في الاسواق 14 موزونة باداء الثمن وستة اواق بالتأجيل والذرة خمس اواق بالنقد ونوى الخروب 12 موزونة للمطحون منه ، وبلغ العسل 35 اوقية والسمن مثقالين ونصفا او اكثر والزيت مثقالين واركان 15 اوقية، والتمر عشر موزونات فأكثر ونواه موزونتين والبقول غالية والملح كذلك بمثقال وثلاثين موزونة واللحم غال، فإنا لله وانا اليه راجعون والتبن بمثقالين للحمل قيده عبد الله بن محمد ابن احمد الادوزي في 1238 ه ثم لم يدرس الناس الا قليلا جدا عام 1243 ه في بعض الجبال وغارت المياه في جل الابار مع ان الناس حرثوا قيده المذكور اه باختصار ، وعبد الله هنا هو صاحب الضريح في العوينة وقد ترجم مع اهله الادوزيين في (القسم الثالث) من (المعسول).

وفي احدى الصفحات من اطراف الكتاب رسالة كتبها من المشرق الحاج ابراهيم بن الحسن الولوني ، يقص فيها خبر قتل عبد العزيز العثماني وبيعة عبد المجيد ومحاربته مع روسية وأرخها بشهر من 1294 ه

وفي احدى صفحاته ايضا ، في 17 جمادى الاولى عام 1284 ه وقعت آية من آيات الله العظمى الدالة على قدرته وقهره في وجان الذي كان فيه عجيب لم يعهد مثله فيما مضى ، ولم ير له نظيرا اكابرنا ومشايخنا .

نزل ثلج قدر بيض الحجل فما فوق وما تحت مع شدة الرعد القاصف المفزع حتى فزع اكثر الناس وظنوا ان الساعة قامت ثم جرى سيل عرم فتهدم نحو اربعين دارا من تحت الظهيرة ، وإيحوضيكن في بني عبد القادر وبني المقدم وغير ذلك ، قيده احمد بن علي الامزوغاري وفقه الله .

ومن اخرى ما نصه : في عام 1275 ه ظهر النجم ذو الذنب في مغرب الشمس نحو 15 يوما ، ثم بعد ذلك كثرت الفتن بين الناس والزلازل حتى

وقعت وقعة بين اهل المعدر ومن معهم من اهل اكلو وبين اهل ماسة فمات من الاولين في وقعة واحدة نحو مائة او اكثر في يوم واحد ، لكونهم حاربوا الماسيين في عقر ديارهم ، فاجتمعوا عليهم طرفة عين حين هاجموهم فقتلوهم كل تقتيل ، واخذوهم كالجراد ، ويطرحونهم في (تامدانتولو) مع رميهم انفسهم تحت الجرف الكائن هناك ، ووقعت فتنة اخرى بين اولاد جرار في ذلك العام فخربوا ديار اهل ابن واراء فطردوهم عن املاكهم وفضحوهم. ثم مات السلطان مولاي عبد الرحمن ، ثم قامت الحرب بين سيدي محمد وبين اصبانيول ، ولكن هزمهم (1) المسلمون فيما سمعنا ، كتبه احمد بن علي الامزوغارى لطف الله به

3 ـ كتاب عادى كان في ملك احمد بن محمد الامزوغاري وقد استعاره منه احمد بن عبد الله بن سعيد الاكمارى واحسب هذا من البوشيكريين ولهذا خط جميل الى الغاية

وفى صفحة منه ما نصه : مات الاحب السيد علي بن محمد بن عبد الواسع المرزوقي ثم البعقيلي ليلة 26 رجب 1178 ه قيده احمد بن عبد الله بن سعيد الاكمارى .

كما وجد هناك ايضا ان سعيدا التومانارى العباسي توفى الاحد 6 ربيع الثاني 1264 كما وجد هناك قصيدة لسيدي عبد الكريم المناوي البعقيلي تركناها عمدا

4 ـ انموذج لطيف وعنوان شريف للسيوطي وهو بنفسه انموذج اللبيب في خصائص الحبيب ولم يطبع على ما في علمي ، وانما طبع الاصل الكبير في المعجزات والخصائص ، وهذه النسخة من الانموذج مبتورة وقد كنت رأيت الكتاب في سوس مرات على قلته

5 ـ رسالة في ست صفحات كبرى لحسين بن محمد اظنه الشرحبيلي بل اجزم بذلك ذكر فيها احمد بن عبد الله الاسغاركيسى والرسالة مكتوبة الى

1) بل المسلمون هم المنهزمون فاحتلت تطوان ، وما يوم حليمة بسر .

اهل سوس من الناصريين، يوصيهم بالجد، والشرحبيلى توفى عام 1142 ه واحمد ابن عبد الله توفى كما اظن الان نحو 1135 ه.

6 ـ شرح مختصر ابن ابى جمرة له وهو مطبوع اليوم وهو مجموع مع سابقيه في مجلد كبير ، ونسخه في سوس متعددة رأيتها في محلات :

7 ـ اثمد العينين في مناقب الاخوين يتضمن سيرة الهزميرى الاغماني واخيه ، وهي نسخة جيدة في مجلد يكاد يكون ضخما نسخها عبد الله بن ابى بكر بن ابراهيم الكرسيفى والكتاب يوجد على قلة

8 ـ مؤلف لزروق في التصوف ، وهو نفيس قال اثناء خطبته:

اما قبل ومع وبعد ففي كل واد بنو سعد [1] من اطمأن اليهم كشفوه ، ومن اعتمد عليهم اتلفوه، اعنى الذين جعلوا الجهل عمادا والابتداع مهادا والباطل المزخرف وسادا واستمالة قلوب الضعفاء بالترويج [2] مرادا الى ان قال: ولما كان طريق الصوفية محبوبا محمودا بالعقل السليم بعيدا عن ادراك الكافة لدقته مفقود الاصول المثبتة لغربته مجهول الاصل والفرع في حقيقته كثر فيه المدعون بلا حقيقة وتشيخ فيه الجاهلون بلا طريقة وانكره من انكره جملة وتفصيلا ، ولم ينظر فيه المحبون وجها ولا دليلا فهلك فيه قوم بالرد والانكار وهلك آخرون بالاتباع والاغترار ولعمرى ان المنكر اسلم لاحتياطه الخ الخ وهو كتاب صغير لعله مشهور ، وقد كنا عرفنا لزروق في انتقاد التصوف [3] الذي هو من كبار مشيخته غير مؤلف

9 ـ اجوبة محمد بن يوسف الترغي عن اسئلة وجهها اليه محمد بن احمد المرابط البعقيلى وقد ذكر هناك ان البعقيلي تلميذه وهي اسئلة قرءانية اولها في قوله

---

1) هذا المثل هنا مستعمل في محله لانه يضرب في ان كل محل يوجد فيه اشرار وبعض الناس اعتاد ان يستعمله في غير ذلك فغلط .

2) كذا .

3) اعني التصوف الممزوج بالبدع لا الصافي المؤسس على الكتاب والسنة ، فإن هذا لا ينكره مسلم .

تعالى في قصة بلقيس «ولها عرش عظيم» بالوقوف على عظيم وهناك من يقف على عرش،خوف ان يوصف العرش بالعظمة امام ما لملك سليمان، ثم يكون (عظيم) وصفا لامر محذوف وهو خبر لمبتدإ محذوف ايضا ولكن ذلك مردود ، ومنها الراء في قوله تعالى يستحسرون عن تفخيمها او ترقيقها، والترقيق هو الثابت وحده عن ورش كما سأله ايضا عن الراء في (قل ان افتريته فاغرينا وجرين لبشرين، البحرين) واجابه بانها كلها مفخمة كما سأله ايضا عن قوله تعالى «ان انا الا نذير» هل تثبت الف انا في النطق اولا فذكر في الجواب اختلافهم في ذلك، كما سأله عن مخرج الضاد والظاء ، ثم قال آخر الاجوبة : كتبه محبكم محمد بن يوسف المساري الترغي اصلا ومحتدا ، الفاسي منشئا ومولدا نزيل مراكش حرسها الله نسخها السائل. الثلاثاء منتصف رمضان 1001 ه انتهى ما وجده احمد بن علي الامزوغاري منتصف رمضان 1284 ه .

والبعقيلي المذكور هو صاحب الكراسة المشهورة (مناقب البعقيلي) وقد اخذ عن الترغي احكام القراءات بمراكش، ثم لازم ما شاء الله الشيخ عبد الله ابن سعيد الحاحي ، وهو من من الاغرابوئيين، كما انه اخذ ايضا عن عبدالرحمن ابن علي التيلكاني المتقدم بين اهله قريبا والاجوبة في 7 صفحات طوال جلدت مع (اثمد العينين) وما بعده .

10) مختارات من شعراء عاصرهم او قربوا من عصر ادريس بن صفوان الاديب البارع الاندلسي الشهير .

تم الكتاب وفي الطرة هنا ما نصه : تمت المقابلة مع الاصل المنتسخ منه والحمد لله الذي هو اهله . ولم يؤرخ وقت النسخ ، والنسخة على كل حال قديمة ربما تتخطى العاشر الى ما قبل ، وقد كانت في ملك القاضي احمد الامزوغاري مهجو التاغاتيني ، والنسخة في 64 صفحة مائلة الى الطول قليلا في 24 سطرا بخط جميل مائل الى الاندلسي الجميل .

والكتاب اخاله غير معروف كثيرا ، وكله شعر ، ويحتوي على مماتنات ومهاجيات ، وهو يمثل مختار القرن السادس على اختيار صفوان بن ادريس ،

وقد تمكنت من تتبع ما فيه لانه وصلني الى (الخ) فتوفرت له وكأين من نوادر من الخزائن المتقدمة اتمنى لو اجد نسخة لاصفها كما اريد (وقد علمت فيما بعد ان الكتاب مطبوع اخيرا في الجزائر) .

ومن اعجب ما وقفت عليه نقل ابيات من كتاب (تحفة الغابط في مساوي المرابط) وهي :

قفوا واسمعوا اخبار ذي ابنة فشت	فقد عمرت بها القرى والمرابع
فذاك الذي ان قيل من ارذل الورى	اشارت اليه حيث كان الاصابع
لئن كان يبدى عفة وتنسكا	فما هو الا خاتل متصانع
او ان يكثر التسبيح والصوم والدعا	فذاك سراب في الحقيقة لامع
رياء وعجب غيبة ونميمة	والابنة والنفاق والافك سابع
صفات بها قد استقل وحازها	وليس لمن سواه فيها مطامع

وابيات اخرى من كتاب (كشف الطير عمن يتعاطى بالاست الخير)

الا فاصغ واسمع للذي انا سارد	من اخبار شر الخلق شيخ الدعابث
عنيت به الحاوى لكل رذيلة	اخس الانام ابن اللئام الخبائث
لقد نال منه القصد مثر وتارب	كذا كل ذي جد وهزل وعابث
ولو كان يعطى دانقا كل نيكة	اضم من الاموال ثقل البوارث
فليس يلام انه كان تابعا	بحرفته لوالديه الخنابث

الى اخرها من ابيات ساقطة منزعا وموضوعا وانما سقت ذلك لغرابة الكتابين المنقول منهما ، فلم نسمع بهما قط وان كان يظهر ان الكتابين سوسيان ، فهل لنا ان نجيل قداح الحدس والتخمين فنقول :

ان هذا السفر كان بلا ريب في يد القاضي احمد الامزوغاري الذي هجاه احمد التاغاتيني بما هو معلوم افلا يقرب ان يكون كل هذا من هذا القاضي ؟ فيكيل للتاغاتيني بصاع اطفح من صاعه ويزيد عليه بالاسفاف فيما يزنه به ؟ الله اعلم الله اعلم ، غفر الله للجميع بفضله .

ذلك ما وقفت عليه عند سيدى عبد الرحمن [1] الامزوغـاري الفـاضل الكريم وقد كتبت عن اهله ما تيسر هناك في وقت قصير قضيناه عنـد هـذا الكريم، وهو هو بنفسه من كان اعار لنا رسائل رسمية الى اهله مما اودعناه الجزء الثانى من كتاب (ايليغ قديما وحديثا) .

ثم من هناك الى المدرسة عند الفقيه سيدي عبد الرحمن بن موحو الادوزى فقد كان بات عندنا او تعشى معنا فقط فرأيت منه حسن سمة، ودماثة خلق وقد لبينا دعوته فمررنا على ما عنده من الكتب فمما وجدناه هناك هذه الاجازة لسيدي الحسن التمكدشتي لسيدي ابراهيم بن علي الا كلويي ونصها:

الحمد لله الذي فضلنا بالعلم والعمل وخصنا بهذه الملة الاسلامية التي هي اشرف الملل، والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي المرسل وعلى آله واصحابه الاجلة الهداة امثل من عدل

اما بعد فقد سألنى الفقيه الاعدل العلامة الامثل سيدي ابراهيـم بـن علـي الجلوى الا كلويى ان اجيزه في جميع ما قراه علينا او سمعه لدينا من جميـع الفنون العلمية المتداولة بين الاقران في هذا الزمان فاجزته بعـون الله اسعـافا له وتنشيطا له واذنا له في التعليم والارشاد وان ينقل عنا ويسند الينـا روايـة ما يرويه عنا اجازة مطلقة عامة فى سائر الفنون فقها ونحوا وبيانا ومنطقا وفروعا واصولا وحسابا وفرائض، والحديث والتفسير وغير ذلك ، بشرطه المعتبر عنـد اهل هذا الشأن من تقوى الله، وقول لا ادري فيما لا يدرى فقد روى انه نصف العلم واوصيه بالتقوى ولزوم السنة والثبات على الحق والدعاء اليـه سدده الله واصلح به وعلى يديه، وقد رضينا عنه رضى تاما واسندناه لآيات الله ورسـوله ، فنسأل الله العظيم بجاه النبى الكريم ان يتولانا ابدا وبه في اختتـام ذي الحجـة الحرام عام 1279 هـ عبد ربه تعالى الحسن بن احمـد الميمـوني لطف الله بـه .

كما ظفرنا ايضا بهذه الرسـالة التي كتبهـا الاديب محمد بن المحفـوظ

---

1) احسب الاب ان اسمه عبد الرحمن ، ولا اتحقق

التيزى السملالي الصـواغ وهو ابن عم الاديب محمد بن الطيب التيـزى نزيـل (الدشيرة) بالمعدر ونص الرسـالة :

أكاتبكم يا أهـل ودى وبيننا   كما حكم البين المشت فراسـخ
فاما منامي فهو عنى شارد   واما الذي في القلب منكم فراسخ

ـــ

ولما أن نـأت عنكم ديـاري   وحال البعد بينـكم وبينـي
بعثت لـكم سوادا في بيــاض   لانظركم بشيء مثـل عينــي

ـــ

أفدني فدتك النفس كيف سلوتني   لعلي اسلـو فالهـوى لي لازم

من محمد بن المحفوظ السملالى ، اغاثه في جرم جناه الى المتعالي، الى من هو في سماء المعــالي قمر باه باهر ، ومن رياض الـكمالات نور ناه زاهر، حلاحل عصره وفريده الصنديد وقطب دائرة التحرير والتحقيق مولانــا النـدب السيد الرشيـد .

مبارك الاسـم اغـر اللقــب   كريم الجرشى شريف النسب

سلالة العلامة العرفاني ، والسنـد القـدوة الربـاني المرحـوم بالله التقي الكبير السيد الحاج مبارك بن المصلوت الشهير :

نسب تحسب العلا بحلاه   قلدتها نجومها الجـوزاء

وبعد : فلما لم تزل بيننا شقة النوى ممتدة ، وسبل لقائكم الذي هو احلى ما يفرح به منسدة ، وهواجس الاشتياق على الفراق الحت وحرضـت ، ولغرامه الراكد كالمتسلي شبت وتعرضـت :

وما زال في شوقي اليك يقودني   يدلل مني كل ممتنع صعـب

ـــ

بعدتم ولم يبعد عن القلب حبكـم   وغبتم وانتم في الصدور حضـور

تذكـرت ان الخط احد اللسانين ، وان التيمم خلف الطهور ان تعـذر بلا

ين ، وأخذت اشافهكم واناغي بالاقلام ، وأوافيكم على مراسيل الرسائل بأطيب السلام :

لكم من محب الف الف تحية   لها المسك يعنو بالخطوع تعبدا

فإذ لم يتيسر لي الاقدام ، لزيارتكم الان على الاقدام ، ارسلت اليكم نائبا عن حضوري هذا الكتاب ، يستمنح لي من كرمكم الدعاء الذي هو على ظهر الغيب مستجاب ، وقد قال سيد العرب والعجم . صلى الله عليه وسلم وعظم : ادعوا الله بألسنة لم تعصوه بها، ففسر بألسنة الغير عند رواة السنة وأربابها ولاعلام مولاي ان ما في الفؤاد من صميم حبه والوداد، ما فتيء على طول البعاد، وعلى مرور الاحقاب والمدد ينمو ويزداد .

اذا غير النأي المحبين لم يكد   رسيس الهوى من حب مية يبرح

لما روى ابن معديكرب المقداد ، من انه صلى الله عليه وسلم قال فأجاد اذا احب احدكم اخاه فليخبره انه يحبه .

احبك حبين حب الهوى   وحبا لانك اهل لذاكا

الى غير ما هناك من البواعث ، فكل مصدور لابد نافث ،

ثم اتى بنونية من انشائه نمر بها مر الكرام ايجازا ، ثم قال وسلم مني على فلان الذي :

لو كان يرقى احد بجوده   ومجده الى السماء لارتقى

وعلى فلان :

ذاك الذي ما زال يسمو للعلا   بفعاله حتى علا فوق العلا

من محمد المذكور السارد الحديث عندكم مرارا .

-٦-

تلك الرسالة الفذة التي تظهر لنا كيف يبلغ ادب المتخرجين بالعلماء الاقريضيين الكبار ، فقد شاركوا ايضا في الحركة الادبية الجزولية الحديثة بخطوات ، وهذه الرسالة وأمثالها من نماذجها .

هذا الاديب المتخرج بأبي عبد الله الاقريضي ثم الآخذ ايضا عن الحاج

مسعود الوفقاوي ، حى الان 1361 ه فى سملالة وهو اليوم المتولى لشرعياتهم رسميا مع تقاعسه عن ذلك لولا قرعة افلجت قدحه بين اناس اقرانه ، ولا يزال شابا لما يخطه الشيب ، ولم اتشرف بمعرفته الى الان وقد كان زاول الصياغة حينا لان اهله كلهم صواغون والذي كتب اليه هذه الرسالة صاحبنا الاديب السيد الرشيد بن المصلوت الروداني وهو اذ ذاك عند الاستاذ الحاج مسعود كما يظهر، نعم ان السملالى المذكور مشهور بابن الاشكر، لا يعرف الا بذلك(1)

وقد وقفنا من بين كتب سيدي عبد الرحمن على مؤلف صغير في اعراب اوائل الاحزاب ، لسيدي محمد بن احمد المرابط الادوزى الفه عام 1213ه وعلى كتاب نسخه محمد بن محمد الفقيه الوسخيني عام 1184 لاحمد بن محمد بن عبد الله الامزوغارى وعلى نقل من نوازل سيدى عبد الله بن الحسن بن سعيد بن عبد النعيم ولم نسمع بالمؤلف قط ولا بالمؤلف فازددنا الان فائدتين فهو اخو الاديب احمد بن الحسن بن عبد الله بن سعيد

ثم لما انفتلنا من المدرسة تهيأنا للرحيل من وجان لولا ان رغب منا الشاب خليفة الشيخ محمد بن المحفوظ واخوه ان نتناول عنده ايضا الغداء فجلسنا جلسة طيبة نستمتع منها بالاديب المحفوظ الذى افادني كثيرا من شعر اهله ءال ماء العينين ومن تواريخ رجالاتهم وبعض مؤلفاتهم فقد ذكر ان الشيخ ماء العينين ولد الثلاثاء 27 شعبان 1246 ه وتوفى 21 شوال 1328 ه وولده الاكبر محمد الفاضل رمضان 1279 ه وتوفى المحرم 1330 ه وولد شيهن ربيع الاول 1280 وتوفى في كردوس الاربعاء 24 صفر 1351 ه وولد عثمان كما قيل 1282 ه وتوفى بمراكش 1305 ه وعليه قبة وولد محمد الحسن 1283 ه وتوفي بفاس 10 شوال 1334 ه وولد محمد سادتى 1285 ه وتوفى في الصمارة بين الظهرين يوم الاحد 7 ربيع الثانى 1320 ه وولد محمد تقي الله 1287 ه آخر ذي الحجة وتوفى رابع رمضان 1320 ه ودفن مع اخيه عثمان بمراكش ، وولد الطالب أخيار ربيعا الاول 1291 ه ولا يزال حيا في شنكيط ، وولد الشيخ

1) لا يزال أبن المحفوظ حيا الان 1380 ه وكذلك القاضي الرشيد عضو مجلس النقض والابرام في الرباط

الولي قيلولة الثلاثاء 27 جمادى الثانية 1291 ه ولا يزال حيا الان في الساقية الحمراء وولد الاغضف 13 ربيع الاول 1292 ه ولا يزال حيا الان وهو اليوم كبير الاسرة المالعينية وقد ارتضته مقدما عليها فقط بغض النظر عن السياسة - بعد موت مربيه ربه - وهو اليوم في الطرفاء وولد احمد الهيبة ليلة الاثنين مفتتح رمضان ، 1294 ه مختونا وتوفى ضحى الثلاثاء 18 رمضان 1337 ه وقد خلف من الاولاد محمدا ماء العينين ومحمدا الحسن ومحمدا سادتي ومحمدا نقى الله ، واحمد الهيبة الذي خلفه حملا ثم سمي باسمه وكلهم الان 1361 ه احياء والاول والثالث اديبان حسنان والثاني عالم يذكر وللهيبة نحو عشر مؤلفات وله ديوان شعر . وولد مربيه ربه الملقب ايضا بالغيث ومحمد المصطفى ايضا الاحد 14 ربيع الاول 1298 ه وتوفي على الساعة الحادية عشرة يوم الاثنين 18 من ربيع الثاني 1361 ه ومؤلفاته نحو 120 وولد الشيخ النعمة ليلة 27 رمضان 1300 ه وتوفى يوم السبت قرب الظهر آخر ذي الحجة 1339 ه ودفن في كردوس ازاء اخيه الهيبة ، وولد محمد عبد الوهاب رمضان 1301 ه ولا يزال حيا في احواز وادى نول وولد الديه عام 1305 ه ولايزال في بوزا كارن وولد محمد بشرى 1306 ه وتوفى السبت 12 ربيع الثاني 1352 ه في ايفني ويقال ان عليه مشهدا وولد محمد المصطفى 1307 ه وتوفي شوال 1352 ه بكردوس وهو عالم اديب حسن ، وولد محمد ابو الانوار شعبان 1308 ه وتوفى 13 شعبان 1333 ه في واعرون بوادى نول ويقال ان على قبره مشهدا وولد الطالب ابوبكر ليلة الثلاثاء 12 جمادى الاولى 1309 ه ولا يزال حيا بالصحراء . وولد محمد الامام الشاعر العبقرى 1310 ه ولا يزال حيا في افني وولد محمد ابراهيم شوال 1313 ه وتوفى السبت 7 المحرم 1361 في احواز وادى نول . وولد محمد الزين 1315 ه وتوفى 1336 ه بمدرسة آيت رخا وولد محمد المعلوم شعبان 1319 ه وتوفى ضحوة 14 ربيع الثاني 1338 ه وولد محمد سعد ابيه ليلة الخميس 9 ذي القعدة 1326 ه وتوفى 1353 ه .

فهؤلاء اولاد الشيخ المدركون وقد اثنى عليهم سبطهم هذا ثم انشد :

وما اراني بمستوف مناقبهم ولو نظمت لهم زهر النجوم حلى

وقد املى علي ذلك كله من حفظه ثم راجع مذكرة متثبتا فاصلح بعض ما رآه غلطا وهذه فائدة كبرى لهذا البيت المنكوب بما نكب به في سبيل الله

لقد علم الاقوام لو ان حاتما اراد ثراء المال كان له وفر

وقد حدثني ايضا بأن لمربيه ربه مؤلفا سماه (قرة العين ، في كرامات شيخنا ماء العينين) في مجلد ضخم وقد قايس فيه بين المعجزات النبوية وهذه الكرامات ويستطرد ذكر بعض من يروون له عن الشيخ فترجم منهم اناسا فهناك تراجم من اصحاب الشيخ [1] كما حدثني ايضا ان للشيخ النعمة مؤلفا سماه (الابحر الماعينية ، في بعض المدائح الماعينية) في مجلدين ضخمين ، ذكر فيه 280 من اصحاب الشيخ قال انه مما استولى عليه المحتلون في كردوس [2] وحدث ايضا ان هناك مؤلفا يسمى (بحور البدائع المحتوية، على درر الاشعار المصطفوية) جمعه الشاعر الكبير ابن العتيك ويتضمن مقدمة وثمانية ابواب وخاتمة . فالمقدمة في مدح الشعر وما قيل فيه :

الباب الاول في الثناء على الله من شعر محمد مصطفى مربيه ربه واول ما فيه :

فلك الهوى في بحور الحب اجراها ذكر الاحبة باسم الله مجراها

الباب الثاني: في امداحه النبوية واول ما فيه :

بانت بصحرا الحجا تستن اهواء وللدواء على الاهواء اغراء

الباب الثالث: في مدحه لوالده الشيخ ماء العينين واول ما فيه :

برقت محاسن بهجة الحسناء فجلت غياهب حندس الظلماء

الباب الرابع: في محاوراته لاخوانه واول ما فيه ما قاله للهيبة :

كل امرىء في الهوى له الذي كسبا والشيء فيما اقتضاه يتبع السببا

1) رأيته فاقتبست منه في (المعسول)

2) انه اليوم بجزءيه في الخزانة العامة بالرباط وفي احد جزءيه بتر

الباب الخامس : في مخاطباته لمعاصريه ، وأول ما فيه مخاطبة له لماء العينين ابن الطالب ابراهيم وهو سبط الشيخ وقد دفن بكردوس وقد ذهب عن حفظ الحاكي اول القصيدة ، وقد ذكر هناك مخاطباته لبعض السوسيين كالشاعر شيخنا الافراني ، والبليغ الاستاذ ابى الحسن الالغي رحمه الله .

الباب السادس : في النسيب الذي قاله . واول ما هناك قصيدة سينية .

الباب السابع : في اقواله المختلفة في القواعد والحكم وغيرها .

الباب الثامن : فيما قاله في التضرع الى الله .

الخاتمة :

في قصائد الذين مدحوه من الصحراويين ومن السوسيين ، وقد ذكر هناك الشاعر الافراني والبليغ الالغي وابنه محمد بن علي وسيدي الحاج عابد وسيدي الحاج الحبيب وابو العباس ابن سعيد الاكماري واحمد البنائي الغشاني ومحمد بن المحفوظ الصواغ السملالي ، وأحمد الادائي الرسموكي ، وادريس الناغاجيجتي ، ومحمد بن محمد بن بلقاسم السملالي .

هؤلاء من استحضر الحاكي انهم ذكروا هنا بقصائدهم ، وقد طالع المؤلف ومنتهى ما في الخاتمة 40 شاعرا والكتاب مما دخل في ايدي المحتلين بكردوس في آخر عام 1352 هـ

فذكر الله بكل خير الاديب المحفوظ الذي حافظ على تراث اخواله ، فلا يملا المجالس الا بذكرهم واخبارهم ، والمرء مجبول على حب اهله لا يلام على ذلك عند العقلاء الالباء .

ومن علماء وجان الذين استفدنا مرورهم هناك من غير الامزوغاريين الذين اخرنا ذكرهم الى فرصة اخرى ان شاء الله ، ومن غير آخرين كانوا معروفين عندنا قبل : مبارك بن احمد من آيت موسى الذين يقال لهم المقدمون وهو من اهل اواخر القرن الثانى عشر ، وكان يشارط في مدرسة تازروالت ،

ويدرس فيها ازمانا كثيرة وربما يتوفى في وباء 1214 ه وآله المقدمون هم الاصيلون في وجان .

ومحمد بن احمد بن عمر من آيت بلقاسم بن الحسن من آل المقدمين المذكورين اخذ عن الاستاذ ابن العربي الادوزي كان ينسخ كثيرا ويزاول النوازل احيانا ، ومداركه حسنة توفي عام 1337 ه اما في جمادى الاولى واما فى جمادى الثانية ، ولعله هو الذي يخاطبه الاستاذ بن مسعود بقوله :

يا محمد يا سنا وجانا   من به زين افقه وازدانا
دمت فذا تبري القلوب بما تكـ   ـتبه معجبا لنا حسانا
ان ما قد حررته كان حقا   واضحا كيف تبتغي اعوانا
وعليك السلام من ربك المنـ   ـعم يعطى لنا جميعا جنانا

تيزنيت :

ركبنا ثلاثتنا على بغال تذكرنا بأوصاف بغلة ابى دلامة ، فكانت تدب بنا دبيب السلاحف فى ذلك البسيط الافيح فلولا مجاذبة الاحاديث بيني وبين الاستاذ ابن العم وبين الفقيه العوفي لاتى علينا الغم، هذا والسماء قد اكفهرت والغمام يؤذن باندلاق صيبه على رؤوسنا، فلم نصل سور المدينة حتى اصابنا من طلائع الغيث رذاذ فندخل الباب وابن العم ينشدني - وقد استنشدته من بنات فكره - من قصيدة يخاطب بها احمد شوقي الدكالي ، ومطلعها :

ماذا يفيد شبابك الفتان   يا احمد وشعورك الولهان؟

الى آخرها وهى فى ترجمته فى (المعسول) وقوله عشية وقعة مراكش فى رجب عام 1356 ه من قصيدة :

رزء عرا فأصاب كل فؤاد   ودهى الورى فاضل كل رشاد
رزء تميل الراسيات لهوله   ولوقعه ترتج كل بلاد

وقوله مطلع قصيدة :

ارى هذي الدنا تضع العظاما   وتعلى فوق هامتها اللئاما

وقد ذكر ان له كثيرا من المحاضرات والمسامرات في موضوعات شتى وقصائد كذلك في اغراض مختلفة وهكذا شعر بعدنا بعد ما كنت انا والبونعماني لا نحسبه الا في الذين يناجون بنيات الفنون والمتون لا ممن يناجون الا فكار النفاثات في العقد بالسحر ، او الذين يناغون ربة الشعر

هذه تيزنيت ، وقد وقفت على وثيقة نقلها صالح تيزنيت الفقير محمد واعزيز من دفتر من تارودانت منسوب للسلطان الذهبي ونصها :

«قدر الله تبارك وتعالى على امرأة ذات حسن وجمال بارع وقد واعتدال من بنات ملوك البرابر في السوس الاقصى بتلك البلاد ، انها مشغولة بالزنا ومشهورة بالفساد في الخلوات والجلوات ، وبقيت في تلك الحالة مدة طويلة حتى جمعت في ذلك اموالا طائلة الى ان تداركها الله بعنايته، وأراد ان يعفو عنها فألهمها التوبة ، فتابت بنية خالصة صالحة ، وبكت على ذنبها وأفعالها القبيحة وأسلمت على يد الصحابي الاجل سيدنا عقبة بن نافع الفهري رضي الله عنه في خلافة امير المومنين عثمان بن عفان رضي الله عنه ، وقد ملكت اموالا طائلة ، ونزلت ذلك الموضع المسمى الان بتزنيت بخيامها وعبيدها ومواشيها ، وهي بيضاء صحراء لا ماء فيها ولا شجر سوى الشجر المسمى بالشلحة (انكارف) فالهمها الله تبارك وتعالى ان بذلك الموضع ماء فشرعت تحفر بيدها مع عبيدها بالفؤوس والمعاول فاخرجت العين في مدة قليلة ، فنبع الماء من عين كبيرة يكثر ماؤها احيانا ، يزيد ولا ينقص وبنت عليه المسجد المنمى لابناء طلحة ، وهو الان لبني (واكفا) وهو الاول من مساجد تيزنيت ثم سميت القرية باسمها تزنيت وقد قبلت انها كانت زانية تنكيسا لرأسها شأن الاكابر من الاولياء والعارفين بالله، وبقيت تعبد الله تعالى في ذلك الموضع ولها كرامات هناك. روي عنها انها قالت: من اراد ان يحفظ القرآن بلا مشقة فليقرأه بتزنيت وليشرب من هذه العين وليجتنب ان يعوم فيها ابدا ، وقالت ايضا سيأتي على الناس زمان يفسد اهله ، ويكثر الفساد في تيزنيت ، ويجتمع الرجال والنساء على تلك العين فمن كان كيسا فطنا يحتاط لدينه فليتركها لينجو ، ومن لم

يتركها غرق في الفتن والفساد والعياذ بالله، والزمان الذي حفرت فيه العين وبني عليها الجامع ، هو شهر الله شوال عام 28 من الهجرة النبوية في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه».

انتهت الوثيقة بنقل العدل سيدي الحسن الوجاني الذي تقدم لنا فيمن لقيناه بوجان ، ثم ذكر لي القاضي سيدي محمد اوعامو كلاما يدل على أنه رأى ايضا ذلك في دلائل الخيرات للفقير محمد واعزيز وهي حكاية مخترعة بلا ريب ، وأثر الكذب يلوح عليها من جهات شتى لمن يعرف التاريخ .

كنت رأيت نسخة من كتاب توظيف السلطان الذهبي على قبائل سوس الاتاوة المخزنية السنوية على عدد السروج التي ركب كل سرج منها على عدد الكوانين وهو كتيب صغير ، تتبع فيه جامعه الفقيه ابراهيم ابن علي الجزولي القبائل السوسية ويذكر كل قبيلة وما فيها من عدد السروج ، وعندي من الكتاب نسختان ، احداهما جيدة الاول في الجملة والثانية غير جيدة الاوائل ولا الاواخر ، وفي كلتيهما رأيت بعض ما تقدم ملصقا بها ، وليست من صميم الكتاب ، ولكنها لم تفصل الحادثة هذا التفصيل العجيب ، وانما ذكر فيها ان تيزنيت بنتها امراة زانية ولم تذكر وقت توبتها ولا اسلامها على يد عقبة في زمن عثمان ولا بنائها المسجد 28 ه ولا ذكرت تلك التنبؤات فيها وذلك كله غير ظاهر ان رجعنا الى التاريخ فان المغرب الاقصى ، لم يصله العرب ايام عثمان رضي الله عنه ، واقصى ما بلغوه اذ ذاك بلاد تونس (قفصة) وما اليها ثم صالح ابن ابي سرح البربر فرجع ثم جزر مد العرب الى ان اجتمعت الكلمة ايام سيدنا معاوية فاذ ذاك فقط صار ذكر عقبة بن نافع يروج فقد استعمله امير مصر سيدنا عمرو بن العاصي ، لانه ابن خالة عمرو فافتتح بلدانا في افريقية 42 ه ثم بقى الى ان عزل بابى المهاجر الذي وطئت خيوله لاول مرة تلمسان عام 50 ه وفي عصر يزيد ابن معاوية رجع عقبة المبارك الناصية ايضا الى افريقية وذلك عام 62 فاذ ذاك فقط استتم فتح الجزائر ثم المغرب الاقصى الى ان دخل (تارودانت) فصحراء سوس ، ثم

رجع فقتل كما هو معلوم ثم وقعت ردة كبرى من كل البربر ، ولا ريب ان السوسيين الابعدين من المشرق يقفونهم في الردة ، ثم لم يستتب الاسلام الا ايام موسى بن نصير بعد عام 87 ه في عهد عبد الملك وابنه الوليد ، فقد كان ولد لموسى اظنه عبد الله دخل سوس ، ثم كان واليا عليه في عاصمة (اغمات) الخ فبهذا نعرف ان ما ذكر من تعيين وقت اسلام هذه المرأة ووقت تأسيس مسجد تزنيت المذكور لا صحة له ، ولهذا لا ينبغي ان يعول على هذه الوثيقة الواهية من ناحية التاريخ ومن نواحي اخرى لا تخفى على اللبيب كلفظة الزنا العربية، وهي التى اشتقت منها الكلمة فمن اين تلك الكلمة العربية عند البربر؟ فتأمل كل ذلك يثلج صدرك لرد هذا الافك الصراح .

واحسب ان بعض من يتعصب لتزنيت طرق سمعه من يزن تلك المدينة المباركة ، من انها من بناء زانية اعتمادا على تلك الحكاية الملفقة فنسج بدوره هذه الحكاية على هذا التفصيل ، ثم فوفها بفضائل وبتنبآت فى المستقبل وما الى ذلك لترجع تلك الحكاية منقبة نوثر على ان للمتعصب ان يقول ان لفظة اسم المدينة مشتقة من الزينة لا من الزنا وذلك هو الاقرب .

ومما يتعلق بتزنيت ان سورها ابتديء فى بنائه يوم الخميس الخامس من شوال عام 1300 ه وتم آخر ذي القعدة عام 1302 ه وجدد بناء دار المخزن القديمة التى فوق العين وازاء الجامع والمدرسة فى جمادى الاولى عام 1340 ه وقد حاصرها سيدى الهاشم التازروالتى حينا من الدهر واها اذ ذاك سوير صغير كما يكون للبساتين وذلك فى عام 1226 ه وفى عام 1236 ه وفى عام 1240 ه ثلاث حصارات .

ماســـــة

دخلنا تيزنيت الاربعاء 24 من شوال وقد نوينا ان نركب الى حاحة لاذهب توا الى اداوتنان لصلة رحم هناك ، الا اننى شاورت بعض من مشاورتهم بركة فأشار علي بالتريث فظهرت فى الحين بعد يومين بركة التريث .

زارنا قائد (ماسة) في دار القاضي ليلة الجمعة في عشية الخميس فقال متى ورودكم علينا ؟ فقلت بكرة الغد فقال انني سأعد لكم المراكب ازاء الطريق القريبة من الدار . فبكرنا يوم الجمعة وقد ودعنا الرفيق الفاضل الكريم ابا العباس العوفي حفظه الله للمعالي وادامه نبراسا لتلك الجهة وضاء فرافقنا الناظر ابو العباس سيدي احمد اوعامو فركبنا ثلاثتنا مركوبا آليا لا نقول له عدس[1] ولا نحتاج فيه الى ما كنا فيه امس من تحريك الرجلين واليدين واللسان فقطعت مع الاستاذ ابن العم تلك الصبيحة بحديث حلو الى ان نزلنا مقابل دار قائد ماسة فاذا بالمركوب فرحب بنا القائد الكريم اعظم ترحيب ورأينا منه كرما مجسما مع انه هو المفضل الذي سبق الينا بالتعرف امس وبالاستدعاء الى داره مما يدل على سراوته وان له في التطلع الى المعالي نفسا ابية وهمة قعساء ، ولا غرو فهو من بيت مجيد في ذلك الوادي يعرف احد اجداده الفضلاء العلماء في اواسط القرن الثاني عشر ، وقد وقفنا في ذلك على ما يلي :

هذا فرع صحيح من اصله الصحيح نصه: بيان نسب سيدي علي بن موسى الماسي بموضع صحفة ماسة يعني تاسيلا الاول عبد الله بن بلقاسم بن احمد بن مسعود بن علي بن موسى بن الحسن بن ايوب بن عيسى بن عبد الله ابن سليمان بن يحيا بن يدر بن الحاج مومن بن موسى بن ابراهيم بن اسحق ابن علي بن سعيد بن حميد بن سعيد بن عبد المومن بن عمر بن علي بن دنيال بن يحيا بن حزير بن علي بن عمر بن سكير بن بوكبيل بن رافع ابن ابراهيم بن موسى بن سعيد بن محمد بن احمد بن معقل بن عقيل بن هزراش ابن محمد بن عبد الله بن جعفر بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف . انتهى الفرع الصحيح من اصله الصحيح نقلناه بلا ولا اثر النسخ الشريف في اوائل رجب الفرد سنة 1320 ه عبيد ربه احمد بن الحاج العربي بن محمد ابن محمد بن داود الماسي التيكيوتي رعاه الله آمين وعبد ربه عمر بن احمد

1) عدس : زجر للبغل ؛ قال الشاعر عندما افلت من سجن عباد بن زياد بن ابيه

عدس ما لعباد عليك امارة   نجوت وهذا تحملين طليق

ابن محمد بن عمر الماسي التيكيوتي وفقه الله آمين، انتهى ما وجدناه بحروفه الا انه سقط اخيرا ابو طالب بين جعفر وبين عبد المطلب وخطبه سهل لانه معروف ثم راينا رسم ورثة علي بن موسى الماسي المذكور وقد سماه الكاتب بالقاضي وانه توفي في رمضان 1152 ه وورثته 24 نصفهم ذكور ونصفهم اناث وقد جدد هذا الرسم من اصله نسخا عام 1213 ه أو كان بنفسه هو الاصل .

اذن هذا البيت من الجعفريين الموجودين في سوس بكثرة رغم ما ذكره ابن خلدون من عدم دخولهم الى المغرب ، وقد تكفل برد ذلك العلامة ابن خالد الناصري في كتابه «طلعة المشتري في النسب الجعفري» وان احدجدودهم الادنين كان قاضيا ، فهذا العرق النابض الى السمو هو الذي رفع بضبع الرئيس عبد الله بن بلقاسم البطل المغوار فزاحم بمنكبه قائد ماسة الحاج محمد الاغبالويى وغيره من القواد الحسنيين هناك حتى استطاع الظهور بعد ايام الـكلوايين . فلم تصل سنة 1330 ه حتى كان له شأن ، فبرز في طلائع الاحتلال من رجالات ذلك الوادي المشهورين فحصن مركزه تاسيلا بسور متين عام 1333 ه وربما استمر البناء في العام الذي تلاه ويوجد ذلك مرقوما على الباب الجنوبي ولها اربعة ابواب ويقطنها اليوم نحو 400 دار واما سكان ماسة كلهم فزهاء الفى دار في 20 قرية تصلى الجمعة في نحو 10 منها .

ثم لم يزل شأن عبد الله بن بلقاسم يعلو حتى كان احد اعضاء جيش القائد حيدة حين زحف الى آيت بعمران 13 ربيع الاول عام 1335 ه فسقط ذلك النهار عن عمر يناهز 75 سنة ثم ملأ ولده محمد مركزه الى ان رسا القائد الطيب الكنتافي قرب ذلك الوقت في تيزنيت ، فثارت بينه وبين الحاج محمد القائد الاغبالويي حرب اندحر فيها هذا فخربت داره وجلا عن الوادي فاستقر امر القائد محمد بن عبد الله بن بلقاسم حينئذ قائدا على كل الوادي فاثل ونمى مالا كبيرا يذكر وولد نحو عام 1299 ه وتوفي 17 جمادى الاولى 1360 وهو

الذي بنى هذه الدار الكبرى وفيها رياض[1]كبير متسع الى الغـاية مما يـدل على همته الكبرى في هذه الجهة وقديما قيل ان همم الرؤسا' من الملوك ومن اليهم لا تظهر الا بألسن البنيان الا انه لم يستتم الرياض بعد واحسبه ان تم كما ينبغي بالتزليج والزخرفة ليكونن فريدا في ازغاركله ولا يفضله رياض ناالعينت الا بالعين الخرارة من وسطه، ثم بعده تولى في مكانه القائد مبـارك وهو شـاب مهذب عصري من ابناء الحضارة الذين لهم من النباهة مالهم ، فقد رأيت منه ما يدل على انه يريد ان يعمر مركزه باستحقاق ، فبينما هو يحث قرى ماسة على اصلاح المساجـد من عند انفس السكـان ، غير معتمدين علـى الاصلاح البطـيء الذي تبض به ادارة الاحباس، ويسلف من الجير لبعض القرى ما تتـوقف عليه، اذا به يستمتع بالحياة ويتصل بالعالم بالمذيـاع الـذي وضعـه في داره، وهـو الوحيد الذي له هذا العقل الراجح من رؤساء هذه الجهة هذا مع اهتباله بالكتب مطالعة وتفهما هذا كله لا حظته منه وانا هناك ، فرجوت منه نفعـا عـاما لـذلك الوادي ، وخصوصا حين رأيته يهتبل باقامة مدرسة علمية دينية تكون لكـل القبيلة يحيي بها من التدريس ما كان مضى في ذلك الوادي في زاوية الصوابي ايام الصوابي والتاساكاني ولا يزال مهتمـا بانجاز هـذا المهـم ، ونحن نشكره سلفا ، فعليه الاهتمام وعلى الله الكمال[2]

وقد كانت الرياسة في ماسة متداولة في اسر ، وقد كان المولى الحسن قدم للقيادة محمد بن حميد التاسيلائي عام 1299 هـ فبقي قـائدا الى ان مـات نحو 1302 هـ ثم تولى اخوه القائد مبارك الى ان سجنه المولى الحسن ، كمـا

1) اطلاق الرياض هكذا بلفظة الجمع على الروض المبني المغـروس وسطـه بالاشجار وعلى جوانبه القباب ، مستعمل من حدود القرن السابع في المغرب كما يعلمه من مارس كتب التواريخ في العهد المريني وكانهم عنوا في الاصل احواض الاشجار التي تتعدد غالبا في ذلك البنا' فاطلقوا على كل حوض روضا لانه قـد تكون فيه الازهار ايضا ثم جمعـوا فقالوا رياض وايا كان فهكذا تستعمل الكلمة في العرف ولها مخرج عربي كما ترى

2) تم المراد من بنا' مدرسة علمية هناك فرعا لمعهد تارودانت بعد الاستقلال على يـد القائد الغيور عبد العزيز الماسي المكافح الكبير .

تولى القيادة ايضا على يد المولى الحسن القائد محمدالفنتوري الى ان سجنه مع القائد المعدري محمد ويحيا لانهما تعاونا على تخريب دار القائد علي بن اسماعيل الفنسويي الماسي من القواد الحسنيين ايضا، ثم ان الرئيس الايليغي سيدي محمد بن الحسين تشفع فيما فانطلقا من السجن .

هكذا حكي لي ، وهناك ايضا القائد الحسن بن بوجمعة الولوبي الماسي ، بعد سجن القائد محمد الفنتوري الماسي الى ان سجنه ايضا وهؤلاء القواد هم الذين مضوا حديثا من القواد الحسنيين في ماسة زيادة على القائد همو من اغبالو فقد بقي في مركزه الى توفي قبل 1314 ه ثم تولى ولده القائد الحاج محمد الاغبالويي المعمر الذي لا يزال حيا الى الان 1361 ه وايا كان فلم يجمع وادي ماسة تحت ايالته كله الا ابناء عبد الله بن بلقاسم وحدهم .

ومما يتعلق بماسة تلك الحرب التي خاضوها عام 1276 كما تقدم عند ذكرنا للفوائد الوجانية ولعلها هي التي الم بها الفقيه سيدي احمد بن محمد الالياسي حين كان يذكر لي والده محمد بن الحاج محمد الالياسي ، قال :

ومما وقع في ايامه انه اتفق الجزوليون والازاغاريون على الماسيين فاحاطوا بهم من كل جهة وعلى رياستهم يعسوب ايليغ الحسين بن هاشم ، فانتظر سيدي محمد الالياسي الشيخ احمد الديلمي اخا القائد ابراهيم الديلمي الذي اشتهر بعد ذلك حتى رجع من مراكش فلاقاه وراوده على ان يمد يد الاعانة للماسيين ، فرده خائبا قائلا : ان الناس اتفقوا على ان تقدم كل قرية ذبيحة وتودي الف ريال فرجع الفقيه آسفا فقال لاهل ماسة: دافعوا عن انفسكم واولادكم واموالكم فانتم في الجهاد . ومن قتل دون ماله فهو شهيد ، وليكن كل واحد منكم بمثابة عشرة ، فجمعوا حينئذ همتهم فهاجموا الهشتوكيين اولا فشتتوهم في ذلك البسيط شذر مذر ، ثم تربصوا بالرئيس الايليغي واهل المعدر ومن معهم الدوائر وهم محتلون قرية تاسنولت ، فاتى سيدي سعيد الشريف الكثيرى يجرى في الصلح ، فذهب الى الديلمي والرئيس الايليغي ومن معهما يداورهما على الصلح ، فاستحيا الرئيسان من لقائه اكبارا ان يلاقياه بما يسوءه

فلاقاه انسان يسمى علي بن يحيا بوقاحة فجبهه بقوله : اشتغل بهمك فان اهل ماسة لا بد لهم من غرم المال ومن الذبائح امامنا مرغمين ، والان الدعاء ولا كلام بعد ، فقام الشريف بلا دعاء وذهب، وفي تلك العشية جاءت رصاصة في رأس علي بن يحيا فسقط لا تبكيه ارض ولا سماء ، وفي الليل ذبح الماسيون كلابا وسلخوها ونجروا من الخزف ما يشبه الريالات فملأوا بها صررا فتسربوا بكل ذلك ليلا الى ان تركوه ازاء الدار التى فيها سيدي الحسين ومن معه ، وفي الصباح نادى الماسيون هاكم الذبائح والاموال فاستمتعوا بهما فاننا لا نردكم خائبين ثم دامت الحرب العوان نحو سبع سنوات، حتى سرى الفشل بين شيعة الجزوليين ، فتفرقوا عن الماسيين ، وقد سلموا من المعركات بعد ما نال خصومهم قتل ذريع .

هكذا حكى الحكاية ، وهي بلا ريب تتضمن تلك المقدمة وقد كان هذا الفقيه الحاكي علامة ماسة ، حضر الينا برسول من القائد ، كما استقدم ايضا الفقيه ابا زيد وابن اخيه سيدي الحسن ، وهما من الاسرة الادوزية اليعقوبية الساكنة في (تاسنولت) وكل ذلك من القائد داخل في اكرام ضيافتنا ، لما يعلمه من ان شبه الشيء منجذب اليه،ولا يونس من له نسبة الى العلم الاالعلماء الفضلاء امثال هؤلاء ، وقد اعجبت جدا بالفقيه الالياسي وبأبى زيد، لانهما اليوم فقيها ماسة فيما اعلم فصرت اكتب عنهما ما سنح بعد ما حررت ما الى اسرتيهما ليوضع ذلك بين الاسر السوسية في (المعسول) ان شاء الله

ومما استفدته عن الفقيه الالياسي : ان هناك زاوية تنسب للكنسوسى ، واسمه محمد بن محمد الكنسوسى ، من علماء القرن الحادي عشر وكان ورعا ربانيا ، مقصودا معتقدا ، ويؤثر عنه كل خير . وقد مر هناك عالم يسمى داود ابن علي التملي وكان نوازليا مفتيا يحرر الرسوم كثيرا في عصره، ولم يستحضر وقته بالتعيين ولو بالحدس ، ثم وجدت انه كان هناك في النصف الاخير من الثاني عشر وقد صلى على رقية بنت الصوابى في عيد المولد عام 1185 ه

ومن علماء ماسة ايضا الفقيه بن علي الفنتارى الماسى وهو عالم حسن

جوال فى النوازل ، يعاصر والد الحاكي سيدي محمد بن الحاج محمد ، وربما يتوفى نحو عام 1280

ومن علمائها ايضا الفقيه محمد بن محمد ممن تخرج بالشريف الكثيرى وكان عالما مشاركا حسنا ، توفي فى العقد الثالث من هذا القرن

ومنهم الفقيه يوسف بن محمد بن احمد المرزكونى . واصل اهله من المعدر وجده احمد تزوج بنت العلامة احمد الصوابى فسكن فى الزاوية الصوابية وهو عالم حسن له ذكر كثير فى عصره واما سيدي يوسف المذكور فانه تخرج بالعلامة ابى العباس احمد اوجمل ، فاشتهر اشتهارا كبيرا فى النوازل ، ويقطن فى الزاوية الصوابية ، ويدير كاهله اموال الزاوية ، الى ان توفي بعد عام 1315 بقليل ، ومحمد بن الحسن الفقيه المتأخر من آله كان ابن اخيه ، وقد اخذ عن العلامة المحفوظ الادوزي ، توفى اوائل ربيع الاول عام 1333 ه وهو الذي اجازه باجازة مذكورة ، ثم انهدم بعدهم حمى الصوابى حقيقة وحكما والاسرة المرزكونية احدى الاسر العلمية السوسية(1)

هذه بعض فوائده عن فقهاء ماسة ، وقد حدث عن فقيه بهشتوكة يسمى احمد بن الحاج حمو الهشتوكي اليمزاوى يحسب انه اخذ عن الشريف الكثيرى ، دراكة نبيه نوازلى مشارك وربما شارط في مدرسة آيت يعزى قبيلته وقد خلف بعده هذا الذي صار كاتبا رسميا فى مركز تاركانت نايت موسى باداوزيكى وتوفى عام 1349 ه .

قضينا هناك نهار الجمعة ، اتملى بفوائد هذا الاستاذ الكبير ، وقد قضيت حقبة صغيرة فى السبات فايقظنى من ايقظنى للغداء فصرت كأننى مغشى علي ولولا الحياء لراجعت منامى ، فتغديت معهم وانا لا اكاد اعى ما نحن فيه ، فعرانى حياء من رب المثوى الذي صار يلحظنى ولا يدرى ما بى ثم لم يزل على ذلك الكابوس الا بعد حين وانا نبهت على هذا لاننى استغربت من

1) فى الرحلة الرابعة ذكر متسع لحمى الصوابى وللمرزكونيين

نفسى ما عراني ، خصوصا حين عرانى الخجل بعد من مضيفنا الكريم ثم اننى جاريت القائد تلك العشية في اخبار افادنيها عن بلده، وفي ذلك النهار اخبرنا بان القائد عيادا الجراري رجع الى داره صحبة ولده الشيخ عبد الله ففرحنا له حين يرى اهله ويرونه ، ولكن لم يلبث الا قليلا حتى اسلم الروح الى بارئها ، فظهر ان التربة هي التي ساقته وهكذا الدنيا ، فكم عادت امانيها منايا‌ها ، ولله الامر من قبل ومن بعد

في تلك العشية أرسل الينا الكريم السيد المدني باغبالو يستدعينا فقلت للرسول اننا في ضيافة القائد ، فالامر امره ، فافترقنا على ان نروح اليه في الغد

كان كاتب القائد فقيها نبيلا اسمه الحسن بن محمد بن احمد بن عمر ابن الرئيس محمد من اهل قرية الزاوية الوكاكية بأكلو ، ولد نحو عام 1333 ه واخذ عن والده القرآن في مسجد القرية ولازمه زمانا وقد توفى عام 1346 ه وعن الاستاذ العربى نهو من اهل الزاوية ايضا من حفاظ البصرى وقد توفى نحو ذلك الحين ايضا ، ثم افتتح العربية على الاستاذ احمد بن عبد الله الايدرقي في المدرسة الوكاكية نحو عام 1350 ه لازمه نحو ستة اشهر ثم الى بونعمان نحو 8 اشهر . ثم الى مدرسة تيزكين برسموكة نحو شهرين عند الاستاذ الاديب داود التاغانيني، ثم الى مدرسة ايغلالن عند الحاج مسعود العلامة الكبير العظيم في التخريج وبه نرقت مداركه ومر بالفنون ، لازمه 8 سنوات الى ان فارقه عام 1360 ه واذ ذاك اتصل بالقائد هذا .

في صبيحة السبت بعد الافطار خرجنا لنلبى دعوة الفقيهين ابى زيد وابن اخيه سيدى الحسن الادوزيين اصالة فركبنا على بغال فارهة انا وابن العم ، فنجتاز الحقول المخضرة ونحن في انشراح واغتباط فقلت له هاك مجانا نزهة كان اهل فاس يتمناها احدهم بصرة من ذهب ، وياليت الاديب البونعماني يطل علينا ، فيتمنى لو املس من شارع دار المخزن على زخرفة بنائه الينا فيفوز فوزا عظيما ، فهكذا نتهادى في الاحاديث كما تتهادى بنا

المراكب العادئة المروضة الموطأة ثم اجتزنا ماء النهر الذي خف قليلا ثم تسلقنا الى قرية (تاسنولت) فنزلنا عند اولئك الكرام الذين لا يعرفون الا مثنى وثلاث ورباع في اطعمة الضيافة ، ثم جلسنا نستعرض ما هي الحاجة الاكيدة عندنا ، من كتب الاسرة ، ونقيد ما يصلح للتقييد ، فمما لفت نظرنا هناك :

1 ـ كتاب المرائي لابن جمرة المشهور صاحب مختصر البخارى ذكر فيه : 69 رؤيا نبوية ، تتضمن كلها الثناء على الرائى وفى اثناء بعضها كلام حول احاديث جمة يسأل عنها الرسول صلى الله عليه وسلم . والنسخة في 47 صفحة في 29 سطرا بخط حسن بين وهي جيدة ولم ار الكتاب قبل اليوم ، وان كنت اسمع به .

2 ـ نسخة من المصابيح الكتاب المشهور في الحديث ، وهي قديمة بخط مشرقي بين فى اطراف مجلدها ذهب

3 ـ النكت البديعات ، على الموضوعات ، المؤلف المشهور للسيوطى على الموضوعات لابن الجوزى ، والنسخة بخط مشرقى توجد في مجلد مع مناهل الصفاء في تخريج احاديث الشفاء للسيوطى وهو ايضا بخط مشرقى

4 ـ مؤلف فيه مزج الحديث الذي يساق فيه برجال السند بالمواعظ والانشاءات المتنوعة لاشعار لطيفة وقد تتبعت فيه السيرة النبوية الى الخلفاء العباسيين ، يذكر نبذا عن كل واحد ، وما وقع له وما وعظ به كما ذكر ذلك عن الخلفاء الراشدين . والكتاب الف بعد عام 560 ه والنسخة لا اول لها ولا آخر ، وقد وضع ما وجد هنا تحت ابواب ، ويؤدى لى ان الكتاب من مؤلفات ابن الجوزي ، فان لم يطبع الكتاب ، فما وجد من هذه النسخة المكتوبة بخط بين قيم من الاعلاق .

5 ـ اراجيز في بعضها طول لاحمد الصوابي

6 ـ رجز في النحو لعبد العزيز بن موسى بن عمر ، في نسخة قديمة ولا استحضر الان من هو عبد العزيز هذا

7 ـ بعض أجزاء من نسخة قيمة من البخارى ، مفتتحة بقوله : اخبرنا الفقيه الحافظ ابو علي حسين بن محمد بن فيره الصدفى رضي الله عنه الخ والنسخة بخط رائق غال عال ، ومفتتحها مذهب ، وفي كل صفحة يستدير في الجهات الاربع ثلاثة اسطار مختلفة الاصباغ ، وفي طررها اولا حواش كثيرة تشبه خط الاصل وهناك غيرها مما يخرمزه المتفقهة ، ولكن هذه الحواشي لم تستمر كثيرا ، واظن الان ان تلك النسخة غير تامة ، فهل هذه النسخة منقولة من نسخة الصدفى نفسها التي تذكر اليوم في زاوية (جغبوب) ؟ من يدري او هي فرع من نسخة ابن سعادة .

8 ـ مسائل من الاجوبة الحسان مما التقطه سيدي سعيد الهوزالى من شرح المدونة، كابن غازى وغيره ، فى زهاء 55 صفحة في مجلد ضخم ويحتوي المسائل على 15 بابا

9 ـ شرح المقاصة من المختصر . لسيدي ابى بكر وهو صغير ولا اعرف من هو ابوبكر هذا

10 ـ كتاب عادي نسخه محمد بن يبورك بن عبد الله ابن يعقوب ، فعلمنا ان محمدا هذا وان لم يعقب كان من علماء الاسرة ، بل رأيت له انشاء لا بأس به .

11 ـ كتاب عادي وجد فى احد اطرافه : سؤال لشيخنا سيدي عبد الملك الهوزالي ، سأل فيه شيخه سيدي حمدون الفاسي نصه : سيدي اوضح الله بكم السبيل ، وشفى بكم الغليل ، اجيبونا في مسألة خاض فيها بعض الناس حتى كاد يصيبنا منه الوساس وقد اشمأز القلب لسماعها واقشعر الجلد لايرادها وذلك ان بعضهم قال : ان نبينا عليه افضل الصلاة وازكى التسليم افضل حتى من القرآن العظيم فهذا لا محالة لفظ يضطرب منه الفؤاد ويصعب فيه العثور على المراد ، فداركنا بجواب شاف ينقذنا مما نحن عليه من اشفاء على الهلاك واشراف ، فانه لا يقبل منكم عسى ولعل ، لان عليكم المعول، وبعد كتبي هذا عقدته نظما مستمطرا من شيخنا الاديب ان يسعفنابنظمنا الغريبفقلت مستعينابالله

افـدني فدتـك النفس ياجهبـذ العصر
وبيصا عصى فهما نبـوا عن الفكـر
فمذ قرع السمع اشمأز فؤادنـا بحيث تفصيه بما حزت من سر
وذلك ان بعض من يقتدى بـه يقول بان افضـل الخلـق بالاسر
نفضله حتـى على ذكره الـذي عليه من الرحمن أنـزل بالجهر
فهل ذاك افـراط فكـان من الـذي
نهينـا علـيه او لـه اوجـه تـجرى
ادامـك مولانـا لظمـآن منهـلا فتروى ذوى الاوطار في ازمة الدهر
الـجـواب :
جوابك : هذا البحث في سابق الدهر تبدى فجـاءوا بالجواب كمـا الفجر
فردوا علي لوناسبت قدره بـان عمومه قاض بالعلـو على الذكر
فقال المجيب الذكر من حيث لفظه
بدا معجز الكـل فكر بـلا نكـر
ولفظـه محدث كأحمد وهـو لا حديث حكاه في علو وفي قدر
وان بمفتـاح الشفـاء شفـاء من بوسوس شيطان به داخـل الصدر
و (مفتاح الشفاء في تخريج احاديث المصطفى) لسيـدي عبـد الرحمن ابن عبد الرحمن الفاسي بين فيه هذا وانه وقع نزاع في عهد الشريف التلمساني وجوابه . والله الهادى الى الصواب وكتبه عبد ربه واسير ذنبه : حمدون بن الحاج ، كان الله له انتهى من خطه بواسطة .
ثم كانت بعد كل ما تقدم هذه الابيات من غيـر ان تنسب لاحـد والغـالب انها لعبد المالك المذكور
هو الذكر والقرآن والدين كله فتفضيل هـذا دون هـذا فضـول
وما لم يرد عن خيرة الخلق نحوه أكـف لسانا عنـه لست اصـول
وقد قيل في التفضيل في الوقف ما لهم
ذوي جـرأة فيـمـا تخطـت فحـول

واني لو سئلت عن ذا لقلت ما   دريت كلاما لم يقله رسول

« ولله در هذا المجيب بهذا ، فهو والله المقرطس للصواب ، والموافق في الجواب وان كان اكثر الناس لايعلمون ، وخصوصا الفضوليين الذين في كل ناحية يتسكعون ، ويسوؤون صنعا في العلوم ، ويرون انهم يحسنون .

لله در هذا السوسي الذي قال الابيات اللامية فانه وافق الحق ، رحمه الله عنه فكأين من ابحاث هي فضول توجد في كل علم ، كما يقال في النحو عن الرافع للمضارع وعما هو الاصل في المرفوعات المبتدأ او الفاعل وعما هو الرافع للمبتدأ الى امثالها مما لا مرق له ، ورحم الله شيخنا العلامة الشيخ شعيبا الدكالي حين كان يدير هذا مرارا في دروسه بعد ان يقرر ما يقولون. خوف ان يظن به انه لم يفهمه ، ويقول بهذا وامثاله اشتغل بعض الناس حتى فاتهم العلم الصحيح من الحديث واتقان المذاهب والتفسير ، ويقول : كل خلاف لا ثمرة له فالاولى نبذه وراء ، »

12) كتاب عادي في طرة منه : وبعد فليعلم الواقف على رسمنا هذا من ائمة المسلمين وعلمائهم اننا ادركنا وعقلنا قضاة بلادنا وفقهاءها رحمهم الله ، منهم : (1) سيدي ابراهيم بن محمد بن محمد احكوك (2) سيدي محمد بن سعيد ابن ابراهيم التيخفستي السملالي (3) الفقيه سيدي محمد بن سعيد بن عبد الله العباسي السملالي (4) سيدي عبد الله بن محمد بن حمزة السملالي (5) سيدي علي بن محمد التملي (6) سيدي على بن محمد بن سعيد التيلكاتي (7) سيدي يوسف بن يعزى الرسموكي (8) سيدي عبد العزيز بن ابي بكر بن احمد الرسموكي (9) سيدي محمد بن ابراهيم التمراوي الرسموكي (10) الفقيه المعتبر في زمانه سيدي عبد الواسع بن ابي القاسم المرابط من اغرابو البعقيلي 11) سيدي يوسف بن عمرو البعقيلي (12) سيدي مسعود بن احمد بن عبد الله الساموكني الاصل بسطح بعقيلة (13) سيدي احمد بن محمد بن يعزى الامزوغاري البعقيلي (14) سيدي احمد بن ابراهيم التومناري[1] (15) سيدي عبد الملك بن

1) هكذا التوماناري واخاف ان يكون تصحيفا من التامانارتي .

محمد بن ابي القاسم الافراني (16) سيدي مسعود بن سليمان بن ابراهيم البعقيلي ... فقهاء وقضاة بلادنا رحمهم الله انتهى ، وقد ذكر فيهم من لم نعرفهم في ... القرن الحادي عشر، فاستفدنا ان الجميع من اهل اواسط وأواخر ذلك القرن.

13) كتاب عادي نسخه الاستاذ محمد بن ابراهيم عن علي بن عيسى ... علي عام 1225 هـ فيه متون علمية ، وسمى هناك شيخا له مراكشيا ابراهيم بن الحسن الخطيب بجامع ابن يوسف شارح المجرادي ، فعلمنا ان اعجلي ... هذا الحين من الحمراء وابراهيم هذا هو النظيفي الذي شرح ايضا الهدية ... درعي .

14) كتاب عادي بنسخ محمد بن علي بن عبد الله بن يعقوب عام 1061هـ وكان عالما كبيرا فهما كما يظهر هناك .

15) النصف الاول من المعجزات الكبرى للسيوطي ' لم يؤرخ نسخه ، والكتاب مطبوع .

16) كتاب عادي نسخه ابراهيم بن محمد بن عبد الله بن محمد الادوزي بخط جيد ، عام 1257 هـ.

17) قصيدة بائية طويلة في بحر الطويل تتضمن التحسر من استطالة النصارى على الاسلام ، اولها :

الى الله في حال الشدائد يرغب ومنه الرضى والصفح والعفو يطلب

الى آخرها ولم استحضر قائلها ولا العصر الذي قيلت فيه .

18) كتاب عادي فيه بخط الصوابي في ليلة الثلاثاء ثالث عشر ربيع الاول عام 1147 هـ توفي صاحبنا الوفي الصفي الحسن الفهم الزاهد الورع النحوي اللغوي الجيد الادراك في كل فن من معقول ومنقول ، المخصوص في وقتنا وفي قطرنا بفهم مقامات الحريري ومعرفتها، سيدي عبدالله بن ابراهيم الرسموكي سقى الله ثراه شآبيب رضوانه الخ ، كما وجدت ايضا في الاثنين 15 جمادى الاولى 1156 هـ توفي المرابط الخير احمد بن محمد الاماسيني اليبوركي .

19) شرح الحضيكي على الرسالة مجلدان ضخمان ونسخه توجد .

20) كتاب عادي فيه احمد بن سعيد بن احمد الكلسي الصوابي حسن الخط من تلاميذ سيدي احمد بن سليمان الرسموكي الفرضى، حي عام 1165 ه ينسخ .

21) نظم وفيات مشاهير المالكية هناك اوله في مسودته لاحمد بن محمد ابن محمد بن عبد الرحمن بن بلقاسم بن محمد بن محمد بن عبد الله بن يعقوب لعله نظم كتاب ابن يعقوب جده .

22) كتاب عادي فيه تقييد وفاة الصوابي بخط تلميذه احمد بن عبد الله الماسي ، ثم نقلها عنه حفيده عبد بن محمد بن احمد بن عبد الله والجدوالحفيد عالمان لم نعرفهما الا هنا[1] .

23) شرح ابى فارس الرسموكي على السنوسية فى 164 صفحة فى 25 سطرا بخط سيدي يبورك نسخه عام 1055 ه في مجلد غير كبير فكان نسخ النسخة فى عصر المؤلف .

24) فتح الاكمام عن ازهار قواعد الاسلام لمحمد بن سعيد بن عبد الله السملالى بخط يبورك نقله من المبيضة للمصنف وهو منثور كتبه بخطه الواضح فى 10 صفحات فى 25 سطرا ، وهو فى مجلد غير كبير واثره شرح يبورك على ذلك المؤلف فى 48 صفحة واحسب الشرح غير تام هنا ، وربما خرج من هذه المبيضة ، وما هنا واضح الخط بين .

25) انوار السعادة الكبرى فى شرح السنوسية العقيدة الصغرى فى زهاء 60 صفحة بخط يبورك مؤلفه وهو فى ذلك المجموع .

26) شرح القصيدة الرائية للدرعي فى القواعد الاسلامية بخط مؤلفه يبورك وهو صغير فى ذلك المجموع ايضا .

27 ـ لطائف من التنوير لابن عطاء الله ليبورك ايضا وهو صغير في المجموع ايضا

28 ـ كتاب عادي فيه : توفي المحب الفاضل احمد بن علي اليربوعي

---

1) ترجمة الصوابى مستوفاة فى (الرحلة الرابعة) .

في الجمعة 25 رمضان 1093 ه وتوفي شيخنا عمرو بن داود بن ابراهيم المرتني
صفر 1181 ه كما وجد هناك ايضا : توفي الشيخ الوالد الكامل ابو العباس
سيدنا احمد بن محمد بن صالح البعقيلي اصلا بزاوية الصوابي بماسة الخميس
الاول من جمادى الثانية 1240 ه كتبه ولده محمد اه باختصار كما وجد ايضا
اسم محمد بن يعزى بن يبورك بن الحسن السرحاني الايسافني الفقيه ، وكان
حيا 1209 ه يزاول النساخة بخط حسن .

كما وقفنا على فتوى للفقيه احمد بن علي التهالي الانغاري وعلى اسم
محمد بن احمد بن عبد الرحمن الوجاني يفتي مع ابراهيم بن عبد الله بن
يعقوب ، وعبد الواسع البعقيلي وقفنا في ذلك على فتوى في عام 1087 ه
وعلى كلام لابراهيم بن محمد بن محمد الاحكوكي القاضي .

29 ـ مؤلف في العروض قديم متمزق بقيت منه اوراق متلاشية وصنيعه
ان يأتي بالبحر ثم يطيل النفس باسهاب فيما يتعلق به . فيورد قطعا شعرية
ثم يرجع عليها بتفسير الغريب كما يصنع المبرد في كامله وامثاله في شرح
الغريب ثم يبين المراد من ايراده المقطعة مما يتعلق بالفن ، وهلم جرا مما
يدل على انه كتاب عظيم والباقي بخط جميل .

30 ـ مؤلف في الاوفاق كتب عليه (درة الغواص) وقد سقطت كلمة
ثم ولي مكانها : ابراهيم بن احمد التملي ولا ندرى اهو مؤلفه ام مالكه فقط
وهناك شرحه ايضا ، وليس في كل المؤلف الا ورقة من اوله وقد ذكر لنا ان
لعالم يسمى محمدا الماسي مؤلفا في العروض وبما يوجد عند بعض الادوزيين
هكذا التصق كتاب الاوفاق بهذا المؤلف في مذكراتي ، ولا استحضر
الان السبب

31 ـ شرح عبد الله بن يعقوب الصغير على السنوسية ، وهناك ايضا
الكبير له

32 ـ كتاب النجم ، من كلام سيد العرب والعجم هكذا وجدته عندي
مضبوطا لاحمد بن سعيد بن عيسى التجيبي ثم الاقليشي والنسخة في نحو

60 صفحة صغرى في 17 سطرا وهو في مجموعـة صغيرة حسنـة الخط ، بل جيدة نسخها عبد الرحمن بن محمد الماسكيني . ولكن لم يؤرخ وقت النسخ الا انه ظهر بامارة في المجموع انه كان قبل الحادي عشر والكتاب مطبوع واثره عقيدة ابى عثمان السلالكي مذورة صغيرة

33 ـ رجز فيه . باب صفات الرجال المحمـودة ثم فصـول ثم صفـات النساء المحمودة . ثم فصول باب فى اسماء الحب . باب ما يحتـاج الى معرفته من خلق الانسان ، باب في الاسنان . باب في الحلي وقال في آخر الرجز بعد ما تم انتهت الارجوزة بحمد الله بعد ما صححتها وازلت تصحيفها للسيد عبد الله بن الحاج شعيب من تلضـل الهلالي الايلالنى يوم الجمعة ة المحرم فاتح : 1018 ه قاله ، وكتب منشؤها يحيا بن محمد بن الحسن اللكوسى ، غفر الله له ونفعنا به آمين ونسخت لنفسى ولمن شاء بعدي من الاخوة والاحباب، فرغت من نسخهـا في 17 من جمادى الاولى عام 1149 ه عبيد ربه سبحانه الراجى عفـوه محمد بن محمد بن الحسن التاسوسختى من الايستوال ، كـان الله في المقام والرحيل انتهى فعرفنا هؤلاء العلماء الثلاثة

34) قصيدة في بعض سلاطين المغرب دالية مطلعها :

تأوه مـن عض الزمـان فؤادي وأسحت من بعد النماء تلادي

يقول فى مديحها :

فسل فاس عن ابناء وطاس واسألن مباني النصارى عن جموع فساد

ويقـول :

ايا ابن علي يا ابن بنـت محمد ويا ابن ابي الضيفان انت عتادي

والقصيدة لسعيد الحامدي ، وهي توجد في (المترعات) .

35) رسالة في صفحات صغيرة مدمجة الخط كتبها التيزركيني الى سيدي احمد بن موسى جوابا له عن سؤال الا ان الرسالة تمزقت اعاليها ، ووقع فيها بتر اخيرا ، والرسالة كان اسمها مذكورا في التاريخ .

ـــ

هذه هي الفوائد التي ظفرنا بها في خزانة هذه الشعبة اليعقوبية العالمـة وهى الان موزعة بين سيدي عبـد الرحمن وأخـويه : سيدي محمد الاديـب ، وسيدي احمد الصوفي ثم صار ما لهذين تحت ايدى ورثة كل واحـد منهمـا ، وقد وقعنا هناك على كتاب عليه تحبيس السلطان سيدي محمد بن عبـد الله العلوي على خزانة جامع السويرة[1] وهكذا تبعثرت تلك الخزانة السـويرية . وقد كنت وقفت في خزانة صاحبنا القاضي ابن العربى الدكالى على اسمـاء الكتب المحبسة هناك، وبينها نفائس كغزوات المنصور ابن ابي عامر لابن حيان المؤرخ المشهور ، ولا يدري الا الله اين كـل تلك النفائس ، فإنهـا ـ لا شك ـ وقع لها مثل ما وقع لهذا الكتاب الذي سقط الى ماسة، نعم هناك فوائد اخرى ارجأنا اثباتها الى محلاتها فى (المعسول) ان شاء الله .

ـــ

خـرجنا مـن القريـة فعرجنـا على المكان الـذي ذكروا انه مـرت فيه مدينة ماسة القديمة التي يذكر في اخبـار اللمتونيين انهم فتحوها اثر دخولهم من الصحراء . ولا يزال هناك برج يقال له برج اللمتونى ذكروا انه كان في قصبة لمتونية مبنية اذ ذاك وآثار الاطلال للجميع لا تزال. والمحل مشرف على بسيط هشتوكة وعلى وادي ماسة ، فينجو من يعلوه من الوخم وهناك اثر للمسجد ، ويقولون ان العمارة لم تزل متصلة هناك الى ان اتى طاعون جارف فانقرض السكان الا من هربوا ، فاسسوا قريـة اخـرى وايـا كان فكون هذا المحل هو تلك المدينة اقرب من ان نقول ان المدينة عين رباط ماسة الاتى الذكر ، لان العمارة هنا اسهل واقرب والله اعلم

ثم بين الظهرين رجعنا الى دار القائد الذي كان اذ ذاك في تيزنيت، وقد كان خرج اليها وقت خروجنا في الصباح فـوجدت امامى جـواب رسالة

1) يرى بعض النبهاء كتابة اللفظة بالسين من سور البلد مصغرا ، واما بالصاد فبعيدة المعنى ، وقد كان علماء قبلنا يكتبونها بالسين ، واما نحن فنالف ان نكتبها بالصـاد الا اذا تنبهنا فنكتبها بالسين .

كتبتها الى الاستاذ الكبير ، زينة هشتوكة نائب القاضي سيدي الحسن بن مبارك البعقيلي . ونصها :

الاستاذ العلامة ، الكبريت الاحمر النظار ، السيد محمد المختار ، سلام الله ورحمته على سيادتكم الفضلى ، ومجادتكم المثلى ما طلع هلال وسمع اهلال هذا وقد وصلني كلامكم الاعز وفرحت به غاية الفرح فانشدت متمثلا قول الصفى الحلى

وقفت على ما جاءني من كتابكم فكان لآلام القلوب مداويا
فهيج لى شوقا وما كان ساكنا واذكرنى عهدا وما كنت ناسيا

وقول القائل :

ورد الكتاب من الحبيب بأنه سيزورني فاستعبرت اجفاني
غلب السرور علي حتى انه من فرط ما قد سرني ابكاني
يا عين صار الدمع منك سجية تبكين في فرح وفي احزان

وموعدنا في الدار صبيحة الثلاثاء ان شاء الله الخ باختصار

ثم توجهنا بعد العصر الى اغبالوا ، فانحدرنا فى الطريق المرصوفة فمررنا بسوق الثلاثاء الحديثة البناء بعد ما نقلوا السوق من مكانها القديم . فوجدنا هناك صهريجا حسنا ازاء المجزرة المبلطة ، ويقال : ان فى محل السوق هنا اطلال دار لقائد لم نجد من يحدثنا عنه ثم وصلنا مع غروب الشمس ، فتلقانا اهل اغبالوا الكرام ، كما تلقانا السيد المدنى استدعانا واحتفل لنا غاية الاحتفال بضيافة حضرية لم تغادر كل ما يعرف من انواع الاطعمة من بسطيلة (1) فضلا عن غيرها ، فدل ذلك على اناقة من وراء الحجاب من سيدة سويرية هى ربة الدار ، كما انه صار لنا من حديث مضيفنا المؤنس افضل متعة ، والرجل عصرى من آخر طراز الا انه ليس من بخل العصريين فى شيء وقد دب اليه

---

1) لم يشع هذا النوع من الاطعمة فى مآدب سوس بعد ولكن كانى بها طفح صنعها بعد قليل ، فتقر امثال عيون الغربيين الذين اولعوا بها ، حتى كانوا هم السبب فى ذيوعها فى دكالة وعبدة والشاوية وتادلة ، لانهم يقترحونها على كل من استدعاهم

عرق آله ، فما تظن بمن كان ابن شيخ الجماعة سيدي محمد بن الحسن من القراء الكبار الذين خرجوا طبقا عن طبق في القراءات السبع .

ومما حدثنا به مضيفنا الكريم نبأه مع جرمانيين كانوا تمشوا مع ساحل المغرب باستخفاء يصورونه ، ثم لما وصلوا مقابل ماسة ، ظنوا انهم في مقابلة (افني) ففرهم من رأوهم هناك فلم يزالوا بهم قتلا في الذروة والغارب حتى اوصلوهم الى تزنيت وكل ذلك بيد هذا الحاكي اللبق ، وذلك قرب اعلان هذه الحرب الضروس، وقد كانت القضية شاعت . وهذا هو ملخصها

وقرية اغبالو هذه معروفة هكذا من عام 590 ه كما في (الاستبصار في ممالك الامصار) وذكر هناك ان عقبة بن نافع وصل ساحل ماسة .

وفي صبيحة الاحد ركبنا الى رباط ماسة ، فقطعنا كثبانا فوق كثبان حتى وقفنا على المحل الذي يقال ان مسجدا قديما ردمه فيه الرمل، يظهر بعض اركان اعاليه احيانا ، وازاءه بيت مبني حديثا ، يبيت فيه الزوار ، وهناك بئر هي مسقى قرية حديثة سكنت هناك ، وازاءها ايضا بئر اخرى حفرها القائد الحاج محمد وعن اذنه انتقل اهل القرية من محلهم الاصلي الذي ردمه الرمل حين هددهم بالانسياح نحوهم ، والقرية الان فيها سكان من شذاذ الافاق ، ثم انني وقفت قليلا ازاء ذلك البيت المذكور استعرض امامي تاريخ هذا المحل الذي نسجت حوله روايات[1] حديثية مافوكة كما كان له في القرن الخامس فالسادس فما بعدهما شان كبير عند العباد والزهاد والمرابطين في سبيل الله

وقد ذكر ايضا هذا المسجد في الاستبصار فقال: ان محله مجمع الصالحين والعباد ، وتقام فيه سوق كبرى وقد جرى ايضا ذكره عرضا في تاريخ ابن خلدون ، كما رأيناه ايضا يذكر بعده ولم يهدأ الحديث عنه ، ولا تدفق الزوار اليه الا من قريب ، فيتناساه الاباعد عنه شيئا فشيئا ، ومن تلك القرية تظهر لنا قبة سيدي وساي الذي منعنا من زيارته تدفق الماء في الوادي للامطار الغزيرة التي كانت عجبا في الليلة الماضية حتى كانت في نواح من جزولة بردا

1) رايت في صفحة او صفحتين ما يقال في ذلك عمن يسمونه الباجي .

يقارب بيض الحجل خصوصا في افران وما اليه واما هناك في ماسة فلم ينزل الا مطر ملث منهمر انهمارا هائلا ، فبهذا السبب تعذر علينا الوصول الى ذلك المشهد الذي على سيدي وساي فترحمنا على المدفون فيه من بعيد[1] ثم رأينا مصب وادى (الغاس) ومكان حقول كثيرة كانت مباقل للسكان هناك قد جرفها الوادى فعادت رمالا منهالة ، وقد كان هذا المكان مرفأ في اول عهد بودميعة ، ويضاف اليه بودميعة حتى ليقول الاوربيون عنه صالح ماسة ومن هناك رجعنا على الطريق الممهدة لاننا كنا مشينا على الغابة ، فسرنا تحت شمس حارة الى ان وصلنا قرية فيها قبة صالح يسمى سيدي محمد بن مبارك فنزلنا وتناولنا هناك شيئا من الزاد كان معنا وان كان مقدم الضريح لم يقصر جزاه الله خيرا ، وهذا السيد يقال انه من اولاد السيد الصالح الشهير في آقا سيدي مبارك ، وهو اخو عبد الله بن مبارك العلامة الكبير المتوفى 1015 ه وذكروا انه كان يرد مع سلاطين الى هذه الناحية ، ثم سكن هناك فان كان ذلك كله صحيحا فانه في عصر السعديين ، وربما يتوفى بعد اوائل الحادي عشر

(وبعد ما كتبت هذا وجدنا اخبار الرجل عند اهل اقا فعرفنا انه حقا اخو سيدي عبد الله بن مبارك بلا ريب) وقبته لم تتسع كثيرا ، وقد قرانا في جوانبها الاربعة ابياتا كتبها كاتب بالمغرة ، تتضمن الاتعاظ بالموت فمما هناك

تزود من الدنيا فأنت مسافر ... ولا بد من زاد لكل مسافر

ومنه ايضا :

فلو كانت الدنيا تدوم لاهلها ... لكان رسول الله حيا وباقيا

ولكنها تفنى ويفنى نعيمها ... وتبقى الذنوب والمعاصى كما هيا

وقد كان صاحبنا في هذه الجولة الى رباط ماسة احد نبهاء اغبالوا الغير على الاسلام ، وهو الحاج محمد ، وقد الم بكل الحركة العصرية الشرقية الحديثة وطالع من الصحف ومن كتب قيمة (نحو حاضر العالم الاسلامى) وقد كان

1) قد تيسر الوصول الى القبة فى زيارة اخرى بعد هذه

يسكن في السويرة . ثم حج وثافن ودخل تونس ، وهو من الاعاجيب في ذلك الوادي ، وله اعتقاد في السلفية التي لها روجان اليوم في الحركة الدينية الناهضة الان ، وكان يتخول اهل القرية بالموعظة الحسنة في الرمضانات بمسجدهم .

(ثم انه توفى في آخر عام 1362 ه فابقى ذكرا عطرا وان لم يبق وارثا) وكان يكتم عن العائلة ما لا تحتمله عقولهم من نهوض هذا العصر ويبث فيهم التوحيد الخالص ، وهو حسنة ذلك الوادى في هذا الجيل

وعند الزوال توجهنا الى اغبالوا فسلكنا اليه اواسط الحقول التي تروى بالعين النابعة فوق القرية وقد وقفت عليها كما تروى ايضا بالابار ، لان ماء الوادى يسفل عنها وانما يستقى بماء الوادي الماسيون الاعاون ، واما القرى الواطئة فانما تستقى من عيون توجد في كل قرية وغالب سكان قرية اغبالو من الذين جلوا عن رباط ماسة المندثر وعن قرية اخرى دونه ، ويقولون ان سبب عمران هذه القرية ان معزة حفرت برجلها ، فاذا بماء العين فابلغ الراعي الخبر الى تلك القرية فتجارى اهلها فحفروا حتى جمعوا ماء العين ثم صاروا يتواردون بالسكنى شيئا فشيئا حتى اخلوا تلك القرية القديمة ، وعمروا هذه الحديثة ويوجد اسم اغبالو كعلم هذه القرية في كتاب (الاستبصار في ممالك الامصار) لمؤلف مجهول الفه عام : 590 ه وقد غلط هناك فجعل مصب وادى سوس الكبير هو هذا المحل مع ان مصبه في قرية (تارايست) في قبيلة (كسيمة)

نزلنا في دار رئيس القرية الكريم الشيخ احمد وهو من اسرة كانت جلت قديما عن رباط ماسة ، وهي التى لها رئاسة الرباط كما تدل عليه الاثار الاتية ، وهناك اسرة آل الفقيه الماجدة وتنتسب هي الى الشيخ سيدى محمد بن عمرو الاسريرى من رجال (التشوف) لابن الزيات ، وقد عرفنا نسبه وهو عندنا ، وقد توصلت من هذه الاسرة بمشجر نسبها فاذا بالذى يمكن أن يرفع فيه نسبها الى ذلك الجد ممزق ، والذين ينتسبون هذه النسبة

كثيرون فقد تقدم ذلك عند ذكرنا آل (تاغلولو) وكذلك عرفنا ان بعض افخاذ من تانكرت باداوتنان ممن يمت الى هذه النسبة ايضا، واسرة آل الفقيه عالمة سترد ان شاء الله في المعسول

اجتمع علينا في دار الكريم المذكور الاخوان من اهل القرية واخرون من قرية ايفريان قدموا وسط ذلك النهار يستدعوننا اليهم ، وقد كان بركة المجلس الفقيه الصوفى سيدى الحسن من رجالات اسرة آل الفقيه النبيهة ، وقد اتانى رب المثوى بما تحت يده من رسائل وظهائر يحافظون عليها ، فيها فوائد شتى

آثار عن رباط ماسة

مجموعة ينبغى لنا ان نحييها الان بالنشر ، فان مجموعها ذو فائدة عظمى وربما لا يخلو كل اثر اثر منها عن مطلق فائدة فلنتتبعها على حسب تاريخها فنكتبها متسلسلة كما هى خالطين بين رسائل رسمية او لرؤساء سوس وبين ظهائر الملوك وغيرها مما وجدناه ، واليك ذلك :

— 1 —

يشهد ان هذا الرسم يعرفون جابر بن ابراهيم المرابط معرفة صحيحة كافية ، ويشهدون مع ذلك ان العداوة والبغضاء وقعت بينه وابناء بلى ميط عدة من سنين عادوه من اجل انه يتصرف مع ابنائهم ، كل ذلك في علم شهوده علموه فيه وتحققوه حسب وصفه وفى حال صحة وجواز وطوع ورضى ، وبتاريخ جمادى الاولى سنة خمس وسبعين وتسعمائة ، الشيخ محمد بن سالم شهد الشيخ علي بن عبد الرحمن ، شهد الشيخ يوسف بن مسعود ، شهد عبد الله بن محمد ، شهد يحيا بن محمد ، شهد ابراهيم ابن محمد ، شهد سعيد ابن علي اصدر ، شهد وقيد عنهم علي بن ياسين واحمد بن يزيد شهدا

— — —

مكتوب بخط جيد ، مما يدل على ان كاتبه علي بن ياسين عربي مبين فيكون احد علماء ذلك الوادى في القرن العاشر ثم في اسفل ذلك شهادة اخرى مثلها الا انها مكتوبة بخط رديء وبعبارة منحطة ، وقد شهد هنـاك بمثل تلك الشهادة وتحته اعلام القاضى معوج الخط ، ولعله احمد بن محمد بن ايـوب . فنعرفه قاضي ماسة في ذلك الحين .

ـ 2 ـ

عن عبد الله علي المتوكل على الله امير المومنين الشريف الحسنى ايده الله تعالى واعز نصره بمنه ، يستقر هذا المكتوب الكريم بيـد الفـقيـه الاثيـر المرابط الخير سيدي احمد بن ابراهيم الرباطي امام مسجد رباط ماسة ، يحمل به على كاهل المبرة والاكرام والرعى الجميل والاحترام ، مع اشقائه المندرجين معه (مبجلين) ومحررين من جميع المطالب المخزنية ، وسائر المغارم والخراج السلطانية تحريرا يتم رسمه ويتأبد حكمه على الدوام والاستمرار بمرور الليالي والايام والشهور والاعوام ، لمقامهم العظيم ، واجلالا للقرآن العظـيم ، (والعلـم وحسن احوالهم) لا يغير عليهم في شيء من ذلك عـادة من عوائدهـم ، كمـا كتب لهم مولانا السلطان الوالد رحمه الله بذلك ، ومن اخذ منهم شيئا فليرده لهم ويتركهم على عوائدهم ولا بد وكتب بربيع الثـاني عام خمسـة وثمـانين وتسعمائة هـ

وليس فيه طابع ، وانما كتب السلطان فوقه بخط لا يقرأ وقد عرفنا الان احمد بن ابراهيم الفقيه ، ولايزال ذكره عند اسلافه باغبالو ، وجـابر المتقدم اخوه كما ستراه ، وقد عرفنا ان هناك ظهيرا لمحمد الشيخ الا انـنا لم نجـده ، ولعله تمـزق .

ـ 3 ـ

عن امر عبد الله المجاهد في سبيل الله امير المومنين ابن امير المومنين ابى عبد الله محمد الشيخ الشريف الحسنى ، ايده الله يجدد بحـول الله تعالى

وقوته لحملته اولاد المرابط ابراهيم بن محمد حكم عوائدهم، ومقتضى ظهائرهم المستوجبة لهم التوقير المعتاد لوالدهم مـن قديم ، وعلى مـا اصله لهم سلفنا الكريم جارين على سننهم القويم ، وعلى احوالهم المعتادة المألوفة دون ان تمتد اليهم يد في امر من الامور بخرق عادة او يرومهم فـي جميع الاحوال بنقص او زيادة ، والواقف عليه يمتثل العمل بـه ، ولا يتعـدى واضح مـذهبه، ولا بد والسلام وفي جمادى الاولى سنة سبع وثمانين وتسعمائة .

وفوقه الطابع الكبير المشهور لاحمد الـذهبى ، والظهير قبلـه للسلطان عبد المالك بطل وادى المخازن وقد عرفنا الان ان ابراهيم والد احمد بن ابراهيم كان ايضا قبل ولده رئيس الرباط ولعل ذلك تسلسل فيهم من قبل .

ـ 4 ـ

يشهد من يضع اسمه عقب تاريخ هذا الرسم بمعرفـة اولاد المرابط الخير الدين سيدي ابراهيم بن محمد بن ابراهيم مرابط رباط ماسة نفع الله به . وهم الفقيه المكرم ابو العباس سيدي احمد بن ابراهيم ، وشقيقـه المـرابط سيـدي ابراهيم ، معرفة صحيحة تامة ، ويشهدون مع ذلك انهم هم المتولون امر رباط ماسة المذكور نفع الله به الجميع من الامامة في الصلوات بجامعهم المبارك وغير ذلك من اموره ، يقدمون في ذلك على غيرهم سلفهم عن سلفهم من غير منازع لهم فيه الى الان سيدي احمد وشقيقه المرابط ابراهيم ، وهمـا من اهـل الخير والصلاح والتقى والامانة والعفاف والصيانة ، وانهما لم يزالا يطعمان في الموسم المبارك الفقراء الواردين لرباط ماسة والزائرين له من سائر البلاد من النساء والرجال ، ايام الموسم المذكور حتى يرجع الناس منه، فعلى هذه الحالة عرفوهما ولم ينتقلا عنها ، ولا تبدلا بها حالة سواها حتى الان كـل ذلك كـان في علمهم علموه وتحققوه حسب وصفه وقيدوا به شهادتهم مسؤولة منهم في رجب الفرد عام سبع وستين وتسعمائة .

وفي اسفـل من ذلك اسمـاء الشهود بخطوطهم وعـلاماتهم ، وفي محولـه ما نصه :

فحملته اولاد المرابط الخير الدين سيدي ابراهيم بن محمد المقدم برباط ماسة نفع الله به ، وهو الفقيه الارضى الاسنى سيدي احمد بن ابراهيم وشقيقه المرابط جابر المذكوران بمحوله المتوليان امر الرباط المذكور بالامامة ووظائف العبادات والاطعام للواردين والزائرين يبقيان على مـا عهـد لهم من التوقير والاحترام والمحاشاة ، وامرنا لهما ان يعطيا عشر زرعهما المستحقيه من الفقراء والمساكين على ايديهما في المواسم المباركة بحيث لا معارض لهم في ذلك ونؤكد على الواقف عليهما من خدامنـا ان لا يتعـدون حـدودهم ولا يتعـدى امرنا هذا ، ولا بد .

وتحته كتابة بعض القواد على سوس بخط رديء لا يقرأ وتحته طابع له صغير لم نهتد لقراءته ايضا ، وتدل بعض كلمات قراناها منه على ان المقصود تنفيذ ذلك ثم كان ايضا اسفل منه ما نصه :

ابقينا المرابط السيد احمد بن ابراهيم وشقيقه جابرا على ما كتب لهم به القائد محمد بن مسعود ، عمر بن العربى (1) باعشـارهم على ايـديهم على المساكين برباط ماسة . وكتب بأواسط صفـر عام ثمانية وتسعين وتسعمائة عبد الله بن ابراهيم فذلك الظهير الذي اوله : فحملته اولاد المرابط الخ انما هو من هذا القائد فنستفيد احـد قـواد سوس في عصر احمد الذهبي وان لم نعرف عنه شيئا، واما عبد الله بن ابراهيم المتأخر فيظهر انه رئيس لماسة خاصة اذ ذاك، ثم ان جابرا المتقدم تحققنا الان انه اخو احمد وابراهيم ابنـي ابراهيم فكأنه يترادف مع اخيه ابراهيم فاحيانا يذكر هو ، وحينا يذكر ابرهيم اخوه كما ترى .

ـ 5 ـ

اتفقت جماعة الخير والبركة بنو أومحيا وبنو مدس وبنو ولون على تحرير المرابط الخير الفقيه السيد احمد بن ابراهيم مرابط رباط ماسة نفعنا الله به ، وابن اخيه محمد بن ابي بكر بن جابر الذي في حجره وتحت ولاية نظره في

1) كذا

ما يجري على اهل ماسة كائنا ما كان ، من المغارم واللوازم والسخر والضيافات والمداريات وغير ذلك من سائر ما يجرى على اهل القبيل المذكور معترفين على انفسهم انهم لا مدخل لهم فى جملة نوائبهم ولا كانوا معدودين بينهم لكون إسلافهم رحمهم الله اسقطوهم من حسابهم ومن جملة نوائبهم من قديم الزمان الى الآن حين تاريخه . لان دارهم دار الخير والبركة والدين والعلم والعفاف والصيانة قاصدين بذلك وجه الله العظيم والدار الاخرة وطلبوا من الله تعالى بركاتهم وبركات اجدادهم ، وهذا التحرير لهم ولاولادهم واولاد اولادهم الى منتهاهم حتى يرث الله الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وممن اتفق على ذلك وشهد به على نفسه الشيخ ابراهيم بن الحسن والشيخ علي ابن عبد المومن والشيخ عامر بن سعيد والطالب عبد الرحمن ابن الطالب والفقير الشيخ عبد الله بن محمد بن ناصر والشيخ محمد بن علي بن زكرى كلهم من جماعة بني اومحيا وعلي ابن عبد الرحمن الولوني ويدير بن ابراهيم من النسب وعبد الرحمن بن احمد من النسب ومبارك بن علي من النسب ، ويشو بن علي من النسب ، ويوسف بن محمد الرحيلي المديسي ، واحمد ابن عبد الرحمن المرابط المديسي ، وعلي بن الحسن المرابط المديسى ، والطالب محمد بن يشو المرابط المديسى ، ونقل عنهم عارفوهم بحال صحة وجواز وطوع ورضى بشعبان عام اربع وعشرين والف ، علي بن عبد الرحمن الماسى لطف الله به (وهناك شكله . ومعه آخر)

وتحته ما نصه :

حامله الفقيه المبجل سيدي احمد بن ابراهيم الرباطي وولد اخيه ابوبكر ابن جابر بما شهد جماعة بني أومحيا انهم حرروهما من جميع المطالب المخزنية وسائر الكلف والوظائف وسائر المغارم ، كما شهد بذلك بنو أومحيا المذكورون ، وبنو مديس ، وبنو ولون ، فانه يسقطون من جميع ما ذكر كيف كان وورد ، ولا سبيل لاحد من المذكورين ولا من الخدام والعمال الجائرين على اهل ماسة على المذكورين في المغرم والسخر والحركات والضيافات وانما

يبقون على التوقير التام والاحترام العام ، ومن اراد نقض ما ذكر على المذكورين تناله الملامة والعقوبة من ولاة الامر ايدهم الله ويغرم ما اخذ منهم ، وعلى هذا يكون العمل بالشرع والعوائد وبه كتب بتاريخ شعبان عام اربع وعشرين والف ، علي بن محمد بن مسعود .

ـ - ـ

هذا العهد الذي كتب فيه هذا هو مفتتح عصر بودميعة ولا نشك في انه هو ورجال حكومته هم المقصودون بولاة الامر ، وقد عرفنا في التاريخ ان مرفأ ماسة قد ابتدأت فيه الحركة قرب عام 1024 هـ ويلوح ان علي ابن محمد بن مسعود الذي امضى هذا الاثر الاخير قائد لبودميعة ، ويلوح انه ابن القائد محمد بن مسعود المتقدم ، والله اعلم .

وقد رأيت هنا كيف امتد عمر الفقيه احمد بن ابراهيم الى عام 1024 هـ وكيف نشأ ابناء اخوته فكانوا في كفالته . فأبوبكر ابن جابر او محمد ابن ابي بكر بن ابراهيم ـ على اختلاف ذلك كما رأيت في الاثرين ـ كان نشأ تحت كنفه اذ ذاك .

ـ 6 ـ

المرابط محمد القاطن بماسة وولده سعيد ، سلام عليكما ورحمة الله ، وبعد فان زلتما برباط ماسة كما عهد لكم من قديم وبنيتما به ، وأقمتما الدين على اساسه بتحفظ على الصلوات الخمس بالجماعة والاذان في وقته كما هو مرسوم عندكما ، نفعل معكما جميع الخير ان شاء الله من التوقير التام ويعمكم فضلنا العام ويعنو لزاويتكما من يخدمها ان توفرت تلك الشروط ، وبحسبه يكون العمل والسلام ، وفي ثالث المحرم فاتح اثنين وتسعين والف .

وفوقه طابع وسط غير بين الخط ، وربما كان لاحمد بن محرز ، لانه هو الامير المشهور في سوس اذ ذاك وقد ثار على عمه اسماعيل ، وقد وقفنا على مخاطباته في عام : 1092 هـ

ـ 7 ـ

كتابنا هذا ايد الله امر ضيفنا المنصور ، بيد ماسكه سعيد بن محمد واخوانه المذكورين في كتاب ضيفنا الاسمى الشريف يتعرف من يقف عليه من اصحابنا او خدامنا ضيفنا المنصور بالله ان يوقرهم ويحترمهم. ولا سبيل لمن يتعدى عليهم في قليل ولا في كثير ولا جليل ولا حقير ، وقد اسقطت عنهم سائر ما يجب عليهم من التكاليف السلطانية، والوظائف المخزنية قلت او جلت، وعلى اي وجه تعينت تحريرا تاما مطلقا شاملا عاما فحسب الواقف عليه العمل به، ولا يتعداه والسلام في السابع من المحرم الحرام فاتح عام ك . . . ص ي 6

وتحته طابع صغير لا يقرأ ولم نهتد لادراك وقت هذا الظهير ولا من هو المقصود بضيفنا الذي ذكره ، وقد حزرنا ان يكون المولى الرشيد لاننا رأينا له مثل هذه الرموز في اواخر ظهائره اذ ذاك ، وقوله ضيفنا المنصور لعله يقتضي ذلك على ما فيه (والرمز للتاريخ بالحروف شاع في ذلك الوقت وقد حدثني الاستاذ الاخ التطواني ان هناك رسالة تذكر فيها هذه الحروف كرموز للتواريخ ، ويعرف ذلك بالقلم الفاسي، ولم ار انا هذه الرسالة الى الان)

ـ 8 ـ

حامله المرابط سعيد بن محمد القاطن برباط ماسة اذناه بحول الله وقوته بصرف واجب عشره واعشار اخيه مبارك بن محمد بن عمه محمد بن عبد الله ، وزكاتهم فيما يعرض له من مصالح المسجد الذى هو بصدد بنيانه واحياء رسمه بالرباط المذكور الاذن التام الموجب له التصرف في ذلك حسبما ذكر على الاستمرار والدوام ، ونامر مملوكنا حدو بن علي المتطبب ان يكف عنه يد المضرة في اجنتهم واملاكهم ، بحيث لا يدع من يلاحظهم الا بعين المبرة والاكرام وكتب بثاني صفر خمسة وتسعين والف .

وفوقه طابع هو بعينه عين ما قلنا انه لابن محرز الا اننا لا نقدر على قراءته وحدو بن علي يظهر انه قائد هذه الجهة اذ ذاك .

ـ 9 ـ

كتابنا هذا اسماه الله بيد حملته المرابطين سعيد بن محمد واخيه مبارك بن محمد وابي العيد بن محمد ومحمد بن بلا وصالح بن احمد وابوالقاسم بن احمد يتعرف منه بحول الله وقوته انا جددنا لهم حكم ما بيدهم من ظهائرنا الشريفة المتضمنة توقيرهم واعظامهم وتفريق اعشارهم على ايديهم لمستحقها وحسب الواقف عليه ان يعمل به ، والسلام وفي الثالث عشر . . . . المبارك سنة ست وتسعين والف

وفوقه ظهير اسماعيلي ليس بالكبير في دائرته الوسطى اسماعيل بن الشريف مع كلمة اخرى لم نتبينها وقد علمنا ان المولى اسماعيل كان استولى في هذه السنة على سوس ونزعها من ابن محرز .

ـ 10 ـ

من فضل الله وما اسند الينا ضيفنا ايده الله بسطنا على حملته المرابطين اهل الخير ؛ الفقير سعيد ، والفقير مبارك والفقير محمد يد التوقير والاحترام . . . . اسلافهم حسبما كانوا في تلك الزاوية المباركة نفع الله بها من غير نقص ولا زيادة والسلام عاشر ربيع الثاني ، تسع وتسعين والف .

وتحته طابع صغير فيه : عبد الملك بن محمد الخطيب وفقه الله آمين ، فعلمنا اسم هذا القائد على سوس اذ ذاك للمولى اسماعيل .

ـ 11 ـ

حملته المرابطون اهل الرباط : الفقير سعيد والفقير مبارك والفقير محمد ابن بلا حررناهم التحرير التام المؤبد العام فلا يطالبهم احد بقليل ولا كثير، والواقف عليه يعمل به ولابد والسلام في عشرين من ربيع الثانى عام 1101 هـ.

ونحته طابع بيضي الشكل مثل الذي فيه اسم الخطيب المتقدم، وفيه؛ عبد الملك ابن محمد الخطيب (لعل) ولم نتبين ما فيه جليا .

ـ 12 ـ

من فضل الله تعالى وبركة مولانا ايده الله حررنا المرابط سعيد بن محمد وأخاه مبارك بن محمد ومحمد بن بلا اهل رباط ماسة التحرير التام الموبد

العام ، فلا يطالبهم احد بقليل ولا كثير ، ولا جليل ولا حقير ، فهم محررون بقصد ذلك الحرم وكل من طلبهم بشيء فلا ياومن الا نفسه ، ونؤكد الشيخ حموش: ان لا يرزأ مالهم بشيء ولابد والسلام. وكتب في ثاني ربيع الثاني 1103ﻫ

وتحته ذلك الطابع نفسه ، وفيه بلا ريب : عبد الملك بن محمد الخطيب وفقه الله ، وقد عرفنا من هناك رئيس ذلك الوادي الذي ينفذ اوامر القائد الاعلى ، وهو الشيخ حموش .

ـ 13 ـ

عيسى ابحري واحمد بن بلعيد سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فالفقير سعيد بن محمد المرابط الرباطي واخوانه قد حررناهم كما بكتابنا في يدهم ، فلا يقربهم احد واستوصينا بهم خيرا ، فانا تركناهم بقصد عمارة ذلك الموضع والسلام. في وسط ربيع النبوي عام 1105 ﻫ.

وتحته ذلك الطابع نفسه .

ـ 14 ـ

من فضل الله وبركة ضيفنا ايده الله جددنا لحامله الطالب المرابط السيد سعيد بن محمد الرباطي براءة التحرير التي بيده المتضمنة توقيره هو وأخويه من جميع الوظائف كلها وبأسرها من غير مزاحم لهم في شيء من الاشياء كلها ويرحلون وينزلون بمكانهم في الرباط والسلام ، وكتب في التاسع من صفر عام خمسة ومائة والف .

وتحته الطابع عينه .

ـ 15 ـ

من فضل الله علينا وبركة امير المومنين مولانا المنصور بالله جددنا لحملته المرابطين سعيد بن محمد وأخيه مبارك بن محمد وبلعيد بن عبد الرحمن ، ومحمد بن بلاء وصالح بن احمد وابي القاسم بن احمد على ما بيدهم من ظهير سيدنا نصره الله ، المتضمن توقيرهم واحترامهم ومحاشاتهم من جميع الوظائف المخزنية واعشارهم يصرفونها على ايديهم لمستحقها من مستحقيها ، بل لمصالح

مسجد رباط ماسة ولابد ، وكتب في السابع والعشرين من ذي القعدة عام السادس ومائة وألف ،

وتحته طابع فيه : وصيف العالي بالله مسعود . . على ما تبيناه منه بجهد فيكون مسعود هذا قائدا اسماعيليا على جهة ماسة او على سوس كله .

ـ 16 ـ

من فضل الله تعالى وبركة والدنا المنصور بالله وما اسند الينا من النظر جددنا بحول الله وقوته لحملته المرابطين سعيد بن محمد وأخيه مبارك بن محمد وابو العيد ومحمد بن بلا وابي القاسم بن احمد حكم ما بأيديهم من الظهائر الشريفة المتضمنة توقيرهم واحترامهم ومحاشاتهم من جميع الوظائف وسائر التكاليف فلا يطالبون بشيء جل او قل تجديدا لايزال بحول الله جديدا ولا يزيده القدم الا تاكيدا ، والواقف عليه من اشياخ القبيلة الماسية والجرائين يعمل بمقتضاه ولا يتعداه والسلام ، وفي السادس من ذي الحجة الحرام عام ستة ومائة والف .

وتحته طابع فيه : عبد الملك بن امير المومنين ، وقد رأينا آثارا كثيرة لعبد الملك هذا في هذا الوقت وبعده

ـ 17 ـ

حملته المرابطون القاطنون برباط ماسة ، وهم سعيد بن محمد وأخوه مبارك بن محمد وبلعيد بن محمد ومحمد بن بلا . وصالح بن احمد . وأبو القاسم ابن احمد ، جددنا لهم حكم ما بأيديهم من ظهائر والدنا المنصور بالله الموذنة بتحريرهم وتوقيرهم ومحاشاتهم من كل وظيف ، قوي أو ضعيف . وجميع اعشارهم اذنا لهم ان يفرقوها على ايديهم لمستحقها من الفقراء والمساكين ، حسبما تضمنه الظهير الكريم . والواقف عليه يعمل به والسلام. في الثامن من ذي الحجة سنة تسع ومائة والف .

وتحته طابع فيه : محمد بن اسماعيل امير المومنين، فنعلم الان أن محمد العالم هذا كان في تارودانت منذ عام : 1109 ه ولم نكن نعرف من التاريخ

الا ان وقت مجيئه الى سوس كان في حدود عام 1112 ه ولكن هذا أدل دليل على ذلك.

- 18 -

نأمر جميع من يقف على مسطورنا هذا اسمى الله ذكره ابراهيم الواح، وغيره من سائر عبيدنا وولاة أمرنا أن يترك خمسة كوانين التي لاهل الرباط من ماسة ولا يطالبهم من اجل ذلك بقليل ولا كثير، والواقف عليه يعمل به والسلام. في الثالث عشر من ذي الحجة سنة عشر ومائة والف.

وتحته طابع آخر غير ما تقدم فيه: محمد بن اسماعيل أمير المومنين

- 19 -

حامله الطالب سعيد الماسي صاحب . . . . . . بنبيكة حررناه من جميع الوظائف وسائر التكاليف، فلا يطالبه احد بقليل ولا كثير جليل أو حقير، ونامر من يقف على مسطورنا هذا اسماه الله ان يعمل به والسلام. في السادس والعشرين من ربيع الاول عام: احد عشر ومائة والف.

وتحته طابع فيه: محمد بن اسماعيل أمير المومنين على ما تبيناه منه، والا فنعرف في هذا الطابع نفسه في هذا العهد ان في وسطه: يا عالما بحالي (سطر) محمد بن اسماعيل (آخر) امير المومنين الله وليه (آخر) عليك اتكالي (آخر) وفي دائرته شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولو (ثم فاصلة) العلم قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم (ثم فاصلة أخرى) فتتم الدائرة.

ثم ان سعيدا المحرر بهذا لعله من آل الرباط لمحافظتهم كما نرى على ظهير تحريره بين ظهائرهم.

- 20 -

من فضل الله تعالى وبركة سيدنا ايده الله اننا حررنا حملته المرابطين اهل رباط ماسة وجميع كوانينهم من جميع الوظائف وسائر التكاليف المخزنية فلا يطالبهم احد بقليل ولا بكثير، فلا مدخل لاهل ماسة فيهم من جميع اللوازم التي تلزمهم، حاشاهم من ذلك فقد اسبلنا عليهم التوقير والاحترام، لما بايديهم

من الظهائر الكريمة ، فلا يقربهم احد بوجه ولا بحال ، ونوكد محبنا الشيخ ابراهيم الواح والشيخ احمد بن بلعيد ان يتركا سبيلهم فقد ابقيناهم على عادتهم من غير معارض لهم ولا منازع، فمن طاف بساحتهم أو حل بهم لا يلوم الا نفسه، والواقف على مسطورنا هذا اسماه الله يعمل بمقتضاه ولا يتعداه اصلا، والسلام في التاسع والعشرين من ذي الحجة عام اثنى عشر ومائة والف .

عبد المومن بن احمد .

ليس فوق الرسالة طابع ، وقد عرفنا الان ان عبد المومن بن احمد هو القائد على ماسة في هذا العهد ، وان ابراهيم الواح واحمد بن بلعيد رئيسا ماسا المنفذان للاوامر المخزنية ، وقد سمعت من الماسيين ما يدل على ان لابراهيم الواح هذا شأنا كبيرا ، وصيتا ذائعا ، لا يزال في الاسمار ، ومحل سكناه لا يزال عندهم معلوما .

ـ 21 ـ

وصيفنا اوعبيد بن الشيخ ابراهيم الواح ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اما بعد ، اعلم ان اهل الرباط بلغونا بشكايتهم على ما كتبنا لهم والى هذا كل ما كتبنا لهم ابقوه عليهم وان اخذتم لهم شيئا فردوه عليهم، اما متاعهم بنفسه او قيمته تعطونها لهم ولا يرجعون الينا شاكين ابدا ، واما الطالب كوا منصور الذي تذكر لنا كل ساعة فقد حررناه احسبوه علينا ولابد ولا جميع من حررناه لا يرفع المساكين عتلة ، وعلى هذا يكن علمكم ولابد ، واياكم ان يرجعوا الينا شاكين ، والسلام (على ما فيه من تصحيف) .

وتخته طابع مستدير فيه (على ما تبيناه) ، مومن بن احمد وفقه الله، ولعل المقصود عبد المومن بن احمد المذكور قبله ، وفى دائرة الطابع ما لانقدر ان نقرأه .

ثم ان المكتوب اليه هو ابن ابراهيم الواح ، ولعل وقت الرسالة تأخر بكثير عن وقت الاثار المكتوبة قبلها ، ولكنها لما خلت من التاريخ احببنا

ذكرها هنا ، لنعرف ان لابراهيم الواح ولدا ، وانه كان رئيس ماسة من الدهر وانهم وصفان للحكومة كما هو الشائع في القواد اذ ذاك .

ـ 22 ـ

من فضل الله علينا وعز سيدنا وبركته جددنا لحملته المرابطين الاخيار اهل رباط ماسة حكم ما بأيديهم من ظهير سيدنا اعزه الله من توقيرهم واحترامهم ومحاشاتهم وحملهم على كاهل المبرة والاكرام ، فلا سبيل لاحد عليهم في وظيف ولا تكليف قوي او ضعيف تجديدا تاما شاملا عاما لا يزال بحمد الله جديدا ولا يزيده القدم الا تاكيدا والواقف عليه يعمل به ولابد والسلام . وفي رابع عشر من ذي القعدة عام : 1119 هـ .

وتحته طابع صغير لا يقرأ (ولعل ما فيه هو عين ما في الذي يليه) .

ـ 23 ـ

كتابنا هذا اسماه الله واعز امره بيد حملته اهل رباط ماسة يتعرف منه بحول الله وقوته ، وشامل يمنه وبركته انا جددنا لهم حكم ما بأيديهم من الظهائر الكريمة المتضمنة تحريرهم وتوقيرهم واحترامهم ومحاشاتهم من جميع الوظائف السلطانية ، والتكاليف المخزنية ، بحيث لا سبيل لمن يطالبهم بقليل ولا بكثير ، ولا بجليل ولا بحقير ، تجديدا لا يزال بحمد الله جديدا ، ولا يزيده القدم الا تأكيدا ، وحسب الواقف عليه العمل به ولا يتعداه ولابد والسلام . وفي الرابع والعشرين من ذي القعدة عام تسعة عشر ومائة والف .

وتحته طابع فيه . أبو النصر ابن امير المومنين وفقه الله ، وفي دائرته ما لا نتبينه .

ـ 24 ـ

من فضل الله تعالى وبركة مولانا الذي نصره الله وأيده يستقر هذا الظهير الكريم ، والامر المبارك الختم الصميم بيد حملته السيد بلعيد بن عبد الرحمن وسعيد بن محمد ، واولاده والاولاد مبارك ومحمد بن بلا ، يتعرف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته ، اننا جددنا لهم حكم ما بأيديهم من

ظهائر والدنا نصره الله واسلافه رحمهمالله المتضمنة تحريرهم وتوقيرهم واحترامهم ومحاشاتهم عما تطالب به العوام من الوظائف السلطانية ، والتكاليف المخزنية . فلا سبيل لمن يخرق لهم عادة وقد حملناهم على كاهل المبرة، ولاحظناهم بعين الرضا والمودة لوجه الله تعالى ، ولتعظيم حرم الولي الصالح سيدي وساي نفع الله به، فلا يقربهم احد بشيء جل او قل تجديدا تاما لا يزال بحول الله جديدا، ولا يزيده القدم الا تأكيدا ، وحسب الواقف على كتابنا هذا اسماه الله ان يعمل بمضمنه ولا يتعداه، والسلام . في منتصف رمضان المعظم عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف .

وتحته طابع في وسطه : عبد الملك بن امير المومنين وفقه الله وفي دائرته : ياعالما بحالي ، عليك اتكالي ـ فالله خير حفظا وهو ارحم الراحمين.

اقول يظهر من هذا ان هؤلاء كانوا ايضا هم المقدمين على ضريح سيدي وساي ـ عبدالرحمن الرندي ـ كما كانوا في الرباط ايضا لما رأيته هنا في هذا الظهير ، وانما قلنا هذا لان هناك الرباط فيه المسجد القديم الذي زرناه وهناك ايضا المشهد الذي على الضريح ، وفوقه ايضا المسجد الاخر ، وهنا يقام الموسم وبين المكانين مصب الوادي ثم نحو ثلاثة او اربعة كيلومترات ، فالضريح بالجنوب والرباط بالشمال .

ـ 25 ـ

من فضل الله تعالى ، ومن (بركة) المنصور بالله وما اسند اليه من امره العالي ، اننا ابقينا حملته السيد بلعيد بن عبد الرحمن واولاد اعمامه ، والفقير محمد بن بلا ، جددنا لهم حكم ما بايديهم من الظهائر الكريمة لمولانا ايده الله ونصره المتضمنة توقيرهم واحترامهم واسقاط المغارم واللوازم وجميع الكلف عنهم تحريرا تاما مطلقا عاما ، وحسب الواقف عليه يعمل بما فيه ، وأبقيناهم على ما هم عليه ، بحيث لا تخرق عليهم عادة وانعمنا عليهم بأعشارهم وزكاتهم تسردها (كذا) على مستحقها والسلام ، في الخامس عشر من ذي القعدة عام اربعة وعشرين ومائة والف .

مملوك المقام العالي بالله منصور بن عبد الله العلج ، وفقه الله آمين .

أقول : هذا القائد الذي كان بنى فى عهد عبد الله بن اسماعيل الباب الذي يقال له (باب منصور العلج) بمكناس كان - اذن - من القواد على سوس.

ـ 26 ـ

جددنا بحول الله وقوته لحامله الخير المبارك الرباطـي بن عبد الرحمن الماسي حكم ما بيده من الظهائر السلطانية المتضمنة تقديمه على ضريح ولي الله سيدي وساي نفع الله به وعلى زاويته مع تحريره وتوقيره واحترامه ومن انتسب اليـه من اصحابـه واخوانـه وقرابته ، ومن طاف بساحتـه يخاف على نفسـه ، والسلام في الثالـث من شوال المبـارك عام اثنين وثلاثيـن ومائة وألف .

وتحته طابع فيه : عبد الملك بن الامـام اميـر المومنين الله وليه ، وفي دائرته ما لم نتبينه ، وهو طابع يميل الى الكبر .

اقول قد عرفنـا الان ان هـؤلاء الربـاطيين هـم المقدمـون على مشهـد سيدي وساي بلا ريب كما تـرى ، والعجيـب من سيـدي وسـاي ان الذين ينتسبون اليه من قديم في قبيلة ايسافن نيت هـرون في وسط الجبـال الجزولية ، وهم ابناء الشيخ ابي نمر ويعرفون في ايسافن بأبناء سيدي عبد الله بن داود ما كانوا يتولون من قديم ـ كما ترى ـ التقدم على ضريح سيدي وساي ولا يزال الحال الى الان على ذلك وقد استحوذت ادارة الاحباس الان على املاك المشهد وعلى مدخولاته .

ـ 27 ـ

محبنا في الله تعالى السيد بلعيد وفقنا الله واياك لما يحبه ويرضاه، وعليك منـا سلام الله تعالى وبركاته ، اما بعد اعام انه ورد علي على مقامنا اسماه الله واقام عندنا بمقامك ، وهـا نحن سافطناه مـع اهل ماسـة وذلك الشيخ المبارك الذي قلت بانك بنيته وزقنا الله واياك اجره آمين، واهل ماسة ها نحن نكلمنا معهم على شأن اعشارهم وزكاتهم التي حزم الله ، اذ ما شرطنا عليهم الا ما حرمـه

الله عليهم واحله لنا، وانت انصحهم على ما ينجيهم مع الله سبحانه ومع من ولاه الله امر خلقه ان ارادوا ما ينجيهم ' لان الله تعالى قال في كتابه الحكيم : (قل كل يعمل على شاكلته ـ الاية . .) (وما يعلم تأويله الا الله) والله على ما نقول وكيل والسلام . في الثاني والعشرين من ربيع النبوي عام اربعين ومائة والف .

وفوقه طابع كبير جميل في وسطه : عبد الملك بن الامام امير المومنين ، الله وليه ، وما في دائرته لم يظهر خطه فلا يقرأ .

احصاء عن ماسة في القرن الماضي

يوجد باللغة الانجليزية والفرنسية كتاب ألفه الفقيه ابراهيم بن محمد الماسي نزيل طنجة ، كتبه بالشلحة ثم بالعربية ، ثم نقله (هودكسون) المريكاني وقد كان اذ ذاك بطنجة عام 1834 م وجمع الكتاب باقتراحه ، وفي الكتاب وصف جميل لماسة وما جاورها ، وقد ترجم لنا ملخص الكتاب او بعضه اخونا الاديب سيدي احمد بناني الفاسي كاتب [1] الصدارة الان ، وهو من خيرة شبابنا المثقفين ثقافة مزدوجة ، وله مستقبل عظيم في عمره الطويل ان شاء الله.

قال سيدي ابراهيم عند تعرضه لمسقط رأسه ماسة : واليك الان تفاصيل عن ماسة : يبلغ عدد سكانها الان : 1700 رجلا ، واما النساء والبنات والاولاد ، فلا يعرف عددهم الا الله وبها: 1250 دارا و : 180 فرسا ، تصلح للركوب والحرث ومهاجمة العدو ، وبالبلاد اشجار الكرم والتين والنخل والبرتقال والليمون والتفاح والبرقوق والدلاح والبطيخ والزيتون ، ويخرج من ماسة نهر ينصب في البحر ، والتجارة فيها عظيمة ، وبها سكان من اليهود بين المسلمين . وبخزائن مساجدها كتب لا يدري عددها الا الله والعلماء بها كثيرون ، وكذلك الحجاج والاشراف والصلحاء ، نفعنا الله ببركتهم آمين .

ثم ذكر خراج ماسة للسلطان بقوله :

ذكر ما يوديه اهل ماسة للسلطان مولاي عبد الرحمن ، يعطي اهل ماسة

1) هو مدير التشريفات في عهد الاستقلال .

لمولاي عبد الرحمن كل سنة منذ خمسين عاما : ـ 5000 ـ رطل من الفضة ، فطلب منهم السلطان يوما زيادة الف على ما يعطون ، فاجابوه بأنهم لا يزيدون الا عبدا وامة وفرسين فارسل السلطان اليهم جيشا تحت رياسة القائد عبد الصادق الذي كان خليفة السلطان بتارودانت بعد ما كان ارسل اليهم خيلا جملتها : ـ 55 ـ فارسا ، فعصوا امره ، ثم حاربوا الجند من الجيش ، فانتصروا عليه اهـ ـ.

اقول : لعله يقصد الحملة التي كانت في عام 1217 هـ كما تقدم ، وهي في عهد مولاي سليمان . لا عهد مولاي عبد الرحمن ، او لعلها حملة اخرى .

وقال في محل آخر :

انه كان يعرف في ماسة سبعة من الحدادين يصنعون البندقيات ، ولكن لم يبق منهم اليوم واو واحد ....

وقد علق مؤلف المجموعة الكبيرة المنقول منها على ماسة بقوله ـ وهو دوكاستري ـ

ماسة ، ربما كانت هي ماستات التي ذكرها المؤلف (بلين) الروماني، وهي في مصب الوادي المسمى بهذا الاسم بحدود مملكة سيدي هاشم التازاروالتي، وهي مدينة قديمة ، لانها في عهد البكري كانت رباطا ، وقد ذكر اليعقوبي انه كانت بها سوق مهمة قرب ضريح سيدي بهلول ، وقد ذكر الادريسي انها على بعد 150 ميلا من آسفي ، وان نواحيها الى تارودانت يسكنها بربر دكالة، وذكر اليعقوبي ان سكان سوس بربر مداسة ـ كذا ـ مدعاسة، كذا ـ وذكر ليون الافريقي : (ابن الوزان) انه يعرف ثلاث ماسات يمر بينها نهر سوس وإن بنواحيها نخلا كثيرا ، وذكر (جاكسون) ان بها اشجارا كثيرة من الزيتون ولم يذكر مويت الا نهرا واحدا بهذا الأسم ، اما مرمول فقد ذكر ـ ولم ندر ما مستنده في ذلك ـ ان هذه المدينة كانت تعرف في القديم باسم تمست (وهو النطق البربري لاسم ماسة[1]) وان العرب هدموها لما فتحوا سوسا ، وذكر

1) بل النطق بماسة عندهم (مست) لا تمست ، وأهل مكة ادرى بشعابها .

ان فيها في عهده معبدا (ربما كان المقصود هو ضريح سيدي بهلول) جوائز سقفه من اضلاع سمكة العنبر ، ثم قال : ان من الجاري على السنة العوام ان سمكة يونس النبي صلى الله عليه وسلم قذف بها البحر الى هذه الشواطيء، فذكر ابن خلدون ان العوام يعتقد ان الامام المهدي سيخرج من ماسة[1] وقد ذكر (كَاتيل) ان الاسم الحقيقي لماسة هو اغبالو، انتهى التعليق.

(اقول : لابأس بسوق ما تقدم لنعرف كيف اضطرب الاجانب في مداول ماسة ، فقد كانوا يفهمون من ماسة انها محل واحد ، مع ان الواقع ان ماسة يطلق على واد ممتد تنتشر القرى حواليه ، وعند مصبه مشهد سيدي وساي ، واغبالو قرية تقرب في اسفل الوادي من المشهد - وقد ذكرنا فيما تقدم ان اغبالو لفظ معروف لتلك القرية من عهد مؤلف كتاب (الاستبصار) في عجائب الامصار سنة 590 هـ

واما تسمية سيدي وساي بسيدي بهلول ، فلا ندري من اين اتى به الاوربيون ، لان الرجل معروف واسمه عبد الرحمن الروندى ، ونسبه موجود وهو عمري النسبة اي من ذرية عمر بن الخطاب العدوي القرشي من صميم العرب كما يوجد عند من ينتسبون اليه ، ولعل ذلك اثبت مما قيل من كونه ركْرا كَيا او من آل يعزى وهدي . وأما المدينة التي تذكر في ماسة ، فقد ذكرنا فيما تقدم موقعها في اعالي الوادي ، وقد خربت بعد القرن الخامس ولا يبعد ان تكون هي المدينة القديمة التي احتلها المسلمون يوم الفتح ، ثم جددت فبقيت الى القرن الخامس كما رأيت واما رباط سيدي وساي الذي اشتهر من عهد البكري عام 460 هـ فإنه يمكن ان يسمى ايضا مدينة فيتصف بكونها هي التي احتلها المسلمون ، ولكن المشهور انه محل مسجد عقبة الفاتح الاول في عهد الاسلام عام 62 هـ ومنذ عهده طار اسم المكان ببركة ذلك الفاتح وببركة كونه رباطا لحراسة البحر ، وذلك هو أصل شهرته ، كما اشتهر ايضا

---

2) بل حتى الشعراني نفسه ذهب الى ذلك وغيره من المشارقة ذكر ذلك في مختصر التذكرة المطبوع للقرطبي .

رباط شاكر الذي فيه ايضا مسجد عقبة ولذلك كانا معا من معابد الصالحين ومن مجتمعاتهم ومعلوم في التاريخ ان الرباطات كانت متسلسلة على البحر من مصر الى اقصى الصحراء على سيف البحر يعمرها المرابطون المجاهدون بالعلم والارشاد والتربية الاسلامية ورباط ماسة احدها، واما سيدي وساى فيرجع عهده الى نحو القرن السادس او السابع فقط فالمحل مشتهر قبله ، بل محل مسجد عقبة يفصل النهر بينه وبين الضفة التي كان وراءها سيدي وساى، وقول ابن الوزان ان هناك ماسات متعددة ، يمكن ان يفهم كلامه بأنها قرى ماسة ولا ريب انها متعددة ، ويدل على ذلك قوله : ان نهر سوس يمر بها، ولانشك في انه يقصد بنهر سوس نهر الغاس المار بماسة لا نهر راس الوادى الذى كان مصبه في قرية تارايست في قبيلة كسيمة، ولا يقع له الغلط الذى وقع لصاحب كتاب (الاستبصار) الذي جعل النهرين واحدا ومصب اسفل ماسة .

كذلك طار اسم ماسة من قديم فكان شغلا شاغلا للمؤرخين كثيرا .

الزلزلة

عند الاصيل اتى الرئيس رب مثوانا في اشبالو ببطاقة من القائد ، فقرأ فيها اسماء رجال كانوا اعوانا او جندا من اهل القرية ، يستحثه في التعجيل بهم، وبعد ذلك بقليل جاءت بطاقة اخرى مثلها في الاستحثاث ، فحاك في صدورنا انه طرأ شيء جديد في الجو ، وبعد رجوعنا من جولة ذهبت فيها مع الاستاذ ابن العم الى مقبرة هناك زرنا فيها مشهد السيدة (رحمة) الشهيرة بكرامة تحكي بينها وبين سيدي احمد بن موسى، فتكون اذن من اهل القرن العاشر، وهناك مشهد سيدة اخرى مشهورة ايضا، وقد كان معنا الحاج محمد مفكر وادي ماسة يذكر لي عن السيدتين ما يسمعه عنهما ، فارجات تحرير ما يقول الى الغد، وقد لفت ابصارنا في مشهدي السيدتين تصاوير كثيرة بالمغرة في الجدران وعند مصاريع الابواب ، فيها حيوانات واشياء اخرى حتى الصلبان، فعلمت ان ذلك من عمل بعض البنائين منذ سنتين . اراد ان يجمل المقامين بها فقلت لصاحبي : يجب ان يزال كل هذا، وانا أقول في نفسي لو اطلع على هذه الصلبان بعض

المستشرقين لادعى في ذلك امورا اخرى على عادتهم في الاستنتاج المعاكس للحقائق في الذي يرونه عند الشرقيين، وقد رأيت على كثير من ابواب الدور في نواحي سوس صور الصليب بالقطران او بالحمم، كتعاويذ من العين وربما كان ايضا على جنب الجدران، فمتى بينت للبعض ما يدل عليه ذلك امتعض امتعاضا شديدا، فيقوم في الحين ويمحوه.

ثم لما صلينا المغرب في دار الرئيس المذكور ولج علينا السيد المدنى وقد جاء من سوق الاحد، يحكي لنا ان المغرب في زلزال شديد، وان الامريكيين والبريطانيين قد هاجموا المغرب في الليلة الماضية، وانهم نزلوا في بعض سواحله، وان الحرب الان قائمة من اهل المغرب للدفاع، فقلت له: اذن انني الان راجع من هنا، فقد كنت اتوقع هذا الهجوم منذ سنتين، والان ربما تقع امور عظيمة، وبعد حين رجع الينا ايضا. فقال: ان صاحبي الذي يسوق سيارتي الكبرى قد جاء الان من أكادير ببعض اهالينا هناك، وقد ترك أكادير في هرج كبير طوال هذا اليوم، والناس يهربون منه، والحكومة قائمة بالجد في افراغ كل ما كان في المرسى، وقد وضعت يدها على كل سيارات النقل والتجنيد قائم على ساق، فاتفقنا على ان نذهب في الحين معا على سيارته الى تيزنيت، فارسلنا من يأتينا بمتاعنا وحقائبنا من دار القائد فذهبت الى المسجد حيث كان الفقيه سيدي الحسن مع الاخوان في حفلة ينتظرونها فجلسنا معهم ساعة ثم ودعناهم، فوجدنا السيد المدنى قد هيأ فحم السيارة الغازوجين، ولم يبق الا ان يأتي متاعنا فاذا به اتى ومعه الفقيه سيدي احمد بن محمد العلامة الالياسي على بغلته وقد ابى له كرمه وعنايته وتواضعه الا ان يتجشم الليل مع كبر سنه ليودعنا، فقد كان في دار القائد حيث واعدته الملاقاة الليلة، ولكن تأخرت لالحاح الاغبالويين بالبيات عندهم ايضا، ثم ودعنا الفقيه ونحن نشكره شكرا جما، ثم سرينا صوب تيزنيت، فرأينا طريق أكادير في ذهاب واياب بالسيارات الناقلة، وكذلك رأينا جندا مع عجلات كثيرة، وهم صف طويل الى نحو أكادير، وعند القنطرة فوق وادي الغاس وقفنا قليلا، فاذا بالسيد

المدني ينادي باسمي فنزلنا فركبت معه على (كار) كبير للحكومة ، فصار يذكر لي ما حكاه له سائقه من نزول المغيرين في آسفي ايضا ، ثم دخلنا تزنيت عند الواحدة بعد نصف الليل ، وقد وجدنا الابواب مسلحة ، وكذلك ما فوق السور ، فذهب بي الى دار له فبت فيها ثم جاء ابن العم لاحقا بي ، وفي الصباح توجهنا الى دار القاضي فحكوا لنا ان القبائل القريبة من تيزنيت سلحتها الحكومة كلها امس ، وحين خرجنا رأينا الناس كلهم تحت السلاح ، وقد منع الناس من الحرث ، بل اطلقوا كل الحرائين امس من امكنة اشغالهم فأتوا بالبهائم لنقل الرمل الى ما فوق السطوح والشبان والاقوياء لحمل السلاح ، فترى ما فوق السور والابراج يموج بالمتسلحين ، وقد مررت مع ابن العم على كثيرين من الشبان معهم السلاح لا يدرون كيف يقبضونه ، لانهم نشأوا في زمن الاحتلال الذي لا يعرف فيه السلاح الا الجند فقلت له بحقك اهؤلاء من سيدافعون ؟ ثم قيل لنا ان امام (تامدا اوكلو) بوارج تاتي وتذهب ، فكان ذلك كله سببا لاستيحاشنا من تزنيت وقد فتشنا عما نركبه الى الجبل بغالا او سيارات ، فأعوزنا كل ذلك ، فبينما كذلك قيل لي : ان هنا سيارة الشيخ عبد الله الجراري ، وقد سأل عنك ووصى عليك، ذكر لي القاضي ذلك فقلت : ان تيسر لنا الذهاب اليه فلا نفقد هناك ما نركبه الى الجبل ، الا ان السيارة عرا آلتها فساد .

الى افران

في وسط كل هذا قيل لي ان هاهنا القاضي سيدي الهاشم الاقاوي فلاقيته فاذا به قد تقطعت به الحبال مثلي ، فأريته ان الاولى بنا الخروج كيفما كان الحال لانني اعلم انه ان طارت الحرب حقيقة بين من في المغرب والمغيرين فإن المغيرين سيحاولون النزول في تزنيت القريبة من البحر ثم لا حاجز متين يحجز دونها ، وقد علمتنا فجاءات الحرب ، وأرتنا كيف ينقض بغتة البعض على البعض ثم فارقت القاضي الاقاوي في الزاوية الاحمدية ، فراجعنا مثوانا عند

القاضي سيدي محمد أوعامو ، فبتنا ولم يخطر شيء ، فهدأت النفوس قليلا ، وبعد صلاتنا للصبح عند الاسفار خرجت مع ابن العم ، فاذا بالقاضي الاقاوي المذكور ، اكترى في سيارة صغيرة الى سوق الثلاثاء الاخصاصية فقلت حسنا ، فلم نلبث ان اتينا بمتاعنا ، فأقلتنا السيارة مغادرين لتيزنيت فوصلنا سوق الثلاثاء فتيسرت هناك ملاقاة الرجل الصالح سيدي محمد بن عبد الكريم من القراء الكبار ، شارط منذ سنين في مدرسة سيدي همو بن الحسن ، وهو سيد يظهر عليه الخير . وفي السوق تيسر ان تودينا السيارة الى (بوزاكارن) بسبب التاجر الابر اخينا سيدي عيسى (اوباعوس) ، جزاه الله بخير ، فوصلنا بوزاكارن عند الزوال أو بعده بقليل ، فتلقانا الامين سيدي حسون أوباعوس التيمولائي اخو ذاك ، فلبثنا هناك تلك العشية ، فرأيت مركز بوزا كارن لاول مرة ، وله منظر انيق ، وعلى القرية سور واسع من بناء القائد المدني ، ثم بعد الاحتلال زادت الحكومة بناآت ازاء السور القديم فأدارت بها سورا آخر ، ثم اشتغلت هذه السنة ببناءات خارج هذا السور ، منه نزل حسن ظريف جميل بناه الامين المذكور مع القائد الحنفي ، دخلته ورأيت مساكنه الفيحاء ، والماء الساري في كل جهة وسط الانابيب فاعجبت به، وهذا النزل على وشك التمام ، ثم بعد العصر ذهبت الى المسجد فرأيته حسنا ، وازاءه صومعة كتب عليها انها بنيت عام : ــ 1293 ه وقد ذكروا لنا ان المسجد والصومعة بنيا في وقت واحد .

اجتمعنا في هذا المركز بسبط الشيخ ماء العينين ، المسمى ايضا ماء العينين ، وقد سكن هناك من عهد القائد المدني فانه كان كاتبه واميـن سره ؛ وعضده في كل المشاورات ، ثم بعد الاحتلال لزم السكون ، وقد جلس معنا فكتبت له على بطاقة :

لله مجمعنا بما العينين   امل القلوب وقرة العينين
اليوم تستحلي العيون بوجهه   ما كان قبل حلاوة الاذنين

وقد ابتهج القاضي الاقاوي بما تيسر لنا جميعا من الخروج من تيزنيت ،

وبعد صلاة العشاء ركبنا البغال التى اتى بها الامين سرا من عند بعض من لهم اليد في المركز ـ اجمع الحكومة كل البغال من الناس ـ لتوصلنا ثم ترجع ليلا، كأن لم تغادر محلها وهكذا كان ، فقد اوصلتنا (تيمولاي) بعد ما قطعنا 17 كيلومترا فردت الى مكانها ، فالحمد لله الذي يسر كل هذا في هذه الشدة العنيفة .

ثم اننا ظللنا هناك يوم الاربعاء ، وقد ابى التيمولائيون الكرماء ان يدعوا القاضي الاقاوي ليذهب ذلك النهار ، وقد زرت المسجد فرأيته افيح والطف من المسجد البوزا كارني . وقد بني ايضا نحو عام . 1293 ه كما زرنا قبر الرجل الصالح سيدي ابراهيم القائد الركني من اصحاب الشيخ الوالد ، وهو صاحب الاعاجيب في ابراء مسات الجن بقدرة الله ، كما زرت هناك ضريح الشهيد أبي الرجاء قتيل بوحلاس سنة 1207 ه ، ثم ذهبت بعد العصر صوب الحقول في سقي تيمولاي ، فمررت بمزارة للشيخ سيدي حسين الشرحبيلي . حيث نزل يوم زار هذا المكان سنة 1122 ه وهو الذي اراهم العين فيما يقولون، ثم لما رجعنا مررنا بأناس حول الطاسة التي يفرق بها الماء وهي اكبر من نصف اللتر بقليل على ما حدست ، ولها ثقبة اسفلها ينبع منها الماء ، وقد ميز فيها في الداخل بخطوط الثلث والثلثان والنصف والربع ، وهي في اناء كبير مملوء بالماء وقد جعل أمين يراقف القسمة بالطاسة ليلا ونهارا .

وفي صباح الخميس ذهب القاضي على سيارة لبعض الناس مر الى تاغاجيجت ، وسائقها هو الذي حدثنا بان الامر قد التأم بين المغيرين وبين من في المغرب ، فحمدنا الله على ارجاء الكارثة ولو يوما واحدا ، ثم ذهبنا نحن ايضا ـ رغم آل تيمولاي الى تانكرت ، فمررنا بمركز احدادو [1] الذي فيه محكمة الافرانيين ومن اليهم، فوجدناه خاليا الا من بعض حرس و كاتب فاسي،

---

1) احدادو هذا ذكر انه من القواد الاسماعيليين، اسس تلك القصبة هناك، ثم خربت بعده ، ثم جددت ايام الكيلوليين 1315 ه ثم تخربت بعدهم وبعد الفلوسيين ، ثم اسست الحكومة بعد عام 1352 ه مركزا آخر يبعد عن القصبة قليلا ، فوق اكمة صغيرة مشرفة .

فجعلوا يستفسروننا عما حدث ، ويقولون قد انقطعت الاخبار بانقطاع الاسلاك من الحكومة ، كما تأخرت الجرائد ، فأجبتهم بالاجمال ، ثم نزلنا في دار شيخنا العلامة سيدي محمد بن الطاهر ، فرحب اعظم ترحيب ، وآنس اكبر ايناس .

هكذا رأينا بعد 25 عاما هذا المحل الذي كنت ارتشف فيه من المعارف 1333 ه 1336 ه فازدهاني سرور عظيم وحبور شديد .

بلد عرفت به الشبيبة والصبا	ولبست برد العمر وهو جديد
فإذا تمثل في الضمير رأيته	وعليه اغصان الشباب تميد

ثم لم البث ان قلت هذه الابيات :

طر يا فواد سرورا فالزمان وفى	ورد ما كان مألوفا كما الفا
هذى منازل افران التى فرعت	هام المجرة من سكانها شرفا
يا طالما كنت مشتاقا لرؤيتها	شوق صد كاد يقضى نحبه لهفا
اليوم فارتع كما تبغى مناك فقد	وافقت وفق هواك الروضة الانفا

فناولتها لشيخنا الاديب العلامة المذكور ، فاجاب عنها بما نصه :

بطيب خلقك طيب المسك قد عرفا	وبنداك غمام الديمة انصفا
وبمحاسن آداب خصصت بها	ترعى الخواطر منها روضة انفا
زينت ذا العصر حتى راق منظره	وقلد الجيد منه جوهرا شرفا
لله درك يا مختار من ندس	احيا المعارف والآداب والشرفا
شرفتنا كرما بزورة نفخت	روح الحياة بفكر شارف التلفا
فدب نحو ثمار الشعر مجتنيا	ومد كفا الى الآداب مقتطفا
بنورك انقشعت سحب الغباوة عن	افكارنا فتولى العي وانصرفا
فطلعت بسماها الزهر ساطعة	انوارها تكشف الاوهام والسدفا
وجهت منك الى الآداب تنشرها	عزيمة لا تني او تبلغ الشغفا
احييت مجد كرام سادة فرعوا	من السيادة هضبا واعتلوا شرفا
حتى ازدهى بك هذا البدو مفتخرا	على الحواضر يثني عطفه صلفا
فدم وهمتك القعساء تحرز ما	قد عز ادراكه عن كل من سلفا

واعذر اخاك اذا ما كان قارحه | في حلبةالوصف من علياء قد قطفا
وظالع الرجل لا يعدو اذا استبقت | خيل الميادين المتبريز ان يقفا
وقد تطاول فكري في بلوغ مدى | محاسن المدح فيك لو تساعد فا

وقد اتى الينا في دار شيخنا السادات الناصريون : سيدي الهاشمي بن القرشي، وسيدي احمد بن البشير واخوه الاديب النجيب سيدي محمد بن البشير، وهو رفيق سيدي المدني بن محمد بن الطاهر سبط الاستاذ ابي الحسن الالغي وهاذان الشابان احذق من رأيت من نشء سوس اليوم ، ولهما تحصيل وتمكن في اللغة ، وذوق ادبي ويد طولى في كل العلوم التي اخذاها ، وقد آنسانى هناك كثيرا فإنني ما كدت انزل في الدار حتى اتيا ، ثم بعد الغداء طلت الى المدرسة مع ابن العم ، فزرت ذلك المكان ، فقلت اصاحبى وقد وقفنا معا وسط المدرسة : من هذا المكان انتشر للغة العربية في هذه النهضة الاخيرة وللآداب الاندلسية العربية ما انتشر ، فقد ادت هذه المدرسة على سذاجة بنائها وبساطة هيأتها ما تزاحم به كليات الفنون بين سطور التاريخ فى العالم ، فكما يذكر السربون[1] واكسفورد وامثالهما في العالم المتمدين في تاريخ هذا العصر فكذلك ستذكر هذه المدرسة البدوية الساذجة البسيطة الواطئة في تاريخه ، والمستقبل كشاف .

ثم ان الذي يزيد هذه المدرسة شأنا على كليات الاداب في العالم ، انها لا تزال بنت الماضي لم تتخللها بعد الحياة العصرية ، ولاالفتات الذوق الادبي الذي سربل بذيوله كل الامكنة التي يروج فيها زمن الاداب ما يروج، فان هذا المكان معدود من ذيول تاريخ القرون الوسطى ، ولا يزال اساطينه الذين يديرونه الى الان لم يتصوروا بعد عظمة هذا العصر المواج بالاداب والمعارف والابحاث العليا من كل جهة وفي كل فن ، واثناء كل باب .

الحقيقة أقول : كأنني بالجيل المقبل إن كتب له ان يشارك العالم المتحضر

1) السربون : مدرسة كبيرة مفتوحة لكل احد في باريز واكسفورد مثلها في بلاد الانكليز .

الراقي - ولا بد له من مشاركته على كل حال وعلى اي تقدير في اهتباله المثمر في الجولان في المعارف الطامية الزاخرة - كأني به وقد عرف تاريخ هذه المدرسة وما قامت بـه من الاداب ومعاناة احياء اللغة العربيـة في سرة جزولة [1] البربريـة ، قد اشاد لها من التقدير والاكبار والاجلال ما يدر يدي الكرام نحوها ، فاذا بمدرسة جيدة تتبختر في احدث طراز للمعمار المدرسى الجذاب، فيستحيل هذا البناء الوطيء الساذج الى قصر ممرد تكسوه الفسيفساء برونقها اللماع ، وزخرفة الرخام والزليج ، ببهائهما الخلاب.

ان كانت للمدرسـة الالفية شهـرة كبرى فى احيا الادب الاندلسى حتى صارت انباؤها والجة كل آذان بلا استيذان ، ملموسـة آثارها بين المؤلفات بكل يد ، فانما كان لها ما اقتبسته من هذه المدرسة التى استمدت من الجشتيميين ما استمدت ، ثم زادت به قدما حتى قطعت به اشواطا اخرى، ولكن لا يمنعنا التصفيق اللاحق ، نسيان ما قام بـه السابق ، زد علـى ذلك ان هذه المدرسـة لا تزال تؤدي الى الان لهذه الثلة التـى نرى مـن بينها امثال النجيبين المتقدمين محمد بن البشير والمدنى بن محمد ما لا ينفك الـى الان فى تقدمه على يد الاديب مدرس المدرسة شيخنا سيدي محمد بن طاهر حفظه الله.

كان هذان النجيبان لا يفارقانى طوال تلك الايام ، فيتلوان علي عنـد امتدادي للنوم ، حتى انام علي عادتى المألوفة كما يتلوان حال اليقظة، واتذكر ان احدهما كان يتلو علي يوما فوصل مثل هذه العبارة : انه الرجل كل الرجل. فرفع كل فقلت له انـه منصوب ، فقـال شيخنا المذكور : فما هو حينئذ فـى الاعراب فسكت اتأمل ، فاذا بـه قال : انه بالرفع نعت ، وقـد نبه علـى ذلك الاشمونى وشراح الالفية ، قلت : كأننى غلطت بمـا عرفته عن اي ، فانهـا ان وليت المعرفة كانت منصوبة على الحال او النكرة كانت صفة ، وهكذا القوم ، فانهم مستحضرون للعربيـة من جميع جهاتها ، خصوصا شيخنا المذكور الذي دأب على مثافنة الفنون منذ شب حتى شابت سود ذوائبه ، اطال الله عمره.

1) اعني دائما بجزولة هذه الجبال بكل قبائلها ولا اعني الجزولية المقابلة للحربيلية فانهم

دخلنا تانكرت ظهيرة الخميس ، فبتنا في دار شيخنا وفي صبيحة الجمعة استدعانا الكرام الناصريون ، فكم عظم ابتهاجي حينما مثلت بين يدي الاديب الاريحي الذي هو درة عقد الناصريين الوسطى : سيدي البشير بن المدني ، ويا طالما تمنيت على الله ان يطيل عمري حتى اراه ، فالحمد لله الذى وفى المراد كما يراد ، وقد كان اطال الله عمره وعافاه مصابا بفالج يكثر به ارتعاشه ولا يكاد يبين به لسانه ، وخصوصا ان تقلب الجو ، فحينئذ لا يظفر منه جليسه الا بما يذيب الفؤاد ويدمي الاكباد ، الا اننا والحمد لله حين وجدناه في حالة امكن لنا معها محادثته ، فإذا بأريحيته لا تزال كامنة كما هي ، فلا مرضه العياء ولا ارتعاشه المستولى عليه، يحولان دون مد اجنحته في اثناء استماعه للادبيات التي اولع بها ولوعا كبيرا ، كما هي عادة كل آل البيت الناصري المجيد وقد قدم الى سيدى محمد ولده هذه القطعة :

سقيا لدهر منعم مختار   اهدى المنى اذ جاء بالمختار

نجل الهداة الشهب من شادوا منا   ر الدين والتقوى مدى الاعصار

من بان بدرا فاهتدى كل الورى   بسناه في نجد وفي أغوار

تاهت به افران عن كل القرى   فغدت به تزهو على الاقمار

ماذا اقول وما عسى من مدحه   ابديه في نثري وفي أشعاري؟

من ذا يعد الذر في البيداء ام   من ذا الذي يحصي حصى الانهار؟

فمتى اختصرت القول فيه فإنه   جمع العلا لجلالة المقدار

احيا العلوم بكل حزم بعدما   ذهبت سدى في سائر الاقطار

فأناله ما يرتجي من كل ما   خير وعز حاكم الاقدار

بالمصطفى صلى عليه الله مع   آل له وصحابه الابرار

ثم اثنيت عليه امام والده وقلت له : نهنئكم بنبوغه ، وقد كانت العرب اذا نبغ من قبيلة شاعر تهنيها القبائل ، ثم قلت ارتجالا :

هنيئا يا بني المدني هنيئا   بنابغة نشا منكم جديد

يجيء قريضه ذهبا مصفى   اذا ما جاء شعر كالحديد

وقد رأيت له أنفس من القطعة المذكورة لها روعة ورقة وانسجام، ولعلها ناتي في ترجمته بين أهله في (المعسول) ان شاء الله .

ثم لما اجريت الحديث مع الاديب سيـدي البشير افادني عن بعض اناس مروا في ذلك الوادي ، لان الرجل كان بحاثة طلعة الى معرفة كل ما يمكـن ان يعرف ، فممن افادنيهم اطال الله بقاءه :

بلقاسم بن محمد التاسكالائي الانصـاري النسب ، التانكرتي المسكن ، كان قاضيا خمسا واربعيـن عاما فـي ايام السلطان المولى اسماعيـل ، وكأن درس حينا في مدينة تنبكتو بالسودان ، و كان حيا بين اواخر الحادي عشر واوائل الثاني عشر وقد عمر اكثر مـن مائة ، وذكر غيره ان لـه ولدا عالما يسمى احمد .

عالم آخر لعله يسمى محمد بن بلقاسم ، دفن في قبة الشيخ سيدي محمد اباراغ ،كان يشارط في المدرسة ويدرس حتى مـات فـي وقت لا يستحضـر ، وربما يكون ابن بلقاسم بن علي الاتي واخا احمد بن بلقاسم بن علي .

الشيخ سيدي محمد أباراغ صاحب المشهـد الذي بنيت حوله المدرسـة ، كان في اواسط القرن التاسع ، و كان يسكن في قرية الخندق ، ويدرس هناك ولا تزال اطلال داره مع نطفية وسطها مشهورة الى الان ، اقول : وجدت بخط العلامة الجد ابن العربي ، ان عقبه هو الموجود في قبيلة كدميوة بحوز الحمراء ولا يزالون مشتهرين بإباراغن . و كذلك ينتسب اله اهـل زاوية تاسافت فـي وادي نفيس وقد سمعت شيخنا ابن الطاهر يأثر عنه خوارق تصيب من يتعدى حدود حماه ازاء المدرسة الى الان ، وقعت وقائع حديثة لاناس لا يزالون احياء، وذكر ايضا انه كان يعلم الجن والانس في حياته ، ولذلك لا يزال الجـن يرى بكثرة حوالي قبته الى الان، وذلك كله لا يستبعده الا من لا المام له بالروحانيات، ونعوذ بالله من الجهل العميق الذي لا يجعل العلم الا في المحسوسات فقط .

عبد الله بن محمد من آل زاوية (نتزكارت) من الركراكيين وعنـدهم ظهائر السعديين ، فمن بعدهم على ذلك لاتزال مصونة ، عاصر المولى اسماعيل

له شهره بالمعارف وله خط جيد وانتسابهم اليوم الى ايت يعزى وهدي ليس بشيء .

اقول : جرى في تاريخ القاضي المراكشي السيد العباس ان اليفرني الشهير صاحب (الصفوة) كان من هذه القرية ولكن ذكر الحاكي انه من قرابة (ادعزي) ومن اخوانهم بلا ريب ، وهناك رسائل منه اليهم لا تزال تدل على ذلك دلالة قطعية وهم في قرية اخرى بتانكرت من آل يعزى وهدى .

الحسين بن الحسن بن الحسن بن احمد بن عبد الله بن احمد بن عبد الرحمن بن احمد بن محمد بن محمد، عالم حسن اخذ عن الاستاذ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي وعن سيدي محمد بن المحفوظ الشهير ، وعن العلامة سيدي الحاج الحسين، وكان من اصحاب الشيخ سيدي المدني وكان معنيا بتعليم كتاب الله، دينا مذكورا بكل خير توفي ليلة 16 جمادى الاولى عام 1344 ه ويقال له اوتاءرابت ، افادني ترجمته هكذا ، ولد له يخدم سيدي البشير ويلازمه .

بلخير بن ابراهيم بن الحسن ، عالم يذكر ، اخذ عن العربى الادوزى، او عن ابنه سيدى محمد[1] يسكن قرية : (اداوماركت) اسن حتى اناف على المائة شارط في مدرسة الفهم ما شاء الله ، وله فى الاجتهاد فى العبادة همة توفى نحو 1359 ه

بلقاسم بن علي السملالى الاصل ، عالم كبير وصالح معتقد وله ضريح مشهور وسط تانكارت عليه بيت كان من اهل اواخر العاشر ، وربما حيي ايضا اول الحادى عشر ، وله ولدان احدهما احمد بن بلقاسم عالم كبير وصالح وثانيهما عبد الملك القاضي زمن الامير بودميعة ، وهذا ما ذكره الحاكى ، والذى عندي انه عبد الملك بن احمد بن بلقاسم ، فيكون حفيد بلقاسم لا ابنه وهو الصحيح بلا ريب ان شاء الله ، وبودميعة امه فاطمة بنت احمد بن بلقاسم بن علي . ومن هنا نعلم شرف هذه الاسرة ، وإنها من الاسر العلمية ، حفيدا

---

1) اخبرنا شيخنا الالغي انه اصغر من ان يلحق سيدي العربي وانكر ان ينيف على الثمانين ، ثم قال انني اعرفه وهو وسط في معلوماته ،

عن اب عن جد ويتوفى عبد الملك اواسط القرن الحادي عشر ، وقد ذكر الحاكي انه رأى خطه وشكله ، وهو هو المذكور بين اولئك القضاة الذين تعتبر افعالهم كعبد العزيز الرسموكي . ومحمد بن سعيد العباسي ، ويوسف ابن يعزى كما تقدم فيما نقلناه عن احد الكتب من الخزانة الماسية ، عند ذكرنا لما رأيناه في ماسة من الكتب .

وهناك محمد بن عبد الرحمن بن احمد بن بلقاسم قائد افران وما سامته من اداي وتاغجيجت الى ان وصلت ايالته قرية (تيسينت) وراء اقا ، وكان من اعضاد بودميعة ، وداره بل قصبة ايالته التي تجمع حشمه وحاشيته في المحل الذي يسمى اليوم مسجد الجمعة وسط تازكرت ، وقد كانت الجمعة تقام في هذه القصبة واليوم لا جمعة هناك ، وان كان المسجد لا يزال، وقد ذكرت لهذا القائد صولة كبيرة، وهو من اخوال الامير بودميعة ثم انقرضت الرياسة في اهله بخراب ايليغ .

القائد صالح الشاكوكي من ادشاكوك الذين لا يزالون الى الان، انتصب قائدا هناك على يد احمد بن محرز حين تمكن في سوس يوم ثار على عمه المولى اسماعيل ، ولا تزال ظهائر بن محرز مصونة عند اهاليهم الى الان ، ثم لما سقط ابن محرز سقط بسقوطه ، فخرب داره المولى اسماعيل .

القائد احمد بن مسعود اشعو من آل شعو في الصحراء قائد المولى اسماعيل ثم ابنه محمد العالم يوم ثار فاستقل عن ابيه ثم عفا عنه السلطان بعده فبقي في مركزه ، وله ايالة واسعة في كل هذه الجهات الى الصحراء .

قال الحاكي انه رأى عند احفاده ظهيرا اسماعيليا بالتولي على قبيلة ايت اوسا ، وكانت داره في المحل المعروف بالسوق، حيث كانت قبل دار القيادة اللمتونية . وهناك مسجد يضاف الى الزيتونة لا يزال، وفي وسطه نطفية لايرى قعرها الى الان ، وتعد عندهم من الاعاجيب ، كما يأثرون عن ارواح تسكنها - فيما يقولون - خوارق .

هذه بعض فوائد املاها علي الاديب رب مثوانا، والبعض الاخر يوضع ان شاء

الله في مكانه بتاريخنا الكبير بحول الله .

كان في نيتنا ان نزور الاديب في النهار فقط ثم نرجع الا انه ابى كل الاباء الا ان نبيت عنده ، فزرنا بين الظهرين دار سيدي الهاشمي بن القرشي فهناك رأيت حاشية الحاج عبد الله الاكشتيمي على الشفاء في مجلدين كما احسب ، نسخها الشيخ سيدي المدني من الاصل عند الجشتميين، وهي حاشية مختصرة، بل وبسيطة في بعض المحلات .

وفي الصباح المبكر تناولنا الفطور ، لاننا على عزم السفر الى الغ، ولكن حين خرجنا من عند الاديب وقد ودعنا قرب طلوع الشمس رأينا السماء مكفهرة ، ثم لم تنشب ان ارسلت من امطارها ، فأنشدنا شيخنا ابن الطاهر ، وقد وجد عذرا لتنفيذ ارادته فينا بالتأخر عنده ذلك النهار :

هلا ابتكرت لبين انت مبتكر هيهات يأبى عليك الله والمطر[1]

فقلت له وقد كتبت البيت، من هو القائل؟ فقال الم تطالع العقد الفريد. فقلت ان عهدي به قديم ، فقال ان البيت من هناك ، وأحسب انه قال أنه لابن عبد ربه ، ثم حكى لنا حكاية وقعت للعلامة ابي الحسن الالغى ، وقد كان مرة عند الاديب الفقيه سيدي العربى الساموكنى ، فبات معولا على التبكير الى السفر فاذا بالمطر قد اصبح . وإخال انه ذكر ادبيات انشادا او انشاء للعلامة الالغى فى ذلك لم استحضرها الان ، لاننى ازعجت عن الكتابة عنه فى الحين .

ثم اننى وقعت على ما ياتى بخط يشبه خط العلامة علي بن عبد الله الالغي ، ونص ما وجدت :

لما نزلنا بدار الفقيه والاخ النبيه ، والعلامة الوجيه ، سيدي العربي بن محمد الافراني بتاكرت ، وابدأ في البر والاحسان وأعاد ، واستمال القلوب بما لديه من البر المعتاد ، وتذكرنا لذلك الوطن - والشكل بالشكل يذكر -

1) قال شيخنا سيدي عبد الله بن محمد الالغي ان في البيت خلاف ما هو معروف في الرواية التي هي - كما في المطمح -

هلا ابتكرت لبين انت مبتكر هيهات يأبى عليك الله والقدر
ما زلت ابكي حذار البين منتحبا حتى رثى لي فيك الله والمطر

عزمنا على الرحيل ، وأن نفكر في أول رعيل ، وضاق بذلك ذرع الاخوان وتبديل الاحوال من طبع الاوان ، وتضرعوا الى الله بقلوب منكسرة في جلب حائل ، وسبب لاتساع ميدان الاجتماع آيل ، وقد علم ان الله عند المنكسرة قلوبهم ، والمتكاثرة في الله كروبهم ، فأصبح السحاب بأمر الله على القنن منسدلا، والمطر منهملا، فسبحان من سخر السماء، وأجرى احوالها لجبر قلوب احبته المحبوبين في الارض ، ولما عزمنا على الاقامة والقينا داعي السفر، وظهر ان يد الله مع الجماعة ، قال الاخ الاديب والحب النجيب ، والالمعي النسيب سيدي محمد بن الطاهر بن محمد بن ابراهيم الافراني هذه الابيات، التي كانت على براعته من ابدع البراهين والايات :

للسحب اي يد علي عظيمة ... ما زلت اشكرها بملء لساني

لما رأت شيخ البرية مزمعا ... عنا الترحل قاصد الاوطان

ورأت قلوبا خيف بين حبيبها ... حالت لما فيها من الرجفان

ورأت شؤونا فائضات مثل ما ... جاد الغمام بوابل هتان

ألقت على وجه الجبال قناعها ... فبكت بكاء للسرور دعاني

فأعجب لدمع هاج دمعا كان في ... منع النوى من صادقي الاعوان

ثم وجدت مع ذلك في الصفحة هذه القطعة الاتية ، ولا ريب انها لسيدي محمد بن الطاهر في الترحيب بالاستاذ علي بن عبد الله لما ورد اذ ذاك :

اهلا بشيخ مشايخ ابرار ... شمس الهداية طيب الاسرار

اهلا به من وارد تحيا به ... ارض القلوب بهاطل الانوار

وبمن اتى معه وكل فتى يرى ... منه المحبة قرة الابصار

ثم انهم اقترحوا رجوع البغال التيمولائية لوجود البغال عندهم ما دامت هي العذر الحافز لنا على العجلة ، فرجعت من هناك . ثم في وسط النهار طلعنا الى المدرسة فوقعت بين اوراق متراكمة في محافظ من صندوق، فجمعت منها اضبارة سيالة بالادبيات ، كانت من خير ما احتقبته من سفرتي هذه ثم رجعنا عند الظهر ، وقد انقشع المطر الملث قليلا ، فإذا بشيخنا العلامة الكبير

سيدي الطاهر بن محمد وافانا السعد بموافاته من آداي الذي كان فيه عند الحرث ؛ قال ان القاضي الاقاوي اخبرني بورودكم فجئت وقد ارسلت البهائم الى تيزلمي ، فتم لنا بذلك سرور عظيم لا يكيف ، فحمدنا تأخرنا ذلك النهار ، تالين قوله تعالى : (وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم) .

هكذا استجددنا جلوسا آخر بفوائد اخرى ملانا بها من وسط نهار السبت الى صبيحة الاثنين ، وقد قال لنا شيخنا اننا جميعا سنتصاحب الى تيزلمي يوم الاثنين ، فرويدا حتى نسافر في وقت واحد جميعا ،

فمما رأيته هناك من الكتب التي توصلنا بها ـ لاننا استحيينا من القوم ان نطلب منهم ما نطلبه من غيرهم من عرض مخطوطاتهم لنرى هل نجد من بينها نوادر .

1 ـ مؤلف في الاستعارات في 8 صفحات تتضمن مقدمة وفصلين وخاتمة لاحمد بن عبد الله بن مسعود احد علماء ايلالن الذين يحيون من اواسط القرن الثاني عشر الى اواخره ويتضمن سؤاله للشيخين سيدي محمد بن يحيا الازاريفي ، وسيدي محمد بن مبارك الحجوبي ، عن اشكال في قول الشاعر :

قنافذ هداجون حول بيوتهم   بما كان اياهم عطية عودا

لانه لم يرض بما قاله في لفظة قنافذ شارح الموضح لابن هشام على الالفية[1] وهناك جواب المسؤولين . اتم الكتاب عام 1176 هـ.

2 ـ (شرح) سيدي عبد الرحمن بن عمرو البعقيلي على (السيارة) في 15 صفحة في 22 سطرا في قالب وسط ، جلد مع ما قبله .

3 ـ (شرح) العشرين حرفا المذكورة في (قواعد الاعراب) الشهير لابن هشام ، شرحها سيدي علي بن احمد الرسموكي في 26 صفحة في ذلك القالب، جلد مع ما قبله .

4 ـ (المستعان في حكم الاذان) للمرغيتي ، نظم مع ما قبله ايضا.

---

1) يراجع ذلك من تعلق به غرضه في شرح الازهري على الموضح ، فقد تكلم في ذلك المحشى ياسين بما يشفي ويكفي .

5 ـ (مولف) للجد الادوزي في البيع الى اجل زمن المجاعة بازيد من ثمنه المعتاد ، كان كتبه لسبب ، ثم لما وقعت الواقعة المشهورة بين الاستاذ ابي عبد الله الالغي وبين من باع لهم الى اجل في مجاعة نحو عام 1299 ه وفي عام 1295 ه تفاوضا في ذلك فأرسل الالغي الفقيه سيدي العربي الساموكني ، فنسخ المؤلف من هناك ، وهو كتاب فيه 22 صفحة ، ولم اره قط ولا سمعت به الا هنا .

6 ـ نظم وشرحه ، كلاهما للعلامة ابن الطيفور الساموكني ثم التيزنيتي اتمه عام 1257 ه ونسخه تلميذه العلامة ابن ابراهيم التامانارتي عام 1262 ه ولم اجد في مذكراتي وصف الكتاب ولا تبيين موضاعاته، ولعل الموضوع الجداول

هذا ما تيسر هناك رؤيته من الكتب التي يتعلق غرضي بها ، واما الافادة عن رجال تلك الناحية من غير من اعددناهم للمعسول فقليلة ، منها :

سعيد الكثيري نزيل اداوشقرا ، وأصله من قرية الأرض بتمنارت جلا عن ذلك المكان عام 1255 ه حين كانت القارعة على الرؤساء هناك من اولاد الشيخ بن ابراهيم التامانارتي وكان هذا العالم ممن يذكر الى اواخر القرن الماضي .

وقد تذاكر الاستاذ في لفظة (مضاما) في قول البوصيري في هزيمته :

(لا تخل جانب النبي مضاما)

فقال انني راجعت وفتشت في كتب اللغة فلم اقف الا على ضامه بالثلاثي لا على اضامه . فقال له ابنه سيدي محمد : كفى باللفظة استعمالا وجودها هنا، فتبسم الشيخ فأنشد :

وعجيب منه فقيه نبيه   بمحل النزاع كيف استدلا

ثم قال انهم لا يستعملون الا ضامه فهو مضيم[1] فأنشد :

---

1) وذهب شيخنا الالغي الى ان الاولى ان نقول مضاما بالفتح فيكون مصدرا ميميا على حذف مضاف اي ذا ضيم فانه ليس هناك ما يوجب ضم الميم حتى نتوقف هكذا قرر فتامل، لان الاخبار بالمصدر لا يكون الا مع قصد المبالغة كما تقول : رجل عدل وهذا ينتفي هنا ثم اخبرني شيخنا سيدي المدني الرباطي ان العلامة سيدي المكي ذكر في تخريج مضاما بالضم انه من اضامه اي عرضه للضيم كما يقال اباعه اي عرضه للبيع ذكر ذلك في شرحه على الهمزية.

ان ان الكريم يحلم ما لم   يرين من اجاره قد ضيما

وانشد ايضا :

لا يعجبن مضيما حسن بزته   وهل تروق دفينا جدة الكفن ؟

كما انه ذكر ايضا لفظة (لم يرما) في قول البوصيري ايضا في بردته :

(والصدق في الغار والصديق لم يرما)

فقال : ان اللفظة من رام المكان يريم ، وقد قال الاعشى :

(ايا أبتا لا ترم عندنا   فانا بخير اذا لم ترم)

فالذي يقال حينئذ هنا لم يريما، لانه لا سبب لحذف الياء

ثم قال كأنني بالبوصيري لم يقل اولا الا هكذا :

(والصدق في الغار والصديق لم يرم)

ومقصود التصريع في البيت ، ثم حرفت اللفظة في النقل ، فقلت له لماذا لا نقول ايضا مثل هذا في لفظة مضاما ، فيكون الابوصيري انما قال مضيما ، ثم حرفت اللفظة في النقل ، فتردد في الجواب ، ثم انفصل على ان الرواية هكذا كانت ، ثم انني لم استحضر ما قال في كون المخبر عنه مثنى في ذلك الشطر

ومن انشاداته اثناء تلك المجالس في وصف من لا يزهى بما يقول :

ويسيء بالاحسان ظنا لا كمن   يأتيك وهو بشعره مفتون

ومنها :

عبءالصدود اخفمنعبءالنوى   لو كان لي في الحب ان اتخيرا

ومنها :

لن يبلغ المجداقوام وان شرفوا   حتى يذلوا وان عزوا لاقوام

ويشتموا فترى الالوان كاسفة   لاصفح ذل ولكن صفح اكرام

ومنها للسيوطي :

ان الذبيح هديت اسماعيل   ورد الحديث بذاك والتنزيل

ومنها البيت المشهور المعقول من ذلك النثر الماثور :

اناة فان لم تغن اعقب بعدها   وعيدا فان لم يغن اغنت عزائمه

ومنها :

اذا انت لم تعرض عن الجهل والخنى | اصبت حليما او اصابك جاهل

ومنها :

اوحشتني ولو اطلعت على الذي | لك في فوادي لم تكن لي موحشا
يا محرقا بالهجر قلب محبه | انسيت انك كنت تسكن في الحشا

ومنها - وقد حكى ان الشاذلي تحمل سلاما نبويا من عالم الارواح الى عزالدين ابن عبد السلام ، فاسر اليه بذلك في المجلس فكأن ابن عبد السلام لم يصدقه، فاذا بقائل يقول وهو بعيد عنهما :

صدق الحدث والحديث كما جرى | وحديث اهل الحب ليس بمفترى

ومنها :

يا مرحبا بحبيب لست ابصره | الا تجدد لي انس بمرآه
وان تغيب عن عيني ولم اره | فلي فؤاد بظهر الغيب يرعاه

ومنها وقد عبر فيها بما هو منه خلق جبلي - :

اذا شئت ان تحيا ودينك سالم | وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امريء | فعندك عورات وللناس السن

انشدهما حين انشدته لناصيف اليازجي اللبناني ؛

ليس الوقيعة من شأني فإن عرضت | اعرضت عنها بوجه بالحياء ندي
اني انزه عرضي ان يلم به | غيري فهل اتولى هتكه بيدي

ومنها :

اذا ما قضت نفسى من العز حاجة | فلست ابالي الدهر املى لها ام لا

ومنها ؛

واذا ما الجناب كان عظيما | مد منه لخادميه لواء

ومنها :

كل تجارة سوى العلم الى | خسر فدعها ان ترد نيل العلا

ومما وجدته مكتوبا في مذكراتي عن تلك المجالس، ولم اذكر فيها من

انشدها بالتعيين، الشيخ ام ابنه سيدي محمد، قول الشاعر من الصحراويين ؛

لا يكسب الشعر تبجيل وقولهم — عسى تكون لنا من شيخنا خلفا
كلا ولا انا نجل الشيخ سيدنا — ابي وأمي قد فاقا الورى شرفا

وقول آخر :

اقدمت ويحك من هجوى على خطر — والعير يقدم من خوف على الاسد

وقول آخر :

الجبن عار وفى الاقدام مكرمة — والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

وقول آخر ؛

اياك ان تصطفى ممن ترى احدا — ولا تثق بامريء فى حالة ابدا

وقول ابن تميم ، واكبر ظنى ان الذي انشدها شيخنا سيدي محمد ؛

لما ازرتك شمعتى لتنيرها — جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
وافته حاسرة فقبل رأسها — واعادها نحوي بتاج من ذهب

واحسن منه كما قال المنشد قوله في مليح بيده شمعة ؛

عجبا له انى يزور بشمعة — وضياؤه يثني الظلام نهارا
واظنها لما تلهب قلبها — حسدا اسالت دمعها مدرارا
وغدت لفرط الغيظ تعطي كل من — وافى ليقطع رأسها دينارا

وقول آخر ؛

اما وجميل الصنع منه وانها — اليه بر مثلها لا يكفر
لو اسطعت حولت البرية ألسنا — و كنت بها اثني عليك واشكر
ولست اوفي حق ذاك وانما — قياما بحق الشكر جهدى اشمر

ومن انشادات شيخنا سيدي محمد بن الطاهر الاديب الكبير ما قاله بعض السوسيين ليعقوب المنصور الموحدي ـ كما قال المنشد؛

ما انت في امراء الناس كلهم — الا كصاحب هذا الدين في الرسل
احييت دين النبي الهاشمي كما — احياه جدك عبد المومن بن علي

وانشد ايضا ؛

فاض بحر الفرات في كل قطر — من ندى راحتيك عذبا فراتا

غرق الناس فيه فالشمس الفقـــــر خلاصا فلم يجده فماتا

وانشد ايضا :

خليلي ان العلم بالتجر مجروح وما بين افخاذ الخرائد مذبوح

وانشد ايضا لبعض الحمدونيين نسبة الى الشيخ سيدي حمدون الفاسي كما قال الشيخ والد المنشد :

كنت نورا وكان ثم عماء ونبيا وليس طين وماء

واذا كان من علاك العلاء (كيف ترقى رقيك الانبياء

يا سماء ما طاولتها سماء)

وانشد للشيخ سيديا الصحراوي :

يا معشر البلغاء هل من اوذعي يهدي[1] حجاه لمهيع لم يسمع

اني هممت بأن أقول قصيدة بكرا فأعياني وجود المطلع

فدعوا السوانح والبوارح واتركوا ذكر الحمامة والغراب الابقع

وتتابع العبرات في وجناتها وتردد الزفرات بين الاضلع

فجميع هذا قد تداوله الورى حتى غدا ما فيه موضع اصبع

فاليوم اما سارق مستوجب قطع اليدين وحسمها فليقطع

او غاصب متجاسر لم يثنه عن فعله حد العوالي الشرع

فكأنه في عدوه وعدائه فعل السليك وسلمة بن الاكوع

والشعر للتطريب اول وضعه ولغير ذلك قبلنا لم يوضع

واليوم صار منكدا ووسيلة قد كان مقصدها انتفى لم تشرع

وانشد ايضا لليفرني صاحب الصفوة ، يصف رحلة[2] ابن موسى الناصري الى مراكش :

دعوا عنا بفضلكم الكؤوسا فقد انسى الطلا شعر ابن موسى

ارى رحل الاوائل ماشطات على قدم ورحلتك العروسا

1) هكذا الرواية بالبناء للمجهول .

2) رأيتها مخطوطة في خزانة الفقيه ابن كبور المراكشي في مجلدة .

ومن انشادات الاديب سيدي البشير الناصري ما كتب به اليفرني المذكور الى المسناوي ، وقد طرقه اليفرنى فى مكناس، يسأله أخذ التلخيص فى البيان عنه بعد ما تمنع .

اسيدنا من لاله فى زماننا ... ميل وهل للشمس فى جنسها مثل
لعمرك ما التلخيص الا كغادة ... غدوت لها كفؤا اذا التمس البعل
عضلت بنات الفكر منك تمنعا ... وفى علمكم لا ينبغى للاب العضل

ومنها ما كتب به المذكور ايضا للعميري المكناسى يستجيزه .

لله فهرست راقت بما جمعت ... من العلوم على كل الفهاريس
ابرزها فكر مولانا وعالمنا ... قاضى القضاة ونبراس النباريس
ما شئت من ادب غض يروق ومن ... معنى زري[1] بابن اوس وابن حمديس
ود الحريري لو يعطى بلاغته ... وابن الخطيب كما ود ابن طاووس
ياليته خط لى سطرا يسر به ... قلبى وأرجو به سكنى الفراديس
يجيزني بجميع ما لديه كما ... اجازني الغر ارباب الطياليس
ادامه الله في عز ومكرمة ... ومن يعاديه في نحس وتنكيس

ومنها مديح في الشيخ الكنتي الصحراوي لبعضهم .

اتيت سيدنا المختار ، لا اربى ... من فضة ابتغي كلا ولا ذهب
وانما اربى كشف لما نسجت ... كف الخطايا على قلبي من الحجب

ومنهـــا :

لا تمنعني وقفة اشفى بها ... داء الفؤاد فإنها ماعون

ومما انشد الاديب سيدى محمد بن البشير لبعض المتقدمين، وقد كتب اليه بعض اقرانه في صدر رسالة ، وامتع بك، وقد كانت العادة ان لا يكتب بها الا الاعلون لمن تحتهم ـ والابيات مشهورة .

اجلت عما عهدت من ادبك ... ام نلت ملكا فتهت فى كتبك

1) تعدية الباء ازري مستعمل ، وقد كانت المذاكرة جرت فيه فقال ا كُيك :
ولا تنكرن زري به فهو مزدر ... بمنكره والنقل في مفرد اللسن
يعني كتاب (لسان العرب) .

ام قد نرى ان في ملاطفة الـــــاخوان نقصا عليك في ادبـك
ان جفاء كتاب ذي مقـــــة يكون في صدره وامتـــــع بك
اتعبت كفيك في مخاطبتي حسبك مما لقيت من تعبـك

ومما انشده الاديب سيدى المدني بن محمد بن الطاهر فيما احسب ، – ما جرى بين ابن المقري ووالده، حين قطع الوالد النفقة عن ولده لزلـة ، فكتب اليه ولده مستعطفا :

لا تقطعن عادة بـر ، ولا تجعل عقاب المرء في رزقه
فإن امر الافك من مسطح[1] يحط قدر النجم من افقه
وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

فأجابه الوالد :

قد يمنع المضطر من ميتة اذا عصى بالسير في طرقه
لانـه يقـوى على تـوبة تكون ايصالا الى رزقه
لو لم يتب مسطح من ذنبه ما عوقب الصديق في حقه

بين امثال هذه الانشادات واثناء ما اليها من الادبيات ، امضينا هناك من نهار الخميس الى بكرة يوم الاثنين بين تدفق الفوائد وتوالى الموائد فكنا ناخذ من القوم علمهم ومالهم ونستمتع بأدبهم وبنشبهم وامثال هؤلاء يقصدون وبنوادي نظرائهم يلم النازلون :

ننقل اقـدامنـا الى ملك ناخذ من علمه ومن ادبه

ثم ان هذا الوادي وادى تانكرت ، ينبغي ان يسمى بـ: (وادي الادباء) لانه منبع الادب العربى الطافح وتحت ظلاله الظليلة ، وبين نسائمه العليلة يحيا كثيرون من ادباء زانوا القطر السوسى كله ، وبجيرانها تغلو الديار وترخص فهنا درج سيدى العربى السامو كنى وسيدى محمد بن الحاج ، وسيدى البشير العزيبى من الاسرة التى مضى فيها الاديب اليفرنى صاحب (الصفوة) المراكشى وسيدى الطاهر بن المدنى الناصرى ، ثم لا يزال فيه الان من ذكرناهم من الاحياء اطال الله عمرهم فى خفض ودعة وسعادة .

1) قصته في قضية الافك مشهورة ، وفيه نزل (ولا ياتل اولو الفضل الخ) .

الى السـ ـغ

خرجنا صبيحة الاثنين الثانى عشر من ذى القعدة مع شيخنا سيدى الطاهر وهو على رمكة حمراء كأنها فرس مطهم ، وقد حبب اليه الركـوب عليها ، اسوة بجده سيدى محمد بن ابراهيم الشيخ ، فجزنا وسط الحقـول التى كاد زيتونها يضمحل فى السنوات الاخيرة ، لقلة ماء عين (تيغرست) فلا يسقى فى كـل ذلك الا قليل ، فتذكرت سنوات 1333 هـ 1336 هـ حين كـنا فى المـدرسة فنسمع خرير المياه من كل جانب خصوصا في الليالى الهادئة ، وفى النهـار لا ترى العين الا خضرة مزدهية ترفل فيها الاشجار والحقول من اعالى الـوادى الى اسافله ، ولا تقع عينك على اية بقعة خالية من الخضرة، اما من الذرة واما من البقول او الزرع وقد اشتبكت الفاف الزياتين بين كـل الاطراف وفى بعض الجوانب الحدائق الغلب الزاخرة بأشجار الفواكـه المتنوعة ، وقد سمعت يوما شيخنا سيدى الطاهر المذكور يقول: ان فى ذلك الوادى اكثر من عشرة انواع من التين فقط فضلا عن غيره وهكذا اخنى الدهـر على وادى تانـكرت الزاهى الزاهر فيما نعهده منه . وفى هذه السنة هطلت امطار كثيرة استرجعت بها عيون كثيرة عهدها الاول، ولعل المعهود يرجع ايضا الى ذلك الوادي الجميل.

وقد وجدنا امامنا الرئيس احمد بن ابراهيم الذي يسمى رسميا: خليفة القائد قد سجن هو وولده ، وقد كان على كل تانكرت وإداوشقرا وأمسـرا وأيت موسى بمجاط ، وكانت الرياسة القبلية مرت في آبائه كما سمعت ، ثم لما عينته الحكومة قبل الاحتلال صار يتأثل حتى استرد كـل اصول آبائه من الاملاك، وقد اعانته الحكومة حتى اثرى ثم ان ولدا له عدا ليلا على هري تاجر اسرائيلي في سوق المركز الحكومي هناك ازاء قصبة أحدادو ، فأخذ كثيرا من الـدراهم والاثاي والكتان وما الى ذلك ، وقد رآه الحرس فأمرهم بالسكـوت ، الا ان الحكومة حين سجنت الحرس وعاينوا العذاب ، اقروا بالفاعل ، فكان ذلك هو السبب ، فكبل الولد ونقل الوالد الى بوزاكارن مثقفا الى الان ، وقد سمعت

الناس اتفقوا على انه لم يكن يحترم شيخنا المذكور ولا سيدي البشير الناصري، وكان من عادة الله فيمن لا يحترمهما ان يعجل اليه النكال الاليم، وهذا ما رآه الناس كلهم سببا باطنيا لما وقع فيه ، ونعوذ بالله من دعوة المظلوم التي لاتغلق دونها ابواب السموات، وقد قيل انه احتوش متاعا للسيد البشير الناصري وهذا والله تعد عظيم جسيم، ولعل الرجل يتوب من ذلك فيما بينه وبين نفسه فيتوب الله عليه، وهذا الرئيس يناهز اليوم 56 سنة في عمره ، بنى ديارا واسعة وظهر بمظهر الاثرياء ، الا ان الله سلط عليه ولده فسبق بسببه الى ما نرى، ثم بلغنا الخبر عن قرب انفكاكه من الاعتقال ، ولكن لم ينشب ان توفي .

قطعنا مع شيخنا ذلك الشعب الذي بنيت فيه دار اوبخيس، رئيس ايت موسى اليوم ، فكنت مع شيخنا في مذاكرات شتى استفدت منها كثيرا وقد تذكرت صبيحة يوم من رمضانات 1335 ـ 1336 ه وقد اردفني وراءه على فرس فكان يطارحني ادبيات حفظتها اذ ذاك ، فقلت هذه سنة 1361 ه فكم مضى من عام ثم يأبى الله الا ان نمر ثانيا هنا هكذا ، وقد عجبت من الاستاذ الذي له من العمر[1] 77 سنة وهو يجول في صهوة فرسه ثم هو يمشي وحده بلا رفيق فقلت : هكذا هكذا الرجولة ، فأين من شيخنا البدوي هذا اولئك الفقهاء من الحواضر هل يقدر احدهم على ركوب الفرس القماصة كهذه التي ركبها شيخنا وهو متمكن في عنانها يديرها كيف يشاء مع قوتها وضخامة جسمها وملاعبتها لعنانها مرحا ونشاطا ، لان شيخنا حررها من كل الاعمال وخصها بالركوب ، فاستجمعت لحسنها كل اوصاف الخيل الذكور البارزة ، وما خفى اعظم واجل

اذا لم تشاهد غير حسن شياتها واعضائها فالحسن عنك مغيب

فهكذا الشيخ في صبارة البرد وفي حمارة القيظ ، واوان انهمار الامطار كما وقع ذلك النهار الذى جاء فيه من اداي ، واما امثاله من الفقهاء هناك فان لسان حالهم كثيرا ما ينشد :

الذيب اخشاه ان مررت به وحدي واخشى الرياح والمطرا

1) قد امد الله عمره حتى توفى على رأس التسعين .

وامام (وا كُشرير) ودعنا شيخنا احر وداع ، فتوجه الى مكـان حرثه في افانتيقي حيث كانت ارض تالدة للاسرة من عهد الشيخ سيدي محمد بن ابراهيم التامانارتي رضي الله عنه .

ثم صمدنا نحن الى (اكادير إيزري) حيث مساكن ابنـاء اعمامنا نقصـد النزول عندهم لارى تلك الجهة التي ما رأيتها قط ، فنمشي وقـد تجلبب الجـو بسحب دكناء . والبرد القارس الشديد يثلج الدماء في شرايينها ، وقد خفنا ان ينزل المطر قبل وصولنا ، ولكن الله سلم ، فلم ترخ السماء عزاليها حتى دخلنا دار الكريم الحسن بن بلا الذي بادر فذبح كبشا كان هيأه للضحية . وهو من اكارم المرابطين .

هذه هي ارض (تيزلمي) الشديدة البرد ، لكنها صحية الى الغاية. فكنت ترى اهلها في قوة ومنة وخفة اجسام وقلة امراض ، ونساؤهم كأنهن الغـزلان ، دقة وصحة ونشاطا ، وقد مرت ثلة من الرؤساء في تيزلمي منهم محمد بن علي المنصاكي ، وكان من الحربيليين الساكنين اذ ذاك في مكان ادبنيران اليوم، واحسبه يعيش بين القرن الثامن والتاسع ، ولا يزال اناس ينتسبـون اليـه الان هناك ، منهم رئيس صغير سموه لي .

ومنهم جدود القائـد مبارك البنيراني الشهير المعتقـل اليوم في درعـة ، وسنوفي اخبارهم ان شاء الله في (المعسول) (ثم انه رجع من المعتقل وشيكا، ولم يلبث ان هلك.)

ومنهم قائد يلقب بأدراق الكرموني ، كـان احد قائدين اسماعيليين على مجاط ، حدثني من رأى رسوم املاكه الكثيرة المبيعة بعده ، ويذكر انه كان في عهد الثائر صالح الثائر المشهور في اكادير ، وهو الذي اعتقله سيدي محمد ابن عبد الله في حدود عام : 1170هـ .

ومنهم القائد سعيد بن محمد العلوي المجاطي ، وقد استوفينا كل ما عندنا عنه فيما مضى من بعض مؤلفاتنا .

وفي اكادير ايزري حيث مسجد إيشو كاك نزلنا ، فذكر لنا ان هذا المسجد

قديم قبل هؤلاء المرابطين ، وانه للحربيليين الذين جلوا عن هذه الارض ، وكل مبتاعاتهم كانت من حربيليي أداي وأمتضي وما اليهما ، وحول المسجد مقبرة بعضها كان لاولئك ، والبعض الاخر لهؤلاء المرابطين ، وهناك قبر الرجل الصالح سيدي محمد بن موسى بن محمد بن عبد الله بن سعيد .

حال انهمار المطر بيننا وبين الغ يوم الثلاثاء ، فكنت مع سيدي ابراهيم ابن العم في احاديث عطرة عن الحواضر وعن افكار طالما تعجبنا حين كتب عليها ان تنشر هناك ، لانها لو تكشفت لمن هناك لما عرفوا منها قبيلا ولا دبيرا ، وقد كنت كتبت رسالة في مجلدة سميتها (رسالة الشباب) اقصد بها ما على الشباب نحو امته، وهي في شكل (رواية) فبها قطعنا ذلك النهار تلاوة، وابن العم يعجب بالافكار التي اودعتها فيها (1)

ثم في صباح الاربعاء ركبنا بغال اولئك الكرام الذين رجعوا بغال السادات التانكرتيين ، فاندلقنا الى الغ فصاحبنا مرابط من اولئك يلقب بوجوا ، وقد كان حينا من الدهر من العملة في فرنسا ، فذكر انه هو ومرابطا آخر (2) من الواكشرديين من اوائل الذين أسسوا الاخاء المغربي بين عملة المغرب في فرنسة فيجمعون اكتتابات، ثم عينوا محلا بالكراء لصلاتهم، ثم لما اشتهر امرهم ادى ذلك الى ان اعتنت الحكومة بذلك ، فتأسس مسجد باريز ، فقلت : هكذا ابتدأ العمل بأناس سوسيين من قبيلتنا المشهور رجالها بالنهوض بالديانة اينما حلوا ، ثم يذهب ابن غبريط بشهرة المسجد ، والشهرة في هذه الحياة حظوظ وقسم .

ثم لما رجع المرابط دخلت مع رفيقي الاستاذ في حكايات طابت لنا ، فحكى غريبة وقعت في حاحة بمركز تمانار فى الايام الاخيرة ، وذلك ان مدررا في مسجد بينه وبين طالب آخر سوسي هناك شنآن ، فسحره بالرجم المعروف،

1) تلفت ـ بكل اسف هذه الرسالة في تنقلاتي بين الغ والبيضا والرباط بعدما خرج بعضها .

2) هو المسمى (مرابو) الساكن في البيضا .

فبينما المدرر جالس مع تلاميذه فى المسجد ، اذا بدواة من يد احدهم اندفعت بكل قوة الى وجه المدرر ، ثم توالت الواح الصبيان عليه ، وكل ذلك يراه المدرر ويعلم ان لا يد فيه للصبيان ، ثم توالت عليه خشب واحجار اخرى، الا انها انما تقع عليه ولا تؤذيه ، فجرى جار الى القائد بتمانار فاسرع هو ورئيس المركز المراقب الاوربي فتثبتا في ذلك ومعهما الفقيه سيدي محمد بن احمد اخو هذا الحاكي ، فذكر لهم الطالب السوسي الذي اتهم بفعل ذلك . فأتى به الاعوان ، فراودوه حتى ازال السحر ، ثم توعده المراقب بالسجن ان عاد لمثل ذلك ، ثم اطلقه ، فقال الناس لولا ان المراقب يخاف على نفسه لما افلت الطالب من السجن، ثم حكينا - انا وهو - حكايات صحيحة ثابتة من هذا النوع، احداها وقعت في إمتانوت ، وثانيتها في إيشت، وثالثها عندنا نحن في دارنا عام 1352 ه فقد وقع ان الاحجار صارت تتوالى على السطوح وعلى الساحات الداخلية في العشايا وفي كل الليل لا تفتر، وقد فتش - لعل فاعلا يفعل ذلك - فاذا به لا شيء هناك ، ولكن العمل لا يزال مسترسلا، الا ان الاحجار لا تكسر اناء ولا تؤذي احدا مع كبرها وكونها بصدد الكسر والاذاية، وقد بقي ذلك اياما الى ان ذهب الموذن اليوم في الزاوية سيدي محمد ابو الركيك فاذن جهارا وآذن فاعلي ذلك بالانكفاف ، والا فلا يلومن الا انفسهم ، فانقطع ذلك ، وهذا الرجم معهود عند الطلبة يكتبون في طرف خزفة سورة (الفيل) كلها الى آخرها ، كما اخبرني بذلك من يعرفه ، ولله في خلقه شؤون .

وكأني بأحد المتعاقلين من ابناء اليوم السذج الذين لا يومنون الا بالمحسوسات الملموسات يذهب الى ان كل هذا كذب في كذب ، وما جواب هذا الا ان نفتش عمن يسحره بمثل هذا ليرى بعينه حقيقة ما ينكره ، والعاقل كل العاقل لا ينبغي له ان ينكر حتى يتثبت وحتى يعلم الواقع ثم لا يكابر بعد.

اشرفنا على الغ ، فقلنا هذا إلغنا وهذا مسقط رأسنا وهذا هو الذي تحن اليه اكبادنا ، وفيه اولادنا الذين هم انفسنا وأرواحنا .

وحبب اوطان الرجال اليهم   مآرب قضاها الشباب هنالكا

اذا ذكروا اوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

ثم لما حاذينا الديار، ولساني لا يفتر عن سورة (الاخلاص) عادتي كلما شارفت محلا، نفرت البغلة التي اركبها من صبي لبس لونا اسود فاذا بي ساقطا على ظهري ، ولكن سلمني الله ولعل ذلك ببركة القرآن العظيم ، والا فقد كانت سقطة غريبة قلما يامن صاحبها فالحمد لله على السلامة ، ثم كان من الغريب ان حدثني العم ابو القاسم ان الشيخ الوالد كان يقول : يجب على كل من اشرف على هذه القرية من كل الجهات ان قصدها ان يشتغل بالاستعاذة بالله ، فإن لعين اهاليها تاثيرا ، فقلت : انني - اذن - اصبت من العين ، وفي حديث صحيح من مسلم : (العين حق) ،

ثم القينا عصا التسيار في الدار ، قرب الحادية عشرة من يوم الاربعاء الرابع عشر من ذي القعدة عام 1361 هـ.

وقد ارسل الي الاديب القاضي سيدي الطاهر هذه القطعة تهنئة بالقدوم من السفر :

فرحا طويلا جاءنا المختار من سادة آباؤهم اخيار
فاستبشرت بقدومه الغ فزا ل الكرب عنه وردت الاسرار
هدى بضاعتنا بفضل الله قد ردت فقد قرت بذا الابصار
سعدت بكم هذي البلاد وشرفت وبكم عليها فاضت الانوار
وتفتحت ازهارها وتزينت وتباشرت بالمقدم الاقطار
ما الغ ما مراكش ان لم تكن تغشاهما يا أيها المختار
ما الفخر الا بالعلوم وبالتقى ليس الصبابة مفخرا وعقار
فعلى جنابكم الرفيع تحية لا الورد يحكي نشرها وبهار

الجواب :

من كنت لولا اخوتي الابرار فبهم فخاري ان يعن فخار
كل له شيع وانتم شيعتي نعم الملاذ لمن عراه عثار
اولاكم ما طاب في بدو حيا ة لي ولا فيه يكون قرار

اني جبلت على الحضارة بعدما | طويت بها لي بينها اعصار
عشرون حولا يا لها من مدة | طبعت بها العادات والافكار
لكنني من بعد ان آنستني | وأريت كيف ترفع الاقدار
قد كدت آلف بدو الغ وانثني | عما تروم «البهجة» المعطار[1]
فكربت انساها وانسى اهلها | واصم ان طافت بها الاخبار
وأرد قلبي مرغما عن حبها | لو كنت في اشجانه اختار
واصد عنها ان تناد جميع من | كانت لهم في وصلها اوطار
قد عاد الغ وبدوه.حضرا بما | يوليه من الطافك الاكبار
فلقد بدت لي الغ شمسا اشرقت | منها ازاء جوارك الانوار
او روضة مخضلة ارجت بما | يشذى بها تحت الصبا النوار
ما الغ ما مراكش ان لم يطب | بهما اخوك المخاص المختار
ايان تستطب الحياة تكن به | في الغ او في غير الغ الدار
والك المهود موثقات ان تدو | م بودي الآصال والابكار
ما ان يزال مجاورا مني الاخا | ء وان يزل يوما عن الغ جوار
فلتزهون الغ بقاضيها فما | كفاه الا دافق زخار
ولتغتبط منه بفذ مفرد | غبطته من عليائه الاقطار
وعليه من هذا المحب تحية | تشذى بفضل اريجها الازهار

ومما يستحق الذكر هنا انني بعدما بدأت اذكر حضرة الاديب البشير الناصري حدث ما حال بيني وبين اتمام ذلك اياما فرأيت في عالم المنام انني كنت امشي مع الاديب سيدي الطاهر المذكور فاذا بستان لسيدي البشير عليه حائط وغلق ، فاستفتحنا فاذا بخمائل وحدائق ترف ازهارا وبناء يشتمل على قباب فقلت لصاحبي اذ ذاك :

خمائل بستان البشير دعت الى | موافاتها نادت بذاك الخمائم
نكاد نجوزها سوى انه ثنت | اعنتنا منها الزهور الفواغم

---

1) اعتاد المراكشيون ان يطلقوا البهجة على مراكش تظرفا .

ثم استيقظت ، فهكذا عدت الي عادية الادب من الاديب الناصري حتى صرت انظم في النوم ، ويالها من عجيبة ، ويا طالما اراني اقرض الشعر في المنام ، ولكن كثيرا ما انسى في اليقظة ، وقد ذكر لي ابن العم سيدي ابراهيم بن احمد انني انشدته صبيحة ليلة في مراكش قولي في المنام :

لا الغ الغ ولا المختار مختار   ان يسكتا عن امور كلها عار

كنت نسيت ذلك كله حتى ذكرنيه فتذكرت (وفي مدارك الاحلام اعاجيب) .

كنت كتبت الى شيخنا سيدي محمد بن الطاهر يوم استقررت في داري بالغ اثر هذه الرحلة : هذه الرسالة المسجعة نزولا على الذوق الذي لا يزال يرى الكلام المرسل بعيدا من البلاغة وعاريا من الفصاحة ، وانه لا ترسل الا الترسل المسجع .

(شيخنا الذى بالانتساب اليه تتكلل المفارق، وبمخاطبته بما هو من بعض اوصافه الباهرة تتحلى المهارق، ابوعذر البلاغة وابن بجدتها، والمتلقي باليمين بين فصحاء العصر لرايتها،[1]ابو عبدالله سيدى ومولاي محمد ابن الشيخ الامام، المرفرف الاعلام ، الفارع كل من في هذا القطر من الاعلام ، سيدي الطاهر بن محمد التامانارتي ثم الافراني ، فعلى ذلك المقام السني، من السلام الذكي ، ما يفغم هناك كل معطس [2]، ويعطر جو كل مجلس .

هذا فقد حططنا الرحل في البلد ، لكن ليس فيه الا الجسد، واما الارواح المنتشية بتلك الراح، في بهرة تلك الساح، فلا تزال هناك، انتشبت بتلك الشباك، فبقيت هناك مربوطة، مغتبطة بما كان خامرها عندكم مغبوطة ، فيا لها من ايام لو دامت لقلنا ان جنات عدن خرجت الى الدنيا ، فتطلقت من هذه الحياة اسرة المحيا ، وتعتقت فيها فطابت للندماء الحميا ، ولكن سرعان ما ولت تلك الايام بلا سلام، فكأنها احلام، فها نحن اولاء اخيين[3] فرق الدهر بينهما قهراء

1) اذا ما راية رفعت لمجد   تلقاها عرابة باليمين

2) المعطس كمجلس : الانف .

3) اخيين كنا فرق الدهر بيننا   الى الامد الاقصى ومن يامن الدهرا

ومن ذا الذي يأمن - يا للناس دهرا - ونتمنى - لو كان التمني مجديا - من السعد الذي كان اسكرنا بتلك المدامة، لو والى علينا من ذلك الشراب ثم ينسانا هناك الى يوم القيامة ، وهاك ابياتا حضرت في وصف وادي تانكرب حين عايلته يابس الزياتين غائر المياه ، كأنه ليس بما نعرفه خرير مياه ، والتفاف بساتين وخضرة حقول :

عهدي بواديك يا تنكرت زاخرة ... فيه المياه بألفاف الزياتين

قد كان بين سكون الليل يتحفنا ... منه الخرير بانواع التلاحين

فننتشي بنسيم من خمائله ... يشذي علينا بريا من رياحين

انى التفت ترى الادواح رافلة ... في خضرة مالها اي مغابين

لكنها اليوم لا عين ولا اثر ... لما عهدناه في تلك الميادين

ام انما الخصب وصف لا يزايلها ... وانما كان من حين الى حين

1361 - 11 - 17

انتهت الرحلة التي تقتضي من مطالعها الاغضاء عما لم يوافق ذوقه ، او كان جهل المقصود به، او كان في الحقيقة غلطا يستدعي المحمل الحسن ما امكن ، فلن اعدو الجبلة التي طبع عليها البشر وقد وافق اختتامها اصيل اليوم السادس من العام الجديد : 1362 ه وقد كنت اكتب فيها يوما او يومين ثم اترك اكثر من ذلك ، وربما تركتها اسبوعا فاراجعها حتى اتممتها الان، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الفهارس

الفهرس الاول

في عناوين البلاد التي زيرت في الرحلة

الفهرس الثانى

في القاء نظرة عامة على ما اشتملت عليه الرحلة

الفهرس الثالث

في اسماء العلماء السوسيين المذكورين في الرحلة بأية مناسبة ، بترجمة او بسبب مؤلف . وبكل اسف لم يتيسرلى تكريم ذكرهم كلما ذكـروا. لضيق الوقـت ، ولتراكم الاشغال ، مرتبين على الحروف بحسب الاستطاعة .

الهمزة

البـاء

الجيم

الحاء

الدال

الراء

السين

الـصاد

الطاء

العين

الغين

الميم

النون

الياء

الفهرس الرابع

في اسماء الرؤساء والملوك والقواد والشيوخ الذين يجرى ذكرهم باية مناسبة

الفهرس الخامس

في القوافي الموجودة في الرحلة مما قاله السوسيون في قرونهم الاخيرة لا مما وجد او أنشد من الشعر القديم، وسأكتفي بالشطر الاول ان صدع عن الثاني، وإلا فسأزيد لفظة القافية من الشطر الثاني .

الـزاي

العيـن

الفـاء

القـاف

الـلام

الميـم

الفهرس السادس

في الرسائل الموجودة في الرحلة

الفهرس السابع

في مجموعات من المقيدات او من الاسئلة والاجوبة المكتوبة او الظهائر

الفهرس الثامن

في الخزانات التي ألممنا بها في الرحلة

طبع بالمطبعة المهدية – تطوان (المغرب)